الأمّة
Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

العدد التاسع والخمسون - السنة الخامسة - ذو القعدة ١٤٠٥هـ حزيران (يونيو)

البناء العلمي
والمواجهة الثقافية
في حوار مع
مدير جامعة الأمير عبد القادر الاسلامية

الفتاة المسلمة والمجتمع الجامعي

■ جامع السليمانية ـ استانبول ـ ٩٥٧هـ ـ ١٥٥٠م ■

بسم الله الرحمن الرحيم

126659694

الأمة
Al Ummah

إسلامية شهرية جامعة

تصدر في غرة كل شهر عربي عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر

An Islamic Monthly published by the Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs, State of Qatar, at the beginning of every Hijri Month.

من المحرر

عود على بدء

■■ قد يكون العدد الأول من السنة السادسة هو محل هذه الكلمة من الناحية المهنية التقليدية، لكننا آثرنا أن نسارع إلى القول في ذلك لتبقى كلمة المحرر في الأعداد الأولى من كل سنة كما هي عادتنا مجالاً لطرح مجمل القضايا التي نريد أن تكون محور الاهتمام والمناقشة وتبادل وجهات النظر لعام كامل، تدور حولها الكتابات والدراسات، وما يمكن أن تقدمه « الأمة » من حوار ومقابلات ...

وقد كنّا أشرنا في أعداد سابقة إلى شيء من منهج الأمة في التقييم والتعامل مع إنتاج الإخوة الكتّاب، ولا بأس أن نذكّر به هنا، وهو كما يقول « شمس الدين البابلي » رحمه الله : [إمّا أن يؤلف في شيء لم يسبق إليه ... يخترعه، أو شيء ناقص يتمه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبينه، أو شيء مفرق يجمعه ...] ونضيف إلى ذلك ضرورة أن تتناول الكتابة معالجة مشكلات المسلمين المعاصرة.

وقد نكون الآن ـ مؤلفين وكتّاباً وناشرين ـ أحوج من أي وقت مضى إلى الالتزام بذلك، بعد هذا السيل الطامي من المؤلفات والكتابات غير المسؤولة التي باتت تثقل ذهن القارىء، وتكرس تخلفه، وتبدد طاقاته، التي يقدم عليها من يحسن ذلك ومن لا يحسنه ...

هذا وجه من وجوه القضية، والوجه الآخر أن بعض الإخوة الكتاب في غمرة إعجابهم بما يكتبون، ورغبة منهم في شيوع أفكارهم وانتشارها، يرسلون مقالاتهم لأكثر من دورية في آن واحد، وكم تكون دهشتنا كبيرة عندما نبذل الجهد في طباعة وتحضير وإخراج المقال ونفاجأ في نهاية المطاف بنشره في دورية أخرى، مع أن هذا ـ إضافة إلى ما يستنزف من جهد ضائع ـ يتنافى مع أبسط المبادىء والأعراف والتقاليد الصحفية ...

وقضية أخرى، قد تكون الأخطر في مجال الكتابة، والكتابة في المجال الإسلامي خاصة، وهي : محاولة بعض الكتاب !! السطو على إنتاج الآخرين، ونسبته لأنفسهم، وقد مرت بنا أكثر من حادثة في ذلك، ولا تزال مقالات بعض الكتاب التي نشرنا شيئاً منها، وأوقفنا الباقي، محل تنازع وادعاء قد يتطلب فريقاً من المتخصصين للوصول إلى الحقيقة ...

أما عملية الاستشهاد بأقوال الكتاب والباحثين فإنها تتطلب قدراً كبيراً من تحري الدقة أثناء الأخذ والاقتباس، وعدم التشويه والابتسار، والتزام الأمانة العلمية في نسبة الأمور إلى أهلها حتى لا نقوّل الناس ما لم يقولوا، وهذه مسؤولية دينية وقضية أخلاقية قبل كل شيء، واحترام لعقل القارىء وكسب لثقته، ليكون محلاً للأخذ والعطاء، ولا نرى أنفسنا بحاجة إلى إيراد الأمثلة لذلك والفصل فيها، ونكتفي بالذكرى، لعلَّ الذكرى تنفع المؤمنين. ■■

المشرف العام

عبد الرحمن بن عبد الله آل محمود

President

Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير

يوسف عبد الرحمن المظفر

Chief Editor

Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير

عمر عبيد حسنه

Editorial Director

Omar Obaid Hasna

التحرير والإدارة

Editorial Offices & Administration

هاتف ـ (بدالة)	٤٦٦٢٢٢
رئيس التحرير	٤٤٧٠٢٢
مدير التحرير	٤٤١٨٣٠
القسم الفني	٤٤١٨٨٧
هيئة التحرير	٤٤٧٣٠٠
قسم التوزيع والاشتراكات	٤٦٦٢٨٥
تلكس	٤٩٩٦ الأمة د هـ
برقياً	الأمة الدوحة
ص . ب	٨٩٣ الدوحة ـ قطر

Tel.: (PABX) 466222	DOHA
Chief Editor	447022
Editorial Director	441830
Editing Staff	441887
Editor Staff	447300
Distribution and Subscribers Dept.	466285
Telex:	4999 Al Ummah DH
Cables:	Al Ummah DOHA

Mailing Address:
P. O. Box 893 DOHA QATAR

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

طبعت بمطابع الدوحة الحديثة ـ قطر

صورة الغلاف

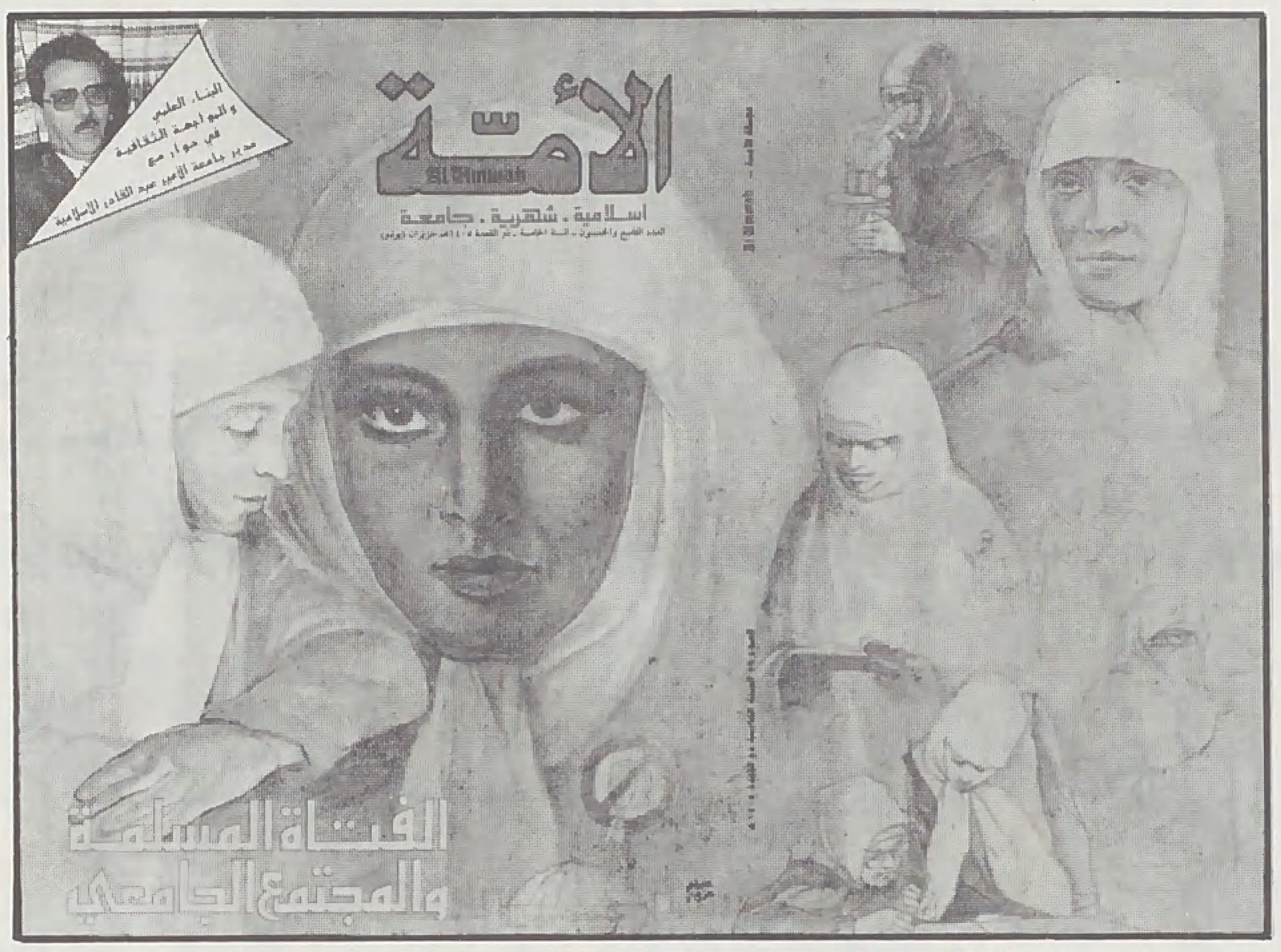

■■ تواجه المرأة المسلمة في المجتمع المعاصر تحديات خطيرة تقف وراءها قوى التغريب والصليبية والشيوعية على أكثر من مستوى ، وأوضح ما تكون هذه التحديات في مؤسسات التعليم المختلط ، حيث لا يقتصر الأمر على إقرار الاختلاط وتشجيعه ، وإنما يتعدىٰ ذلك إلى مطاردة صاحبات اللباس الإسلامي ، والتضييق عليهن ، ومنعهن في بعض الأحيان من دخول الحرم الجامعي ؛ الأمر الذي يتنافى مع أبسط الحقوق الشخصية .

فهل تنسحب المرأة المسلمة من حقل التعليم ، وتخلي الساحة لغيرها ، أم تواجه التحدي بإثبات وجودها السلوكي والعلمي ، وأداء رسالتها في الدعوة إلى الله في هذه المجتمعات ؟! ■■

□ الغلاف بريشة : الفنان عصام عزوز □

الإخراج الفني مجدي نجيب

الاشتراك السنوي Annual Subscription

للأفراد

- في قطر ٣٠ ريالاً قطرياً .
- في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٤٠ ريالاً قطرياً او ١١ دولاراً امريكياً او ما يعادلها .
- في الأمريكيتين واوروبا واستراليا ١٢ دولاراً امريكياً أو ما يعادلها .

- Asia & Africa, for individuals U.S.$ 11, for Govt. & Private organizations U.S.$ 22.
- America, Europe & Australia for individuals U.S.$ 12, for Govt. & Private organizations U.S.$ 25.

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات

- في قطر ٧٥ ريالاً قطرياً
- في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٨٠ ريالاً قطرياً او ٢٢ دولاراً امريكياً
- في الأمريكيتين واوروبا واستراليا : ٢٥ دولاراً امريكياً

■ ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة ■

المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل	وعنوانه
قطر	□ دار الثقافة	ص . ب ٣٢٣ الدوحة
الإمارات	□ مكتبة دار الامان	ص . ب ٤٦٩٥ أبوظبي
»	□ المكتبة الحديثة	ص . ب ١٥٥٤٠ العين
»	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص . ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ جمعية الإصلاح الاجتماعي	ص . ب ٢٢٢٨٢ المحرق
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص . ب ١٤٠٥ الرياض
»	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص .. ب ٨٠٧٠ جدة
»	□ » » »	الدمام
عمان	□ مؤسسة ناصر علي ناصر المفرجي للتجارة	ص . ب ٢٧٦١٥ بهلاء سلطنة عمان
الكويت	□ دار القلم : للطباعة والنشر والتوزيع	ص . ب ٢٠١٤٦ الكويت
الأردن	□ وكالة التوزيع الأردنية	ص . ب ٣٧٥٠ عمان
»	□ مكتبة دار الأرقم	ص . ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص . ب ٤٤٠ تونس 5 ش قرطاج - تونس
الجزائر	□ المؤسسة الوطنية لتوزيع الصحافة	38sis شارع ديدوشي مراد - الجزائر
السودان	□ دار التوزيع	ص . ب ٣٥٨ الخرطوم
لبنان	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات والتوزيع بيروت - لبنان	ص . ب ٧٣٨٥ بيروت
مصر	□ شركة توزيع الأخبار	ص . ب ٧ القاهرة
المغرب	□ سبريس	ص . ب ٨٠ — ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء	ص . ب ٢١٩٥ صنعاء

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
باكستان	PARADISE BOOK STALL	SHAHRAH E-IRAQ KARACHI 3 PAKISTAN
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE, 233 SEVEN SISTERS ROAD,	LONDON N4 ENGLAND
	GULF MEDIA CENTRE	43/441 GLARGES STREET LONDON WIY 7PJ U.K.
فرنسا	GROUPMENT ISLAMIQUE EN FRANCE	121, BOULEVARD DE MENLLMONTANT 1, CITE DE L'AVENIR 75011 PARIS FRANCE
المانيا	ISLAMISCHE GEMEINSCHAFT IN	DEUTSCHLAND E.V. MANZER LANDSTR. 176 6000 FRANKFORT A. M. W. GERMANY
هولندا	NVR AL SONNAH IMPORT EN EXPORT	TOLISTRAAT 42 1073 SC AMESTERDAM - HOLLAND
بلجيكا	AL-IMENSPRL	B.D.M. LEMONNIER 196 1000 BRUXELLES, BELGIQUE.
أمريكا	ALMIHGER	408-B LOCUST STREET COLUMBIA, MO 65203, USA

ثمن النسخة

قطر	٣	ريالات	لبنان	٢٠٠	قرش
السعودية	٣	ريالات	مصر	٢٠٠	مليم
الكويت	٢٠٠	فلس	السودان	٢٠٠	مليم
البحرين	٢٠٠	فلس	ليبيا	٢٠٠	درهم
الامارات	٣	دراهم	الجزائر		ديناران
عمان	٢٠٠	بيسة	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن الشمالي	٢٠٠	فلس	المغرب		درهمان
اليمن الجنوبي	٢٠٠	فلس	دول آسيا وافريقيا		نصف دولار امريكي
العراق	٢٠٠	فلس	● في الامريكيتين واوروبا واستراليا دولار امريكي او ما يعادله		
الأردن	٢٠٠	فلس			
سوريا	٢٠٠	قرش			

في هذا العدد

● كلمـــة الأمـــــة ٤

● (قضيـة للمناقشـة) :

أين الخلل ؟ السنن في القرآن الكريم .... السيدة حنان لحام ٨

● المسلمون أمام التحدي التكنولوجي .... سليمان الأمين ١٤

● بطاقـــة مـــن قـــارىء ١٦

● في الأدب الإسلامي :

الباحث عن الحقيقة ... أنموذج تطبيقي ...... محمد حلمي القاعود ١٧

● حديقـــة الأمـــــة ٢٢

● مـــن مفكــرة فلســطين :

في الفكــر اليهــودي .... إسماعيـل الكيلاني ٢٤

● التأكيد على فاعلية الحوار .... حسن فضل المولى دفع الله ٢٨

● أهداف البنوك الإسلامية

.........إعداد قسم الدراسات ـ بيت التمويل الكويتي ٣٠

● وطريق الهـداة شـوك ونـار (شعـر) .... محمود مفلح ٣٣

● وحيـد الديـن خـان .... محمد بدر الدين بن حسن ٣٤

● حول الإعلام والإعلامي الإسلاميين .... عبد الرحمن احمد جاد الله ٣٧

● مكتبـــة الأمـــــة ٣٨

● (استطـــلاع) :

الدور المطلوب لمؤسسات التعليم في مجال التربية الإسلامية :

كلية الإلهيات في تركيا ٤٢

● نشيد عسكري إسلامي (شعر) ...... مصطفى حيدر زيد الكيلاني ٤٨

● البناء العلمي والمواجهة الثقافية

في حوار مع مدير جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية ٤٩

● الالتزام بالواقعية في العمل الإسلامي .... محمد الصالح عزيز ٥٤

● (من عجائب المخلوقات) الطيور الجارحـــة ٥٦

● صورة من قريب

المسلمون في لكسمبورج : الواقع والطموحات ٦٠

● (عـــالم وكتـــاب) :

ابن عبد البر وكتابه « التمهيـد » .... عبد العزيز فارح ٦٤

● النظرية السياسية وأبعاد الضغوط الخفية [١]

.... ابو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ٦٧

● (الأســرة المسلمـــة) :

الفتاة المسلمة والمجتمع الجامعي ٧٠

● أهداف العملية التربويـة .... يوسـف الدويـك ٧٤

● (رسـائل جامعيـة) :

مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام .... إعداد صالح سليمان ٧٦

● تصريحـات وأقـوال ٨٠

● بريـــد الأمــة ٨١

● بأقــلام القـــراء ٨٤

● شــؤون المسلمين في العـــالم ٨٦

● مع الصحافـة في العـالم ٩٢

● مسابقــة العـدد التاسـع والخمسين ،

وحل مسابقة العدد السابع والخمسين وأسماء الفائزين ٩٤

● (خواطـــر وافكـــار) :

في سبيل تجاوز موقف الانبهـار .... عبد القادر عبَّار ٩٦

البـاحـث عن الحقيقــة

■ اللغة ليست مجرد أداة توصيل فحسب ، بل إنها عنصر بنائي أساسي يقدم الفكرة في إطار يهيىء لقبولها والتفاعل معها ، والعمل الفني الناضج هو الذي لا تنفصل لغته عن مضمونه ، والفنان الحقيقي هو الذي يجعل من اللغة والمضمون جسماً واحداً ... وينبغي أن نتذكر أن التعامل مع اللغة له أكثر من مستوى ، والفارق بين هذه المستويات هو القدرة على الاستخدام الأمثل للغة ... وقد أدَّت اللغة دوراً أساسياً في تقديم العمل « الباحث عن الحقيقة » بل إنها البطل الحقيقي فيه ؛ حيث استخدم صاحبه لغة مكثفة شفافة ، تقترب من لغة الشعر ، فهي تحمل روح الشعر وإن لم تعتمد استخدام المفاعيل ... لهذا كانت محملة بالإيحاءات والدلالات التي تتناغم مع موضوع الرواية ، وتمتزج به ، وترقى بمستواه التعبيري .... (ص : ١٧) ■

الدور المطلوب لمؤسسات التعليم في مجال التربية الإسلامية .. كليــات الإلهيــات في تركيــا

■ لا تستطيع الأمة أن تحقق استقلالها الثقافي والاقتصادي ، وتتخلص من التبعية الفكرية والسياسية إلّا من خلال طبيعة المناهج التي يُنشَّأ عليها أبناؤها ويدرُسونها في مؤسساتها التربوية والتعليمية ، وفي مقدمة هذه المؤسسات تأتي الجامعات ... حيث إن للعلوم والكتب روحاً وضميراً كالكائنات الحية .

من هنا كان حرص المستعمرين على فرض سيطرتهم على التعليم خلال فترة تواجدهم العسكري ، مع التخطيط له ليخدم مصالحهم على المدى البعيد ، حتى بعد زوال السيطرة العسكرية ... وقد فطن يهود إلى هذه الحقيقة مبكراً فجاء عرضهم على السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله السماح لهم بإنشاء جامعة في بيت المقدس تجنب أبناء المسلمين أخطار الغوايات السياسية !! إلاَّ أن السلطان رفض المشروع من أساسه ، لانه كان يدرك خطورته على أبناء المسلمين .... (ص : ٤٠) ■

البنــاء العلمي والمواجهــة الثقافية ...
في حـــوار مع مدير جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية

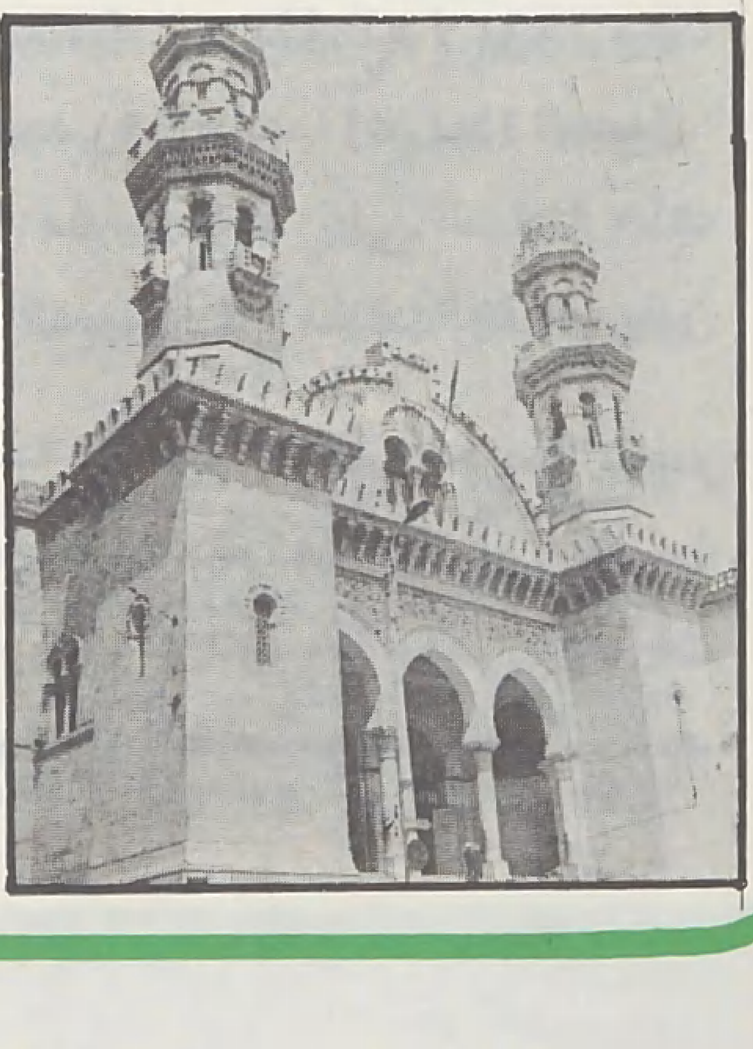

■ كانت المواجهة على الجبهة الثقافية بين الاستعمار الفرنسي والجزائر منذ عام ١٨٣٠م من أشرس المواجهات ، حتى ليمكننا القول : إن الصراع في جملته كان صراعاً دينياً ثقافياً حضارياً ... وكانت كتاتيب القرآن ومعاهد التعليم الإسلامي ، في المساجد والزوايا ، تمثل المحاضن الخصبة لرعاية الوعي ، وتنامي الصمود الثقافي ، والثغور الصلدة التي تقف عليها وتنطلق منها كتائب الجهاد وقوافل الشهداء .

والأمل معقود الآن في الجزائر وخارجها أن تكون « جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية » بقسنطينة امتداداً تاريخياً وعلمياً ونفسياً لتلك الكتاتيب والمعاهد ، وأن توفق لتقديم وتخريج قيادات علمية وفكرية قادرة على العطاء ، وحمل أمانة السلف ، ومواصلة مسيرة الجهاد والوفاء للمعاني التي قدمت من أجلها الجزائر المسلمة المليون شهيد .... (ص : ٤٩) ■

المسلمون في الغرب:

كلمة الأمة

« كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني » .

□□ هناك حقيقة لا بد من إيضاحها والتأكيد عليها ، ونحن نلمح بعض الآفاق ، ونرصد بعض ظواهر العمل الإسلامي وتحدياته الداخلية منها والخارجية في ديار الغرب ، وقبل أن نتابع الكلام حول هذه الملامح والآفاق ، وهي : أن الحديث عن العلل والأمراض ، وبيان مواطن الخلل والسلبيات التي تكتنف العمل ، وتعوق مسيرته وبلوغه الأبعاد المطلوبة ، ومن ثم تقديم المناصحة والتواصي على طريق الدعوة ، لا يعني ذلك ، ولا يجوز أن يعني بخس الناس العاملين في حقل الدعوة في الغرب أشياءهم ، كما لا يعني التنكر للإنجازات الطيبة والأعمال الإيجابية الكثيرة التي قدمتها مواقع العمل الإسلامي المتعددة في العالم الإسلامي والغرب معاً ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ (الأحقاف : ١٩) وإنما هي محاولة نهدف من ورائها إلى تركيز الاهتمام بعيوبنا وتحدياتنا الداخلية لمواجهتها وإصلاحها والتقدم إلى مواقع أكثر فاعلية ، والانطلاق منها برؤية سليمة ، وخطىً سديدة وثابتة ، قبل الانغماس والاستغراق في مواقع الآخرين ، وقبل أن نوجه اللوم عن تقصيرنا وأخطائنا إلى غيرنا ؛ ذلك أن معرفة العيوب ، وتشخيص الأسباب ، ومعالجة هذه الأسباب وترميم آثارها عملٌ إيجابي بنَّاء لكل من يدرك مسؤوليته الشرعية « كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته » ولكل من يلتزم الإسلام ، ويحمله التزامه إلى التصميم على المساهمة بعملية الإنقاذ ، ولقد سبقت مسؤولية التواصي بالحق مسؤولية التواصي بالصبر في كتاب الله تعالى ؛ ليأمن المسلمون الخسارة والفشل ، وبذلك تستمر عملية استجلاء الحق والتصويب ، وتستمر التضحية والتحمل في سبيلها والصبر عليها ، وليس ذلك من باب استهواء النقد واستملاحه ، وقذف الآخرين واتهامهم لتسويغ العجز الذاتي وصرف الأنظار عنه ، الأمر الذي يتعارض مع الأخلاق الإسلامية ، ولا لتبرير القعود عن الإنتاج وإخفاء مواطن التقصير والخطأ ... وليس هذا نزوعاً إلى التشاؤم كما يحلو لبعضهم أن يصوره ممن يصابون بذُهَان السذاجة ؛ فيأتي نشاطهم أعمى بعيداً عن البصارة والإدراك السوي . □□

وابتداء نقول : لقد اعفينا انفسنا ، كالعادة ، واكثرنا الكلام عن ان الغرب لم يفهمنا ، أو فهمنا من خلال عقد تاريخية جاءت ثمرة للصراع بين العالم الإسلامي وأوروبا ، ورواسب صليبية حاقدة ساهم بإيجادها المنصِّرون ، ومفهومات ثقافية خاطئة عن الإسلام وعالم المسلمين صنعها المستشرقون ، ومبررات سياسية ومناخ ثقافي عمل في ظله قادة الاستعمار إلى العالم الإسلامي ، والتحكم الثقافي والإعلامي الذي ساهم بتكبير بعض الأخطاء الشخصية والمسالك الفردية التي يمكن أن تكون وقعت في العصور المتاخرة وفترات الضعف ، وغياب الرؤية الإسلامية الصحيحة . وإذا سلمنا جدلاً بان الغرب لم يفهمنا - وإن كان هذا القول عندنا محل نظر ، إذن كيف استطاع السيطرة علينا ، تلك الحقب التاريخية ، ولا تزال سيطرته الثقافية مستمرة وهو لم يفهمنا ؟

وإن تاثر بفهمه لنا بما أسلفنا فيه القول - فهل فهمنا نحن الغرب ، وحاولنا على ضوء هذا الفهم تفكيك العقد التي يعاني منها تجاه الإسلام ، ورسمنا المداخل الصحيحة لمحاكاته ، وحصلنا على المفاتيح المطلوبة لشخصية إنسانه ومخاطبته ؟ وهل استطعنا تقديم الصورة البديلة لتلك التي رسمتها يد المستشرقين والمنصِّرين للإسلام ؟

ونستطيع ان نقرر مطمئنين بأن الكثير من الوسائل المعتمدة لنشر الدعوة هناك ، والكثير من الدراسات التي تُقدم لأبناء الجالية والمقيمين لا يزال معظمها خارج الموقع المطلوب ، وقد يعجب الإنسان بعد مضي ما يقارب القرن من عمل الدعوة الإسلامية الحديثة انه لا يوجد بحث جاد في هذا السبيل ، وقد نبحث فلا نجد رجلاً واحداً أعد لهذا السبيل ؛ بالشكل المطلوب ، وتعظم المأساة عندما نفتقد على الساحة هناك المتخصصين في العلوم الإسلامية الأصيلة ، كما نفتقد المتخصصين

والكتب الملائمة والوسائل المناسبة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، ففي حين نرى في النمسا حيث يتم تعليم القرآن والتربية الإسلامية لأبناء المسلمين في مدارس الدولة الرسمية بعد ان اعترفت بالدين الإسلامي كيف تحكمها الاجتهادات الخاصة والشخصية ، نجد

لمحات.. وآفاق ٢

بعض البحوث والدراسات المتقدمة نسبياً ، التي يقدمها المركز الإسلامي في بروكسل - بلجيكا - لتعليم القرآن والعربية ، وإن كانت لا تزال دون السوية المطلوبة ، لكنها أكثر اجتهاداً ومتابعــــة ... وقد توجد بعض الوسائل والطرق الأخرى بالمراكز الإسلامية المتعددة ، لكنها لا تخرج في جملتها عن الاجتهادات الشخصية والمبادرات الفردية ، وإذا كان هذا واقع العربية وتعليمها ، وهي المفتاح والخطوة الأولى التي لا بد منها لمعرفة الإسلام وكتابه المنزَّل ، فكيف ببقية العلوم والدراسات الإسلامية التي نستطيع أن نقول فيها : فمن راءٍ كمن سَمِعا ؟!

ومن المعروف أن بعض المراكز الإسلامية في أوروبا امتلكت فترات للبث الإذاعي ، وناضلت في سبيل الحصول على ذلك زمناً ، ثم أصبحت المشكلة الكبيرة : ماذا نقدم من خلالها لأبناء الجالية ولأبناء تلك البلاد ؟! كما امتلكت بعض المراكز ، كالمركز الإسلامي في بروكسل محطة للبث الإذاعي خاصة بها يومياً ، فهل كان العاملون للإسلام في سوية هذه المكاسب ؟ وهل ما يقدم من مواد ودراسات إسلامية في السوية المطلوبة ؟ وهل الموجات الإذاعية والبرامج الموجهة لأوروبا وأمريكا من العالم العربي والإسلامي تتحرك ضمن خطة مرسومة وأهداف واضحة ترصد نتائجها ، وتعدل وتغير على ضوء ذلك ؟ هل فكر القائمون عليها بمن يخاطبون ، وكيف يخاطبون ؟ وما هي النتائج والحصاد المتحصل من ذلك بين فترة وأخرى ؟

إن لتعليم اللغة الإنكليزية أكثر من مؤلَّف ، وأكثر من برنامج مشوق ومحبب مدروس ، تقدمه إذاعة صوت بريطانيا (لندن) بأساليب وطرق شتى ، تخاطب به سويات متعددة أيضاً ، يوجه إلى العالم غير الناطق بالإنكليزية ، وإن الذي يفوته السماع لهذه البرامج بإمكانه أن يحصل على تسجيلات وكتب وشرائط فيديو بأرخص الأثمان ، هذا عدا المراكز الثقافية والمؤسسات المنتشرة في أنحاء العالم ، والتي يشرف عليها متخصصون في التربية والتعليم ، وتحديد المستويات ، وتقديم القدر الملائم بالصوت والصورة والكلمة المقروءة حسب ظروف المناطق والشعوب ؛ وليس حال اللغة الألمانية ومعاهد « غوته » المنتشرة في العالم بأقل شأناً من الإنكليزية ..

أما نحن ، فكثير من العمال والخبراء والفنيين الذين يأتون إلى بلدان العالم الإسلامي يحملون معهم لغاتهم وثقافاتهم ، وبدل أن يكون مجيئهم فرصة لتعريب لسانهم ، وتعريفهم بالإسلام ، يحدث العكس ، فإنهم يُعَجِّموننا ويحوِّلون المسار التربوي لكثير من أطفالنا في البيوت ، والبناء الثقافي لشبابنا على أكثر من مستوى ، فهل نجافي الحقيقة إذا قلنا : إننا مهزومون على أرضنا ، وإن الكثير منَّا لا يزال يعاني من عقدة الأجنبي « عقدة الخواجا » .

وقد يكون الأمر المحزن في عالمنا الإسلامي ، وفي مجال بعض العاملين للإسلام اليوم ألَّا يروا لخدمة الإسلام إلَّا طريقاً واحداً يتزاحمون عليه هو : عملية الصدام السياسي ، والسباب السياسي : إلى درجة جعل صورة بعض العاملين للإسلام مشوَّهة ، وكأن لا غاية لهم إلَّا الوصول إلى السلطة السياسية بأي ثمن ، وكأن الآفاق الكثيرة والكبيرة جداً التي تنتظر من يملؤها لا تعنينا بشيء ، أو لعلَّ عقلية استعجال النتائج تجعل الكثيرين يفكرون خطأ باختصار الطريق والقفز من فوق الكثير من المساحات الضرورية للوصول والظهور على الواجهة السياسية ، ذلك أن إنضاج البحوث والدراسات ، واختبار نتائجها ، وزراعة البذور ، واختيار الشروط والظروف الملائمة لنموها وما تتطلبه من عمر وصبر قد لا يُطاق من بعض العاملين للقضية الإسلامية اليوم ، لذلك نرى العدو أحسن قراءة الصورة بدقة ، وعمل على استمرار حرب الاستنزاف على الإسلاميين ، وتصفية الكثير من الحسابات بدمائهم ، وتبديد طاقاتهم في معارك قد لا يكون للإسلام فيها نصيب ...

أليس من المؤلم أن نتجاهل أو لا نبصر كثيراً من المواقع المؤثرة ، ونعدل عن القضايا التي نملكها إلى المشكلات التي تملكنا ، والتي يضعها لنا غير المسلمين لتستمر عملية الإلهاء والتضليل ؟ ونستطيع أن نؤكد بأننا في ضوء المواجهات والصدامات السياسية عجزنا عن الرؤية الشمولية ، والقدرة على تقسيم مواقع العمل وتوزيع طاقات العاملين ؛ لتكون بعض جوانب الإنتاج الإسلامي بعيدة عن الصدامات السياسية .. لكن يبقى الأمر المؤسف أن العقلية التي تحكمنا ترفض التعددية ، ولو كان ذلك اختلاف تنوع ، وكأن المطلوب في إطار العمل الإسلامي اليوم أن يكون الناس جميعاً نسخة مكررة عن بعضهم ، أو عن أصل واحد ، كما هي حال الشعوب في الدول المتخلفة ، حيث لا يسمح لها إلَّا أن تكون نسخة مكررة عن فكر الزعيم ، وإلَّا كان الارتياب وكانت المحاصرة ، لذلك ترانا جماعات من حيث الشكل ، أفراداً من حيث العطاء ، حيث لا تزال المشاريع الجماعية المتكاملة المطلوبة بعيدة عن أمة تتحكم فيها الروح الفردية والعقلية الآحادية ...

فماذا قدَّمنا للعربية مفتاح الإسلام لغير النـاطقين بها ؟ وأين القراءات الصحيحة للتاريخ الإسلامي والتفسير الإسلامي لحوادثه التي أنضجناها وخاطبنا بها مجتمعات الغرب وثقفنا بها الجالية التي

كلمة الأمة

المسلمون في الغرب :

تقف على خط المواجهة الأول هناك ؟ وكنّا قد أشرنا سابقاً إلى أن الكثير من الدراسات والكتب والخطب والمؤلفات التي أنتجتها الحركة الإسلامية في بلدان العالم الإسلامي ، وجاءت ثمرة استجابة لنوع من التحدي والمواجهة ومحاربة الاستعمار ، ومعالجة لمشكلات مجتمع مختلف في تاريخه وتركيبه الثقافي وموقعه الحضاري ومعاناته السياسية والاجتماعية لا تصلح بالتأكيد لمخاطبة إنسان المجتمع الغربي ، كما أنها في معظمها قد لا تصلح لمخاطبة أفراد الجالية المسلمة التي تعاني من مشكلات خاصة بها ... ونحب أن نسترجع هذه القضية لنؤكد أننا لا نعني بذلك إقامة الجدران السميكة بين واقع ومشكلات العالم الإسلامي وبين المسلمين في الغرب ، وتقطيع التواصل الثقافي وإلغاء الاهتمام بقضايا العالم الإسلامي « العالم الأم » ، وتعطيل حسّ الفرد المسلم بقضايا المسلمين وحاجاتهم ، ذلك أن المسلمين « كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » ، ولا بد لكل مسلم أن يبقى في صورة مجتمع المسلمين ، وينمو إحساسه باتجاه حاجاتهم ومعاناتهم ليستطيع القيام بشيء من حقوق الأخوة الإسلامية ، لكن الذي أردناه هو ، بطبيعة الحال ، الوسائل المعتمدة لنشر الدعوة في الغرب ، أو إن صح التعبير : الوسائل المجدية لمخاطبة الإنسان الغربي الذي وقع ضحية لدراسات مغلوطة ، ورواسب تاريخية ، وصور مشوهة مرئية من عالم المسلمين ، ومناخات استعمارية خطيرة ...

وقد كنّا أشرنا في العدد السابق إلى بعض الخلفيات التي كانت وراء الهجرات الأولى لكثيرين من بلدان العالم الإسلامي المستعمر إلى أوروبا وأمريكا ، وأن أولئك الذين استقروا هناك فقيرو الموارد ، وفقيرو الثقافة ، استُوردوا ليكونوا أدوات في بناء حضارة المستعمر ؛ وأن الفضل في إيقاظ الشعور بالانتماء للإسلام ، والاعتزاز والالتزام به يعود إلى جهود الطلبة والمبتعثين الذين حملوا إليهم بذور الصحوة الإسلامية ، والوعي الإسلامي ، وزرعوها في تربة الجالية في مجتمع الاغتراب ، وأن الجالية إلى وقت قريب كانت تعيش في قاع المجتمعات الأوروبية والأمريكية ، وأن الأسرة هناك عاجزة بسبب فقرها وضيق ذات يدها عن الأخذ بيد أبنائها إلى تحصيل بعض التخصصات العلمية المتميزة ، أو حتى متابعة الدراسة للمراحل الجامعية ، وأن حالة « الاستنقاع » هذه التي تعاني منها الجالية جعلتها تراوح مكانها وتعجز عن إحداث أي تغيير في مواقعها أو في إطار المجتمع الذي تعيش فيه .

وقد يكون السؤال المطروح اليوم على ساحة العمل الإسلامي في أوروبا وأمريكا ، والذي لا مناص من دراسة أسبابه ، والإجابة عليه بتجرد وصدق ، لأنه يبدو من إشكالية العمل هناك ، خاصة إذا ما قورن أثر وتأثير المهاجرين المسلمين في تلك المجتمعات بأثر يهود كما أسلفنا ... وقد لا تخلو صحيفة أو مجلة اليوم في العالم الإسلامي من الحديث عن هجرة العقول ، وهجرة الاختصاصات من العالم الإسلامي إلى هناك بسبب من الاستبداد السياسي ، والظلم الاجتماعي ، وتقديم أهل الثقة والولاء ، ومطاردة أهل الخبرة والاختصاص ، ونحن لا ندَّعي هنا استقصاء الأسباب التي حالت دون أثرهم وتأثيرهم : سواء في ذلك الأسباب الخارجية من إحكام المحاصرة عليهم ، أو الأسباب الداخلية من الخلل الثقافي القائم في نفوس بعض العاملين ومؤسساتهم على حد سواء .

وابتداء سوف لا نقف طويلاً عند السبب الخارجي من المحاصرة المحكمة من قبل يهود والمؤسسات التنصيرية والدوائر الاستعمارية ، لأن هذا هو الأمر الطبيعي والمفترض ، وإنما الذي يعنينا هنا الأسباب الداخلية ... ولا شك عندنا أن من أبرز هذه الأسباب هو ما نحمله معنا إلى حيث اتجهنا من جراثيم التخلف الذي دخلت دماءنا ، وأصبحت جزءاً عضوياً مستقراً في نفوسنا وذواتنا ، إنه الخلل في بنائنا الثقافي الذي لا يعوضه النبوغ في التحصيل العلمي في غالب الأحيان ، خاصة إذا اعتبرنا أن الثقافة تبقى كقضية ألصق بالتربية وأنماط السلوك والمعرفة العامة التي تمكن من النظر إلى الأشياء والحكم عليها ، وليست قضية تحصيل علمي بحت ، فكثيرون قد يكون ترتيبهم العلمي من الأوائل ، لكن الإفادة من هذا التحصيل في العمل لقضاياهم ، وجعل هذا الاختصاص في خدمة الأفكار والقيم والعقيدة ، أمر قد يكون معطلاً تماماً ، وقد كنّا أشرنا إلى العالم اليهودي الذي اخترع المادة المتفجرة في مخبره ، وكيف استطاع أن ينتزع من الحلفاء وعداً بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ...

إن انفصال العلوم الشرعية الإسلامية عن العلوم العصرية التجريبية ، وانفصال وسائل الدعوة عن مؤسسات الدولة ، والسقوط العملي في مناخ فصل الدين عن الدولة ، ومناخ الازدواجية والفصام الذي نشأ فيه المسلم أوجد أنماطاً من الفهم والسلوك المعوج في إطار الثقافة ليس من السهل تجاوزها ، فلا يزال كثيرون يرون أن العمل للإسلام يقتضي مغادرة العلوم العصرية إلى العلوم الشرعية ، ومغادرة العمل في الدولة إلى احتراف الدعوة ، مع أن العلوم الشرعية نفسها ، فيما وراء ما يفترض معرفته من الدين بالضرورة لكل مسلم في أمور العبادة والحلال والحرام مهما كان موقعه ، تبقى فروضاً كفائية ، وتستوي في ذلك العلوم الشرعية التخصصية والعلوم العصرية الكفائية ... لذلك فإننا ثقافياً لا نزال نعاني من عقدة الازدواج هذه ، ولا تزال القضية المطروحة على أذهان الكثيرين هي الخيار : إما العمل

لمحات .. وآفاق

للدين وإما العمل للدنيا !!

ونتيجة لهذه المقدمة الخاطئة والمعادلة الصعبة وصورة هذا الخيار العجيب ـ ونحن نرفع شعار : الإسلام دين ودنيا ، دين ودولة ـ نرى كثيراً من أهل الاختصاصات العلمية الجيدة ـ والتي لو وظِّفت حقاً لكانت مواقع مؤثرة في المجتمعات ـ غادروا اختصاصاتهم باسم العمل في حقل الدعوة ، ولا شك أن مغادرتهم لمواقعهم تعني عملياً عجزاً عن الرؤية الصحيحة ، وتعطيلاً للقدرة في وضع التخصص في خدمة العقيدة ، كثمرة للخلل الثقافي الذي نعاني منه ، وقد رأيت كثيراً ممن تركوا الدراسة المتخصصة باسم « التفرغ للدعوة » وممن ذهبوا لمتابعة دراساتهم ، وبلادهم وأهلهم في انتظارهم ، تركوا طريق الدراسة باسم « العمل للدعوة » أيضاً ، وكأن العمل للدعوة يعني الجهل العلمي واستمرار العيش عالة على موائد الآخرين العلمية !!! والانتصارات العاطفية من التجمع والتفرق التي لا تخرج في مجملها عن تحقيق متع ذاتية لا أكثر ، فكثير من الناس المتسكعين في بعض المراكز والمؤسسات الإسلامية بعد أن تركوا دراساتهم باسم العمل الإسلامي ، أصبحوا عبئاً على هذه المراكز تجهد في سبيل إيجاد مورد رزق لهم ، والأغرب من ذلك أن كثيراً ممن حصلوا على تخصصات علمية هجروا هذه التخصصات ليشتغلوا في قضايا الوعظ والإرشاد ، الأمر الذي لم يُعَدّوا له ابتداءً ، فكيف والحالة هذه يمكن لهم أن يكونوا قادرين على التأثير في مجتمعات الغرب ؟!

وسبب آخر ، وهو ما يلاقيه هؤلاء ـ أهل الاختصاص والخبرة الذين هاجروا إلى هناك ـ في بعض مؤسسات العمل الإسلامي في بلاد الغرب من أمور منفرة قد لا تختلف كثيراً عن الأسباب التي دفعتهم للهجرة من بلاد العالم الإسلامي ابتداءً ... ذلك أن ساحة بعض هذه المؤسسات ضربت حولها أسوار حزبية تحول دون الوصول إليها إلَّا لأهل الطاعة والولاء ، وسقطت ضحية للصراعات الحزبية التي تقتضي عقليتها بطبيعة الحال تقديم أهل الثقة والولاء على أهل الخبرة ولو كانوا صغاراً في السن ، أو لا يحسنون ما يوكل إليهم من مهام ... المهم أن تتحقق الإقطاعية البشرية ، ويصبح الحفاظ عليها أهم من العمل للقضية الإسلامية ذاتها !! وليست بعض الأنظمة الرسمية في بلدان العالم الإسلامي بكل إمكاناتها ووسائلها بعيدة عن تحريك هذه الصراعات وتنميتها لتحقيق النفاذ إلى هذه المؤسسات ، ومن ثم السيطرة عليها ، وبذلك تنتقل الأمراض الاجتماعية والسياسية كلها الموجودة في العالم الإسلامي إلى ساحات العمل الإسلامي في أوروبا وأمريكا ، الأمر الذي ينأى بكثير من العقول المهاجرة عن هذه المؤسسات ، لأنها تشعر على الأقل بأن هذه الأماكن ، بما يعصف بها من صراعات وخلافات وتمزقات حزبية ، ومحاولة الاختراق المستمر للسيطرة عليها أو بعضها سواء من بلاد العالم الإسلامي أو من دول أوروبا وأمريكا ، وسوف نعود إلى هذه النقطة بشيء من التسجيل لبعض الملامح التي رأيناها هناك ـ إن شاء الله ـ .

ومن الأمور الملفتة للنظر ، وقد تكون سبباً رئيساً : ألَّا يرى بعضهم في مهام المؤسسات الإسلامية في أوروبا وأمريكا إلَّا العمل السياسي والمعارضة السياسية لبعض الأنظمة في بلاد المسلمين ، بمعنى أنها تنقلب مراكز للمعارضة السياسية مستفيدة من جو الحرية الموجود في ديار الغرب لتمارس عملية المعارضة هذه ، وكأن لا علاقة لها بالقضية الإسلامية بجوانبها المختلفة ، ولا نعتقد أن أحداً يماري في أن العمل من أجل حرية الإنسان ومحاربة الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي من صميم الإسلام وأهدافه الأولى ، لكن أن تتمحض وظيفة بعض المؤسسات لهذه القضية التي تحملها شيئاً فشيئاً إلى الدخول في صراعات الأنظمة الرسمية يُفقدها مهمتها الشاملة ، وينفر كثيراً من الطاقات من التعامل معها ، وتعاني من المحاصرة التي تعوق عملها الأصلي ... ولا بد هنا للعاملين في الحقل الإسلامي من الاجتهاد قدر الإمكان لتجنيب العمل الإسلامي هذا اللون من الصدامات السياسية التي تتم غالباً لصالح بعض الأنظمة السياسية : لإبعاد الدعوة الإسلامية عن الاحتواء وتحقيق الاستقلالية ، حتى تتاح الفرصة ما أمكن لزرع البذور ، وتوفير الشروط الضرورية لنموها وإمكان رعايتها ، وبذلك تكون هذه المؤسسات مراكز متقدمة للدعوة الإسلامية ، تقدم الخير للجميع ، وتدل عليه ، بعيداً عن العواصف التي تمزق العالم الإسلامي .. والصراعات على السلطة والنفوذ التي تدمر طاقات المسلمين وتستهلك مواردهم .

لذلك نرى أنه لا بد من إعادة النظر بالكثير من الوسائل والعلاقات التي تعتمدها المؤسسات الإسلامية في أوروبا وأمريكا : لتصبح مؤسسات متقدمة تجمع بين التخصص العلمي الدقيق والرؤية الإسلامية الشاملة ، وتعود إلى عالمنا بتجارب ناضجة ، وسلوك جماعي متميز ، ومفهومات للعمل الإسلامي مدروسة ، وخطط لإعادة بناء عالم المسلمين على أسس علمية صحيحة ، فلعلَّ نهضة العالم الإسلامي تبدأ في صفوف الباحثين والدارسين والمفكرين الذين يستشعرون مسؤوليتهم تجاه أمتهم ووطنهم ، ويجعلون تخصصاتهم في خدمة قضايا أمتهم وتحقيق أهدافها ، ويبتغون فيما آتاهم الله الدار الآخرة .. ولنا عودة لتغطية بعض جوانب الموضوع الأخرى إن شاء الله .

أين الخلل؟
قضية للمناقشة

السُّنَن في القرآن

بقلم: حنان لحام

■■ كان لكلام الدكتور القرضاوي - جزاه الله خيراً - في وقفته مع الحركة الإسلامية محللاً باحثاً عن الخلل أكبر الأثر في دفعي لتسجيل بعض الملاحظات التي شعرت بضرورة عرضها كي تلقي ضوءاً على بعض الإشارات والعبارات التي ذكرها الدكتور مُجْمَلَة ولم يتناولها بالبيان والتفصيل .. إن كلماته النيِّرة المخلصة عن أهمية النقد والنصح لتقويم الحركة الإسلامية قطعت من نفسي كل تردد، وجعلتني أخطّ هذه الكلمات رغم شعوري بضآلتي امام القضية .. راجية من الله السداد .. ومن الأساتذة الكرام والإخوة القراء أن يساهموا في مناقشة وتصحيح ما أعرض من أفكار ..

ولست هنا بصدد مدح الأفكار الإيجابية التي وردت في عبارات مشرقة في مقالة الدكتور .. فذلك أمر لا يتمارى فيه اثنان - زاده الله علماً وعملاً وبارك لنا في إنتاجه - ولكنني أردت أن أتأمل بعض العبارات الواردة فيها واتناولها بشيء من التفصيل. ■■

الأسباب الخارجية والأسباب الداخلية

يقرر الدكتور أن إخفاق الحركة الإسلامية يرجع إلى أسباب خارجية وداخلية، ويقول: [**ولا يجوز لنا إذا أرّخنا للحركة أو نقدناها أن نهمل أحدهما أو نضخمه على حساب الآخر**].

ومع ذلك فإن الدكتور يركز في مقالته على الأسباب الداخلية **فلماذا**؟! وهنا يأتي سؤال آخر:

وهل توقفت الأسباب الخارجية المعوقة للتيار الإسلامي في يوم من الأيام؟

إن شياطين الإنس والجن تعمل دائبة - منذ خلق آدم وإلى يوم القيامة - على زرع الألغام في طريق الدعاة إلى الله وإيجاد العقبات .. ومع ذلك فقد كان المؤمنون ينجحون تارة ويفشلون أخرى ..

وقد يقال: إن الحرب ضد الإسلام الآن أصبحت أقوى وأشرس لتقدم وسائل الإعلام وعلم النفس والاجتماع، فالحرب الآن مبنية على خطط فنية مدروسة تجند لها وسائل الإعلام ...

ولكن ألا يمكن أن تكون الدعوة إلى الله أيضاً أقوى وأمضى باستخدام هذا التقدم في علوم الآفاق والأنفس ..؟!

لقد أعدَّ الصحابة أحسن ما يستطيعون من القوة التي كانت في عصرهم؛ **فهل أتقن الدعاة اليوم استخدام جوانب القوة التي برزت في هذا العصر (قوة العلم - الاقتصاد - الإعلام ...)**؟

ويحضرني كلام الأخ القارىء من شيكاغو (في صفحة ٨٢ من العدد ٥٥ من مجلة الأمة) عن هجرة الأدمغة العربية .. يشكو فيه من أن هؤلاء الذين حصلوا

■ ميزة هذه المناقشة أنها تفسح المجال لوجهات النظر المتنوعة ، حتى المتعارضة منها أحياناً ، ليتحقق للمسلمين بشكل عام ، وللعاملين في الحقل الإسلامي بشكل خاص رؤية خصبة لجميع جوانب الأزمة التي يعاني منها الواقع الإسلامي .. وليبصروا ما يدور بعقل النخبة ، أو من يسمون بالقيادة الفكرية ، من طرائق للعلاج .

ونعود إلى التذكير بأن لامجال للتخوف على القضية الإسلامية من الحوار وبيان العلل والأمراض التي يعاني منها الجيل المسلم بحجة أن ذلك يسهل على الأعداء مهمتهم في حربهم للإسلام والمسلمين ، وإنما التخوف من إلغاء الحوار واستبقاء الأمراض التي تمكن للعدو منا على كل حال ... ولو أخذ المسلمون هذا في اعتبارهم تاريخياً لتعطلت كل حسبة ، وانطفأت كل فاعلية ، وغابت كل رقابة ، ولانقلب العمل الإسلامي إلى لون من الكهانة وضرب من التعصب يساهم في الإبقاء على الأخطاء ، وحماية الانحراف .. والله تعالى يقول : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ... ﴾ (التوبة : ٧١) ■

[التحرير]

● قد تكون مشكلة المسلمين اليوم هي عدم التمييز بين المحن التي لا بد أن تواجهه كل دعوة إصلاح وبين المصائب التي تأتي نتيجة لأخطائنا .. ●

الاختصاصات العالية من المسلمين المهاجرين (**إذا فكَّروا بالعودة إلى بلد إسلامي عربي عوملوا على أنهم منتفعون** .. **وإذا أعطوا مراكز أو مهام غالباً ما يكونون أدنى من أقرانهم الأمريكيين الغربيين ، بينما هم في بلاد الغرب التي تنظر إلى مردود العمل قبل جواز السفر** ..) إن القارىء الكريم يشكو ويعتصر قلبه ألماً من وجود الأسباب الخارجية التي يشير إليها الدكتور .. **فماذا نفعل نحن وقلوبنا تعتصر فجيعة لفقدان النخبة المختصة من شبابنا وقد خلت منهم ساحة العمل في عالمنا** ..؟!

هل الحل هو أن نطالب الشياطين بالتوبة إلى الله ؟! أم نقعد منتظرين ونحن نجأر إلى الله تعالى أن يستأصل شأفة الشياطين من وجه الأرض حتى نعمرها بالخير والصلاح ..؟!

وهل بنى رسول الله ﷺ مجتمعه بإعطاء الحقوق والمراكز والأجور لأصحابه ..؟! **فماذا أعطى لمصعب بن عمير على المهمة التي قام بها في المدينة ؟! وما هو الأجر الذي تقاضاه المسلمون على بناء المسجد الأول ، وحفر الخندق ، والخروج في السرايا والغزوات** ..؟!

إن الدعاة إلى الله هم أول من ينبغي أن يدرك أن المجتمع يبنى ببذل الواجب والتضحية بحظوظ النفس ، وإنه لمن المؤلم أن يغيب ذلك عن ذهن المسلم ، بينما نجد **غاندي** ـ الزعيم الهندي ـ يعود من إنجلترا إلى بلده ـ بعد إنهاء تحصيله العلمي ـ لإنقاذ أمَّته ، فيلبس من الثياب أخشن ما يلبس قومه .. ويتنقل بين القرى سيراً على الأقدام ـ وكثيراً ما يكون حافياً ـ يرفض أن ينتقل أو يركب لأنه يريد أن يكون واحداً من شعبه ، يحسّ بآلامهم ومعاناتهم .. إذ كيف يتسنى له أن يفكر بحلول لمشاكلهم دون أن يتذوقها ويعاني منها ؟!

المشكلة إذنْ لا تنبع من الأسباب الخارجية .. فالعقبات والمعوقات موجودة دائماً .. بل إن من المفكرين من يجعل وجودها شرطاً لحدوث الحركة والنهضة .. فالمؤرخ **توينبي** مثلاً حين يتأمل السبب الذي يجعل الأمة تنتقل من السكون إلى الحركة يقول : إنها عقبات وتحديات تتعرض لها الأمة فتتحرك للخروج منها . وإن كان يشترط فيها ألَّا تكون ضعيفة ولا ساحقة ، وإنما بدرجة مناسبة .

والله سبحانه بحكمته وعلمه قد قضىٰ أن يهبط الشيطان مع آدم إلى الأرض ليختلق له العقبات ، وعندها يتحرك الإنسان ويستنفر ذكاءه وطاقته للتغلب على العقبة ﴿ **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ** ﴾ وعندها يبدع الإنسان ويرتقي . ولهذا نركز في بحثنا عن موضع الخلل في العمل الإسلامي على الأسباب الداخلية .

النجاح .. والإخفاق

ثم يقول الدكتور : [**على أنه لا ينبغي أن نجعل النجاح والإخفاق هما مقياس الصواب والخطأ ومعيار الحق والباطل ، فمن نجح فهو مصيب ، ومن أخفق فهو مخطىء .. فهذا مقياس مردود يرده الدين والمنطق والتاريخ والواقع**] .. وهنا شعرت بالحاجة إلى الدقة والتوضيح ولا بد من الفهم السليم حتى لا يسحب بساط السنن من تحت أقدامنا ، ولكي نتمكن من عبور متاهة العبثية المظلمة إلى النور ، خاصة وأننا حديثو عهد باليقظة ، ومن العجيب أننا أمة القرآن الذي أعطى جانب

أين الخلل؟ قضية للمناقشة

السُّنَن في القرآن

السنن من الأهمية ما لم يعطه أي كتاب آخر .. قد أغفلنا هذا الجانب السنني العلمي في ديننا .. حتى وصفنا بعض المستشرقين بالنظر الذاتي والفكر الغيبي (يقصدون بذلك الفكر الخرافي الذي لا يؤمن بالقوانين والمنهجية العلمية والذرية في رؤية الأحداث وتحليلها : أي العجز عن رؤية الارتباط في الأحداث بين الأسباب والنتائج) ..!!!

حقاً إننا بحاجة إلى إعادة ترتيب متاعنا الفكري .. ورحم الله ابن تيمية فقد كان سابقاً لعصره في نظرته السننية .. **يذكر ابن كثير عنه أنه كان يشجِّع الناس والأمراء على حرب التتار ، ويحلف لهم أنهم منصورون .. فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله !! فيقول : إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً .. وإن وعد الله كان مفعولاً .**

السنن في القرآن

فالقرآن يقرر أن أمور الدنيا تجري بحسب قواعد وقوانين .. ويعلق في آيات كثيرة أن الحق هو الذي سينتصر :

﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ . وأن جنده هم الغالبون : **﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾** (الصافات : ١٧٣)

وهو في ذلك لا يشير إلى النجاح في الآخرة فقط بل إن القانون يشمل الدنيا : **﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾** (النور : ٥٥) ، وهو يطلب من الناس أن ينظروا في نتائج الكافرين : **﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾** (آل عمران : ١٧٣) ، ويعلِّم اتباعه أن يتحدّوا الكافرين بالعواقب : **﴿ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ . وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾** (هود : ١٢٢) فالنتائج هي التي تحكم بيننا وهي التي ستشهد لأصحاب الحق .

والقرآن يسمي هذه القوانين التي تقرر نجاح أصحاب الحق وخذلان الباطل وأهله سنناً . ويؤكد ثباتها وديمومتها .. فهو حين يتحدث عن تنكيل الله بالمنافقين في الدنيا إن لم ينتهوا عن أعمالهم يسمي ذلك سنة **﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾** (الأحزاب : ٦٢) فهي القاعدة الثابتة التي حكمت حياة الناس على الأرض .

ويتحدث عن المكر السيء : **﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً . أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴾** (فاطر : ٤٣ ـ ٤٤) .

غير أن القارىء قد تمر معه في ثنايا القرآن آيات أخرى قد تبدو معارضة لهذا الخط ، مثل قوله تعالى :

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ . مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ

● **لقد أعد الصحابة أحسن ما يستطيعون من القوة التي كانت في عصرهم ، فهل أتقن الدعاة اليوم استخدام جوانب القوة التي برزت في هذا العصر ؟! ●**

● أصحاب الباطل قد يحصلون على نجاح مؤقت إن خدموا باطلهم، لكن البناء الذي أسس على قواعد فاسدة لا بد أن ينهار. ●

الْمِهَادُ ﴾ (آل عمران: ١٩٦ - ١٩٧)، وقوله:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ (الأنفال: ٢٥)، وخبر أصحاب الأخدود الذين أحرقوا المؤمنين ... إلخ ..

فكيف نفهم هذا ؟!

[١] النتائج العاجلة والنتائج البعيدة المدى

وهو أول تمييز ضروري ينبغي لنا أن نتأمله .. فربما يستمتع شارب الخمر أياماً .. لكنه على المدىٰ الطويل سيصاب بعلل وآفات جسمية ونفسية وعقلية واجتماعية لم تعد تخفى على أحد .. ولقد عذَّب فرعون السحرة حين آمنوا .. لكنه هو الذي خسر الجولة في النهاية .. وهذا ما أشار إليه السحرة المؤمنون عندما واجهوا المحنة على يد فرعون، وهو يقول لهم متبجحاً:

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَىٰ ﴾ فردُّوا عليه بسكينة ويقين من أدرك قانون الله: ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (طه: ٧٣).

فالقرآن يحذِّر من الاغترار بالنتائج السريعة العاجلة .. فهي كالزبد الرابي ينتعش برهة لكنه سرعان ما ينطفىء: ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الرعد: ١٧). فأصحاب الباطل قد يحصلون على نجاح مؤقت إن خدموا باطلهم بإخلاص وتفانٍ، لكن البناء الذي أسس على قواعد فاسدة لا بد أن ينهار:

﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ ﴾، وقديماً قيل: من يضحك أخيراً يضحك كثيراً ..

[٢] سنة الابتلاء هي غير نتائج الأعمال

فلا بد من التمييز بين المحن التي لا بد أن تواجه كل دعوة إصلاح:

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ .. (العنكبوت: ٢ - ٣) وبين المصائب التي تأتي نتيجة لأخطائنا .. فالقرآن الذي يؤكد على سنة ابتلاء الله لعباده المؤمنين:

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ (آل عمران: ٨٦) يؤكد أيضاً على أن الفشل والفساد هو من صنع الناس:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم: ٤١).

فلقد عُذِّب آل ياسر وبلال وغيرهم في بداية الدعوة .. وكانت صحيفة المقاطعة التي ضيقت على المسلمين حتى أكلوا أوراق الشجر .. وكان عام الحزن .. وكانت حادثة الرجيع، ثم بئر معونة التي قتل فيها غدراً قرابة أربعين من القراء الذي أرسلهم النبي ﷺ دعاة إلى الله بين القبائل بعد أن تكفَّل المشركون بحمايتهم .. إلى غير ذلك من المحن التي ابتلي المسلمون بها دون أن يكون لهم يد في حدوثها .. **ولو كانت هذه المحن نتائج لأخطاء ارتكبها المسلمون لما سكت القرآن عن ذلك ..**

لقد كانت الدعوة تمشي بحسب سنة الله: دعوة ثم ابتلاء، ومحن ثم صبر وتمسك بأمر الله .. ثم نصر.

ولم يكن ذلك بالأمر اليسير على النفوس .. لكنه هو الطريق الوحيد للوصول إلى الهدف:

﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ .. وحتى صلح الحديبية .. لقد بدا في ظاهره وكأنه في مصلحة المشركين .. وكره بعض المؤمنين ما حدث فيه من رد بعض المؤمنين الذين حبستهم قريش عن اللحاق برسول الله ﷺ .. لكنه على المدىٰ الطويل كان هو الفتح المبين. ورغم هذه المحن والآلام التي مر بها المسلمون فقد كان خط الدعوة في تقدم .. لأن المحن هي نتائج عاجلة وأمور عارضة لا بد من الصبر عليها حتى يأتي أمر الله .. ويأتي ما هو خير وأبقى ..

أما المصائب التي كانت نتيجة لضعف المسلمين وخطئهم فلم يكن القرآن يسكت عنها بل يشرح أسبابها ويحمِّل المسلمين

المسؤولية كاملة عنها . كما حدث في أحد : ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ (آل عمران : ١٦٥) . وكما حدث عند أزمة حادثة الإفك ... إلخ .

وهذا يقتضي منّا تدقيقاً بصيراً حتى نميز فيما يحدث لنا بين ما هو محنة وما هو نتيجة لإهمال أو نقص في الإخلاص أو الصواب .

[٣] النتائج في الدنيا جماعية وفي الآخـــرة فردية

وهذا ما نبّه إليه رسول الله ﷺ عندما سألته زوجه عائشة رضي الله عنها : « **أنهلك وفينا الصالحون ؟** » قال : « **نعم ، إذا كثر الخبث** » [مختصر صحيح مسلم للمنذري : ١٩٨٧] ، وهذا ما أشارت إليه الآية :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ . فالنتائج في الدنيا تأتي بحسب الأكثرية ، لأن النتائج هي محصلة مجموع أعمال الأمة ، فإذا كانت الأكثرية جاهلة بقوانين الصحة تعرض المجتمع كله للأوبئة .. ولهذا تأتي الآيات التي تعد بنجاح الدنيا بصيغة الجماعية .. فهي تعد بالنصر جماعة المؤمنين إن استقامت وقامت بأسباب النصر :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ .. وأما حين تخاطب الداعي كفرد فهي لا تجزم بأنه سيرى في الدنيا النجاح :

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ (الرعد : ٤٠) .

فالإنسان في الدنيا يضره ضلال المجتمع وفساده وتخلفه ، ويؤثر عليه وعلى أسرته .. فيعرضه للأذيّة في سائر جوانب حياته . أما في الآخرة :

﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (المدثر : ٣٨)

﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ (مريم : ٨٠) ولهذا قتل بعض الأنبياء وكثير من المصلحين بطغيان وجهل الأكثرية .

سنّة الهداية

وأما **نوح** ـ عليه السلام ـ فقد نجح في دعوته وجاءت النتيجة في الدنيا :

﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴾ (نوح : ٢٥) لكنه لم يستطع هداية ابنه . لأن للهداية سنّة :

﴿ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ (الرعد : ٢٧)

كما قيل لرسول الله ﷺ في عمه أبي طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ فقد لا تستطيع هداية إنسان بعينه مهما بذلت له من جهد ، لأنه يملك حرية الاختيار ، ولا بد أن يتحرك هو نحو الخير حتى يحدث التفاعل . لكن الداعي حين ينذر نفسه للقضية ، ويلتزم منهج القرآن في الدعوة ، ويأخذ بسنن تغيير النفوس يستطيع أن يحقق الجماعة المهتدية .. ثم تنمو الثمار ويأتي النصر .. **ونوح ـ عليه السلام ـ وإن لم يُغيِّر ابنه .. لكنه غيَّر حياة مجتمع بأسره** .

دعـــوة محمـــد ﷺ

وهكذا كان عمل رسول الله ﷺ فلقد حقق المجتمع الإسلامي باستخدام السنن والقيام بالأسباب .. بينما كان أكثر الأنبياء من قبله ينتصر بمعجزات قاهرة .. ولهذا يقال : انتهى زمن المعجزات .. وكما يقول **سيد قطب** ـ رحمه الله ـ **إن الله جعل هذا الدين يتحقق على الأرض بجهد البشر .. لا بطريق سحرية غامضة** .

ومن هنا كانت دعوة محمد ﷺ منهجاً للدعاة من بعده :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب : ٢١) . فلقد كانت حياته ﷺ حافلة بالجهد والاجتهاد في توفير أفضل أسباب النصر لدعوته .. رسم منهاجاً دقيقاً لتغيير النفوس طبّقه على أتباعه وأعدائه حتى رسخت قواعد بنيانه .

وعلى هذا فإن قولهم : (**عليَّ أن أسعى وليس عليَّ تحقيق النجاح**) صحيح على مستوى فردي . أما على مستوىً جماعي فإذا استمر الفشل على المدى الطويل فلا بد من المراجعة . وسنن الله هنا : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ .

هل للمستوى الجماعي حـــد معـــين ؟

هل يعني ذلك أن النتائج لن تأتي حتى يصبح المؤمنون هم الأكثرية في المجتمع ؟ إن هذا من شأنه أن يحيل الأمر إلى ضرب من الخيال .. ولكن يمكن أن نقرب الموضوع بتشبيهه بالمستوى الصحي في المجتمع . إذ لا يشترط ـ لتحقيق ذلك ـ أن يصبح الأكثرية أطباء .. ولكن من المتعارف عليه الآن أن عدد الأطباء يجب أن يكون متناسباً مع تعداد الأمة حتى تجتاز العقبة الصحية (وهم بلا شك يحددون نسبة مئوية معينة في ذلك) .

والمجتمع المسلم الأول حين قام في

• إن لكل علم مختبراً تجرىٰ فيه التجارب لكشف القوانين وتسخيرها ؛ والتاريخ هو المختبر الذي تكشف فيه قوانين العلوم الإنسانية . •

المدينة لم يكن أهل المدينة كلهم مسلمين .. لكن أكثر أهل الحل والعقد في المدينة (وهم الذين يثق بهم الناس ويسلمون لهم) هم الذين آمنوا وسلموا الأمر إلى رسول الله ﷺ وطلبوا منه أن يحكِّم فيهم شريعة الله .

وكثيراً ما كنت أقف عند الحدين اللذين وصفهما القرآن الكريم لتحقيق النصر :

﴿ إن يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإن يَكُنْ مِنكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ (الأنفال : ٦٥ - ٦٦) .

فهل يمكن أن نستنتج من الآية : أن الحد الأدنى العددي للمؤمنين مقابل الآخرين نسبته : واحد إلى عشرة . على أن يكونوا من النوعية المتينة الصابرة .

فإذا كانت النوعية دون المستوىٰ اللازم اقتضى ذلك تكثير العدد إلى أن يبلغ حداً أعلى فتصبح النسبة : واحداً إلى اثنين .

إنها إشارة واضحة في القرآن إلى أهمية الكمية الكافية من النوعية اللازمة .. وأما تحديد النسبة الكافية فهو أمر لا أخوض فيه لأنه من اختصاص علماء الاجتماع المسلمين .

موقف التاريخ

هذه بعض ملاحظات قدمتها فيما يتعلق بموقف الدين من النجاح والفشل الدنيوي .

فهل يختلف التاريخ عن الدين في تقريره لهذه الحقائق ؟

إنَّ القرآن يطلب من الناس أن يعودوا إلى التاريخ ليسمعوا شهادته **﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً ﴾ (الطلاق : ٨)** .

إن لكل علم مختبراً تجرىٰ فيه التجارب لكشف القوانين وتسخيرها .. والتاريخ هو المختبر الذي تكشف فيه قوانين العلوم الإنسانية .. إذ ليس من المعقول أن نضع الأمم في حقل تجارب كي نستخلص قوانين الحياة البشرية .

ولكن هل سار المسلمون في الأرض واستنطقوا الآثار ؟

ولو سبر المسلمون أغوار التاريخ لاستطاعوا أن يأتوا به كشاهد عدل يقرر أحقية السنن التي قررها القرآن .

وأنا في هذا المجال لا أدَّعي الإلمام بالتاريخ .. لكنني انطلاقاً من إيماني بالله أو من أنه يسير في ركاب القرآن ويشهد له ، وإن كان لي أن أشير إلى لقطة واحدة منه تتعلق بموضوعنا .. فإنني أذكر قول « **توينبي** » في تاريخه عن النصرانية بأنها قد انتصرت بالوداعة والتضحية واكتسحت جبروت الرومانية التي حاولت لعدة قرون أن تضطهد رجالها وتستأصل شأفتهم .

[فانتصرت روح الاستشهاد أو النصرانية في النهاية على سيف الحاكم الروماني] .

وبعد ؛ فإن حركة النهضة في عالمنا قد تزامنت مع حركات أخرىٰ في العالم ، كاليابان والصهيونية .. أما هم فقد فرضوا أنفسهم على المجتمع الدولي .. وأمَّا نحن فقد مكثنا نراوح في مكاننا .. فهل كتب الله أن ينصر اليهود والبوذيين ويخذل المسلمين ؟!

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً . وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ﴾ (الإسراء : ١٨ - ١٩) إنَّ القرآن يقرر أن من أراد الدنيا وقام بسننها حصل على نتائجها - وإن لم يكن مؤمناً - خاصة إن غاب المسلمون عن ميدان العلم والسنن والعمل الفني المخطط .. ومع ذلك فإن نجاحهم مؤقت يمثل نتائج عاجلة لا بد أن يقضي عليها فساد المثل الأعلى الذي يخدمونه . **لكن المهم هو نحن .. ما علَّتنا ؟ وأين يكمن الخلل في حركاتنا الإسلامية ؟! أهو في الكمية ؟ أم في النوعية ؟**

أهي أزمة إخلاص ؟ أم أزمة علم وصواب ؟

بقلم : سليمان الأمين

المسلمون أمام التحدي التكنولوجي

■■ شهد العالم خلال العقود القليلة المنصرمة قفزات جبارة في شتى مجالات المعرفة غيَّرت وجه العلوم والمدنية ومكَّنت الإنسان من موارد جديدة غير موارد الأرض والطبيعة ، وفي مقابل تقلص ارتباطه بالطبيعة ألحقت هذه التطورات تغييراً واضحاً في واقع العيش وكادت تفرض على المجتمع مناهج وقيماً « اصطناعية » جديدة غير تلك المعايير القيمية الموروثة ، كما أنها هددت باكتساح البيئة وتدميرها بعد أن اقتنع الإنسان بأن « مكاسب » الثورة العلمية مؤهلة لتعويض الهبات البيئية على صورتها الجاهزة في الطبيعة ، والأخطر من هذا وذاك أن التغير الصناعي الجذري على مكاسبه ومضاره المباشرة لم يغْدُ كونه إنجازاً حضارياً انطلق ويستمر خارج الموقع الإسلامي وبعيداً عن موقع الشعوب الفقيرة في العالم ، وهذا يدعم كل المحاذير السابقة بخطورة التكنولوجيا من حيث هي دعامة للقوة الغربية وسلاح في أيدي أغنياء العالم . ولئن ظل المحرومون من ثمارها يصرون على فرض صبغتها الإنسانية مبررين بذلك برامجهم الرامية إلى اكتساح ميادين التطور العلمي والتقني ، فإن مثل هذا المشروع يعني بالنسبة للشعوب الإسلامية مجرَّد اللحاق بركب الدول المصنعة وإلَّا لما تأخرت مثل هذه التنمية المادية وتعمقت الشقة بين الشمال والجنوب .. ولما استلزم التطوير الصناعي في بلداننا أكثر من اجتهاد ورصد فني بحت ، ولكن المشكلة في الواقع هي مشكلة حضارة .. ولهذا فإن المطلوب هو إعادة طرح السؤال طرحاً صحيحاً لأن ذلك يضمن حسن فهم أسباب التخلف مجتنبين بالتالي مغبَّة الوقوع في الحلول الإسقاطية وسوء الظن بالإمكانات الذاتية ، الكامنة والمهملة .

التكنولوجيا ... ضرورة

تُعرف التكنولوجيا على أنها الجهد المنظم الرامي لاستخدام نتائج البحث العلمي في تطوير أساليب العمليات الإنتاجية فهي مجموع الوسائل يسخرها الإنسان لبسط سلطته على البيئة المحيطة به لتطويع ما فيها من مواد وطاقة وإشباع احتياجاته المتمثلة في الغذاء والكساء والتنقل ومجموع السبل التي توفر له حياة رغدة متحضرة آمنة . وتتضافر الآن عوامل كبيرة من شأنها التشجيع بإلحاح على استيعاب التقنيات الحديثة ونجتزىء منها ما يلي :

١ ـ قدرة الآلة على العمل المتواصل فلئن كان لا يسع الإنسان بذل أكثر من (١٥٠) واط من الجهد وذلك على مدى ساعات محدودة فإن الآلة لا تكل ولا تمل فهي قوة عمل عمياء .

٢ ـ تتوفر في البلاد المصنعة إمكانات عريضة لاستخدام وسائل التقنية في الرفع من مستوى العيش ومضاعفة الدخل الفردي ، مثال ذلك أن ٩٠٪ من تطور ناتج الفرد الأمريكي ـ كما أثبتت ذلك دراسة ميدانية في الولايات المتحدة الأمريكية ـ ليس من شغل أو رأس مال وإنما لتطور تكنولوجي .

٣ ـ تعاني الشعوب المتخلفة في العالم وعلى رأسها الشعوب العربية من ضعف الإنتاج الزراعي نظراً لأهمية المناطق الجافة (٤٨ر٣٥٠ ألف كلم٢) أما المناطق الصالحة للزراعة فإن نصفها فقط يستغل وتبعاً لذلك يقع اللجوء لاستيراد المواد الغذائية وتتفاقم مديونيتها في حين أن سبل تحقيق اكتفائها الذاتي تستدعي تنسيقاً فعلياً لتوظيف القدرات التقنية المتاحة .. فهي حينئذ سبل متوفرة في شكل كم مهمل ينتظر التشغيل ، ذلك أن الدول العربية تنتج كميات هائلة من الفوسفات ، وهي مادة يمكن تحويلها لسماد صالح للاستهلاك الزراعي ، ورغم ذلك فإن الصناعة التحويلية لا تساهم إلا بـ٧٪ من الناتج العربي ، هذا علاوة على أن بعض الدول العربية قطعت أشواطاً بعيدة في ميدان التكنولوجيا الزراعية مما يحسن الاستفادة منها على نطاق أوسع على غرار الخبرة الكويتية في تحلية مياه البحار وتقطيرها .. فالبيئة الزراعية العربية ليست مناسبة للتقدم التكنولوجي فقط بل هي تفرض بذل

مجهودات مضاعفة من أجل إرساء قواعد علمية ثابتة تفي بحاجيات الفلاحة لتلافي العجز الكمي الفادح في المواد الغذائية وذلك بتطوير هندسة الحياة وغيرها .

إن فقدان المسلمين للقوة التكنولوجية يعرضهم لأخطار النفوذ الغربي المتزايد ويمنح الدول الغنية أكثر من فرصة لاستبعاد النهضة الحقيقية في العالم الإسلامي . وحسبنا الإشارة إلى حالات الحرب التي تنشب من حين لآخر ويكون فيها للغرب دور توجيهها . أما إذا كانت المعدات العسكرية التي تقدَّم للمتنازعين مجرَّد هبات دون مقابل فإن التبعية تستحيل تلقائياً إلى خضوع مباشر للغرب .

٤ - التطور التكنولوجي والعلمي المعاصر يتضمن ثماراً لا يزال يغفل عنها كلا الطرفين الحائز والطالب له ، « إذ بإمكاننا نظرياً الآن إذا ما توفرت الموارد اللازمة ، والأشخاص اللازمون أن نسيطر على التطور الاجتماعي والتطور الإنساني » (ب . ف . سكينر) فلو استثمرنا هذه المزية : إحكام القبض على عوامل النمو داخل المؤسسات المجتمعية وعوامل إسعاد الإنسان وسعينا إلى ترشيد نسق التعامل مع معطيات العلم لكان لدينا أمل التحرر وقاربنا النهضة المنشودة . ثم إن المسلمين لن يفلحوا ما لم يعوا متطلبات هذا « العصر العلمي » ويتخذوا من « فضائله » التقنية والمادية قاعدة لمعالجة مشاكلهم الخصوصية والانتصار حقاً في معركة الحضارة .

والمحاذير ... كثيرة

بيد أن التأكيد على مشروعية اكتساب التكنولوجيا وتطويرها لا بد أن يسبقه فحص موضوعي لجميع المشكلات التي تحف باستعمال التكنولوجيا لتسجيل القدر اللازم من الحيطة والتحفظ ودفع عناء نحن في غنى عنه وأقتصر على بعض الملاحظات :

(أ) العامل البشري مؤثر أساسي في تسيير التطور التكنولوجي فهو المسؤول الأول عما يتم من ممارسات خاطئة ودمار .. فالتكنولوجيا تشكل إحدى الفرص التي إذا أسيء استعمالها تنقلب وبالاً على البشرية ؛ لهذا نشير إلى أن الميزة غير الإنسانية التي اصطحبت التقنية الحديثة عموماً ليست إلَّا معبراً عن فشل الرجل الغربي في إحكام القبضة على مجمع آلاته ، ففي البرازيل كانت مؤشرات التلوث وأمراض البيئة والصحة العامة للأفراد تسير وفق المعدلات العادية للدول النامية ، وعندما حصلت على حق إنتاج السيارة الألمانية الشعبية بإنتاجية وطنية تناهز ٩٥٪ وبسعر منخفض تهافت عليها المواطنون فنتج عن ذلك تغير واضح في البيئة ، فساء الجو وارتفعت الحرارة وضاق التنفس وصار المنظر كئيباً واعترى الأفراد ارتخاء وميل للتحرك في السيارات وبرزت أمراض جسدية لم تكن معروفة من قبل .

ويصور « إريك فروم » هذا التخبط المقيت الذي وقعت فيه تجارب الدول الليبرالية « إن المجتمع التكنولوجي عندما يركز على ضرورة الوصول إلى أقصى درجة من الإنتاج فإنه يحول البشر إلى أشخاص جامدين تضعف فيهم قوى الابتكار والتخيل » .

(ب) قد تكون الآلية سبباً ينمي أزمة البطالة فتكون عامل شقاء ومعاناة . ففي بريطانيا اليوم حوالي مليوني عاطل ونصف المليون ويتوقع أن يرتفع في أواخر الثمانينيات إلى ستة ملايين ، وهذا التوقع المتشائم ليس إلَّا وجهاً من وجوه المحنة التي قد تسببها التكنولوجيا ، كما أن توقعات أخرى تشير إلى خطر نفاد العديد من المواد الأساسية للصناعات المتطورة ، ومن المعروف أن حركة المصانع لا تني - في جميع أنحاء العالم - تنتج سنوياً مئات الملايين من الأطنان من المخلفات الضَّارة التي تلوث الجو وتجعله ضاراً وخطراً على حياة النبات والحيوان . وقد لاحظت إحدى الدراسات المنشورة على أعمدة عدد من مجلة « الأمة » أنه في حالة استمرار زيادة توليد الطاقة بالوقود التقليدي بنسبة ٤٪ فإن غاز ثاني اكسيد الكربون سيزيد بنسبة ١٥٪ في نهاية القرن مما سيجر زيادة في درجة الحرارة من ١,٢ إلى ٣ درجات مئوية ، وهذا ما يهدد بتغييرات بيئية كثيرة .

(ج) المفهوم السائد في نقل التكنولوجيا يجعل من العلاقات القائمة بين الشمال والجنوب (عمودياً) علاقات استغلال محض ومطلق ، فالشركات المتعددة الجنسية تحتكر ٩٨٪ من براءات الاختراع في « العالم الثالث » في حين لا يزال هذا الأخير جزءاً مهماً من الاقتصاد الغربي الرأسمالي العالمي .. وهذه السمة (التبعية) جعلت الأزمات في الأقطاب تتحول إلى الدول الضعيفة منتجة صعوبات في موازين المدفوعات ، وبتأثير التضخم المطرد تتدنى نسب التبادل التجاري للبلدان النامية وتعاني من مشكلات في موازين مدفوعاتها ، ومن أتعاب مديونيتها المتراكمة باطراد مما يعمق التذيل والتبعية لأقطاب النظام الرأسمالي العالمي ، فيتحول « تفتح » الدول الغربية التقني المزعوم إلى حصان طروادة تنفذ به لأغراضها وتجرُّ بِهِ للعالم الضعيف الويلات والأزمات . يقول (ستريتن) في هذا الصدد : « نماذج التكنولوجيا الغربية قد لا تكون مناسبة للدول النامية ، وعملية نقل التكنولوجيا تحمل في طياتها امبريالية ثقافية أو استعماراً جديداً » .

إن إرساء قواعد ثابتة للتطور الحضاري الحديث في الدول العربية يستلزم الربط مع ميزات العقل العربي لإيجاد نمط للنهضة أصيل ومنسجم مع الروح الذاتية .. فالعالم ابن الهيثم نظر من قبل للمنهج العلمي وكان يقول : « طالب الحق هو المتهم لظنه في المتقدمين المتوقف فيما يفهمه عنهم المتبع الحجة والبرهان لأقوال القائل الذي هو إنسان المخصوص في جبلّته بضروب الخلل والنقصان » ، والممارسة التقنية المنهجية تقتضي ابتداء تهيئة العقول وإشباعها بالروح العلمية من التعليم الابتدائي ، ولعل هذا ما حدا بالأستاذ (ج . ب . هاربسون) إلى اقتراح برمجة جديدة للتعليم بـ :

١ - قلب النسق التقليدي للدراسة فهي لا تنتج إلا التميز الأكاديمي .
٢ - تشجيع ملكة الابتكار .
٣ - تركيز علوم مختلفة تغذى بتطبيق معلوماتها في المجال العملي . ومن أوجه أهمية هذا الشرط أن تطبيق التكنولوجيا المتطورة الحديثة وهي المرتكز الأساسي للتنمية الزراعية الكافية للتميز بين التقنية ، ونتاج التقنية إذ لا بد من الوعي بأننا لا نستورد حالياً التقنية بل مظاهر وأشكالاً خارجية لا تغني عن التأسيس للتقنية الحقيقية التي لا تكون ناجعة إلا إذا صنعت خصيصاً لواقعنا ووفقاً لظروفنا الخاصة .

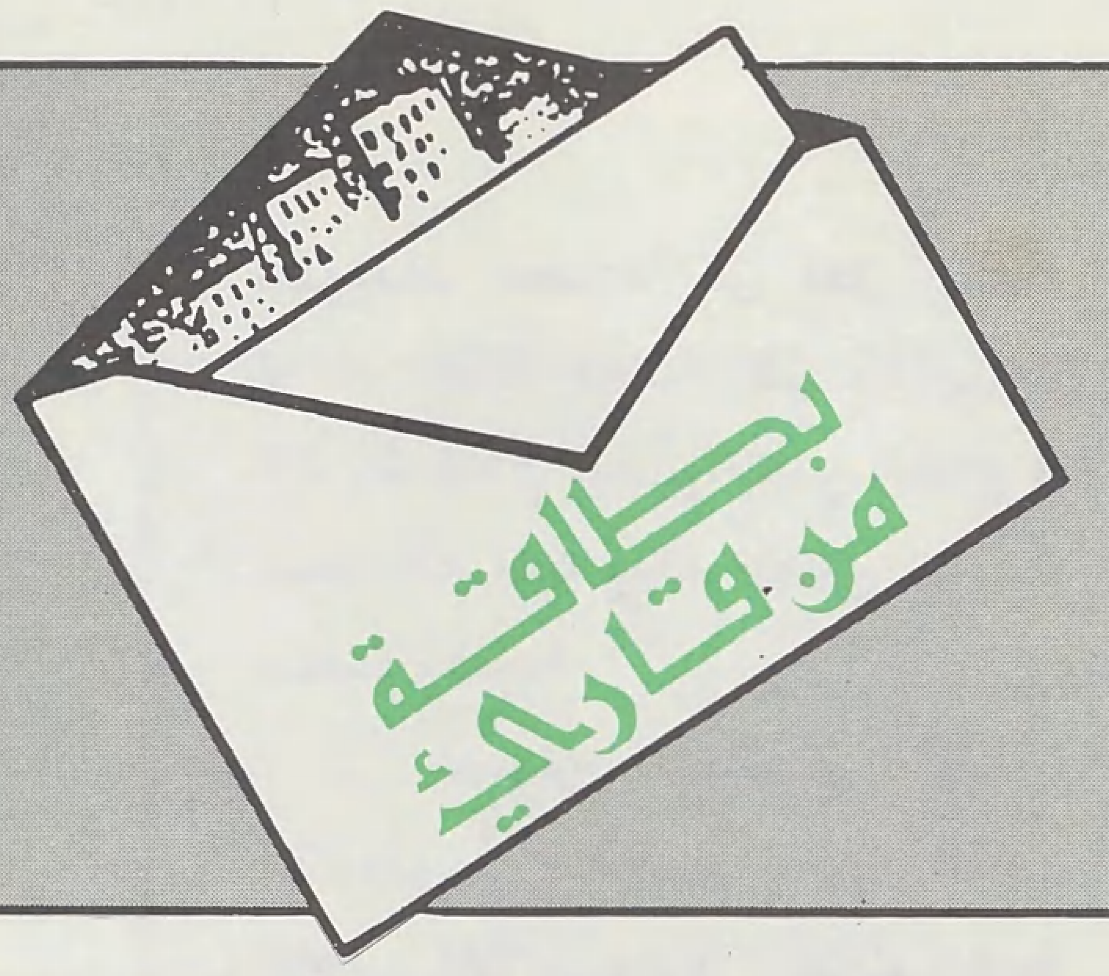

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيَّة . ومن ثَمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوِّماتها .. أو يبصِّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوِّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلَّ ودل □

بالأرقـــــــــــام !

□□ دماغ الإنسان البالغ يزن حوالي (١٤٠٠) جرام وهذا يعادل فقط من ٢ إلى ٣٪ من مجموع وزن الجسم .. ولكن الدماغ يستهلك خلال ٢٤ ساعة ما يعادل ٢٠٪ من حجم استهلاك الجسم من الاوكسيجين ، كما يستهلك ٢٥٪ من مجموع السكر الوارد إلى الجسم ، وإذا أردنا أن نعبِّر عن ذلك بالأرقام علمنا أن (١٠٠٠) لتر من الدم تعبر الدماغ يومياً يستخلص منها (٧١) لتراً من الأوكسجين ومائة جرام من السكر □□

صحيفة : [النور] المغربية ـ القارئة : زهراء مبروك ـ [المغـرب]

الحجج والأرقام الأمريكية

□□ تقول اللجنة الأمريكية للاجئين : إنَّ هناك حوالي تسعة ملايين لاجىء في العالم ، منهم :

- ٢٣ الف لاجىء من النظام ، غير الشرعي ، في نيكاراجوا .
- مليون و(١٠٩) آلاف لاجىء من الجفاف ، وأيضاً من الماركسية البغيضة في إثيوبيا .
- (٧٩) الف لاجىء من النظام الشيوعي الاضطهادي في فيتنام .
- بضع مئات آلاف اللاجئين من الاحتلال الشيوعي المرفوض والمكروه في أفغانستان .

وبكلمات اخرى ، فقد اعتبرت الولايات المتحدة في كل من الحالات السابقة أن سبب وجود اللاجئين هو طغيان النظام وظلمه وعسفه وعدم شرعيته ..

غير ان الأرقام الأمريكية نفسها تقول : إنَّ ربع اللاجئين في العالم تقريباً هم من الفلسطينيين ، وبالتحديد ٢٫٠١٧٫٠٠٠ نسمة ، لا يشمل رقمهم بالطبع مليونين آخرين في فلسطين الأصلية والأراضي التي احتلت بعد سنة ١٩٦٧م .

فإذا استعملنا الحجج والأرقام الأمريكية وقلنا : إنَّ (١٢٠) الف لاجىء من بولندا يجعلون نظامها فاسداً قمعياً ، و(٢٣) الف لاجىء من جنوبي افريقيا يجعلون نظامها عنصرياً شريراً ، و(٧٥) الف لاجىء من كمبوديا يجعلون نظامها مجرماً متعسفاً ، فماذا يجعل اكثر من مليوني لاجىء فلسطيني صفة إسرائيل عند الإدارة الأمريكية ؟! □□

[الشرق الأوسط]

القارىء : بدر نوفل ـ [جدة ـ السعودية]

النشـــاط التنصـيري يقلق إسـرائيل !!

□□ تقول صحيفة ، يسرائيل شيلانو ، إن اكثر من ٣٠ الف يهودي إسرائيلي انضموا منذ عام ١٩٦٠م إلى الطائفة المسماة ، المسيحيين العبرانيين ، ، وتضيف الصحيفة على لسان رئيس قسم الشباب في مكتب الهجرة التابع للوكالة اليهودية ، أوري جوردون ، ان المسيحيين العبرانيين يعملون تحت أسماء مختلفة مثل ، اليهود من اجل المسيح ، وان نشاط هذه المجموعة لم يقتصر على إقناع اليهود في إسرائيل وامريكا باعتناق النصرانية بل قامت بشراء بعض الاراضي في إسرائيل ، وهي تريد ان تقيم لها قرى ومراكز تعليم ودور نقاهة . وتقع هذه الأراضي شمالي فلسطين قرب مدينة حيفا .

والجدير بالذكر ان حركة ، اليهود من اجل المسيح ، لها مراكز تنصيرية في كل مكان من القدس وحيفا وطبرية وإيلات ، وان السلطات الإسرائيلية منذ فترة تقوم بمحاربة هذه المنظمات التنصيرية إلا انها لم تنجح ، ومن ثم قامت بعض الاحزاب الدينية اليهودية بمحاربتها لدرجة الاعتداء على مراكزها . وقد قال ، جوردون ، إن نشيطي هذه المجموعات يستغلون قانون العودة ويهاجرون إلى إسرائيل على انهم يهود ومن ثم يبداون نشاطهم . □□

عن صحيفة [الرياض]

القارىء : فتح العليم الطاهر وداعة الله [السعودية]

قصـة إسـرائيل مع القوة النووية

□□ قصة إسرائيل مع القوة النووية قديمة ، تعود إلى بداية اغتصاب فلسطين ، فإسرائيل قامت فور قيامها بإنشاء مؤسسة الطاقة في يونيو ١٩٥٢م ، وتألفت ، لجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية ، وتحددت مهمتها في الآتي :

* اكتشاف إمكانية الحصول على المعادن ذات الفعالية الإشعاعية لصناعة إنتاج اليورانيوم .
* التوصل إلى عملية إنتاج الماء الثقيل على الأسس التي وضعها الدكتور ، دوسترد منسكي ، في معهد وايزمان .

وفي عام ١٩٦٠م تاسس ، المجلس الوطني للبحث والتطوير ، وكانت مهمته الحصول على اربعة عناصر ، لا بد منها لصناعة القنبلة النووية :

١ ـ المفاعلات النووية .
٢ ـ القاعدة التقنية (مراكز الأبحاث) .
٣ ـ العامل البشري (العلماء) .
٤ ـ الخامـات .

وقد لجأت إسرائيل إلى توفير هذه العناصر بطريقة او باخرى ؛ بما في ذلك استخدام القرصنة كما حصل في مدينة ، سالزبورج ، عندما اختفت شحنة حجمها (٢٠٠) طن من مادة اليورانيوم . □□

(تحقيق لمجلة تايم الأمريكية ٣٠ يونيو [حزيران] ١٩٧٧م)

القارىء : ماجد السر عثمان ـ [الخرطوم] ـ مجلة : [العالم]

معنى العلمانيـــــــــة !

□□ قد تُشعر الكلمة ـ في اشتقاقها ـ أنها تعني رفع شعار العلم ، ومن ثم فلا تعارض بينها وبين الإسلام ، بل إنها بذلك تكون إحدى وسائل الإسلام وبعض أهدافه ، وهو ما نحسب أنهم قصدوا إليه حين ترجموا الكلمة في لغتها الأصلية ليقع المسلمون في هذا الوهم ..

إنَّ العلمانية ترجمة للكلمة الإنجليزية : SECULARITY ، وهذا اشتقاق من SECULAR وهي مرادفة للكلمة الإنجليزية : UNRELIGIOUS ، اي لا ديني أو غير عقيدي ، ومن ثم كانت العلمانية تعني ، اللادينية ، .

ومن هنا نفهم إعلان بعضهم عن قيام دولة علمانية أو عن رغبة بعضهم الآخر في ذلك ..ونفهم سر اختيار الكلمة : إنها تعبر عن المقصود دون صدم المشاعر والأحاسيس ، ولنا أن نتصور الفارق بين الإعلان عن قيام دولة ، علمانية ، أو دولة ، لادينية ، □□

عن كتاب : [أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي](علي جريشة ـ محمد الزيبق) ـ القارىء : فوزي محسن منصور سيناء ـ [مصر]

الباحث عن الحقيقة : أنموذج تطبيقي

بقلم : حلمي محمد القاعود

■■ يعدّ « محمد عبد الحليم عبد الله » من الروائيين القلائل في اللغة العربية الذين ارتقوا بالفن الروائي ، وعمّقوا جذوره في تربة الأدب العربي ، وقد قدم للمكتبة العربية ثلاثين كتاباً في الفن القصصي والمقالات في فترة عمره (١٩١٣ - ١٩٧٠م) كان معظمها بالطبع في فنّ الرواية (ثلاث عشرة رواية) منها رواية مخطوطة لمّا تطبع حتى كتابة هذه السطور ، بالإضافة إلى عشر مجموعات قصصية قصيرة ، وعدّة كتب متنوعة .

وقد حظي إنتاجه ببعض التقدير والدراسة من جانب باحثين عرب وأجانب ، وترجمت بعض رواياته إلى أكثر من لغة عالمية ، ولا تزال رواياته وقصصه تحظى بالكثير من الإقبال خاصة من جانب الأجيال الجديدة التي لم تطالعه من قبل ، يدل على ذلك عدد الطبعات الذي وصلت إليه بعض الكتب .

وبصفة عامة ، فإن أدب محمد عبد الحليم عبد الله القصصي يركّز على القضايا الإنسانية ، والقيم العامة ، التي لا يختلف عليها البشر ، ويدعو إليها ، ويحبذها في إطار من الفنّ الراقي الشفاف ، وقد أخلص على مدار عمره الفني في المناداة بالأمل والتبشير به عبر الأزمات والانتكاسات التي يتعرض لها أبطاله وشخوصه ، ودائماً نجد عنصر « الخيرية » يتمدد على مساحات واسعة في عالمه الفنّي ، فينعش النفس الإنسانية بالبهجة ، ومعانقة الحياة ، والدأب على مقاومة الشر ..[1] .

لقد اتجه الإنسان فعبر عن عواطفه ومشاعره وأحاسيسه وانفعالاته في صور متعددة ، ويمكن لمن يطالع أدبه أن يجد العديد من الأنماط الإنسانية ، وإن كان معظمها ينتمي إلى الريف أو القرية في زمنها الذي مضى ، وقبل أن تتحول اليوم إلى مرحلة بين بين ، فلا هي قرية ولا هي مدينة ، حيث دخلها الماء والكهرباء والبناء على طريقة المدن ، وانتشرت فيها أجهزة الترفيه الحديثة وازداد سكانها زيادة ملحوظة ، وازدحمت بهم لدرجة أن أصبحت القرية اليوم تعاني أزمة إسكان كما المدينة تقريباً ..

وأحسب محمد عبد الحليم عبد الله قد ركّز على الإنسان الريفي أو القرويّ ، نظراً لما كان يتمتع به من صورة البراءة أو الطيبة التي لم تلوّثها أفانين الحيل والمكر والخداع ، وهي صورة تتفق مع نزعته الميّالة للوداعة والإخلاص والوفاء ، فضلاً عن كونها تناغي إحساسه الديني من زاوية وأخرى . ■■

وتبدو روايته « الباحث عن الحقيقة »[2] نمطاً متميزاً بين أدبه الرّوائي ، ربما لتفرّد موضوعها ، أو انتمائه إلى التاريخ ، أو لطريقة بنائه الفني .. ولكنها في رأيي امتداد طبيعي لمنهجه في الكتابة ، وليست تحولاً كما قد يفهم بعضهم من النظرة الأولى .. ففي هذه الرواية استطاع الكاتب أن يعبِّر عن تجربة روحيَّة ثرّة ، كان يلح عليها بطريقة ما عبْر رواياته السابقة ، ولكنها هنا استطاعت أن تحتشد وراء التاريخ ، وتبلور نفسها ، وتعطينا عملاً جيداً وراقياً[3] .

ثمة مقولة تطرح نفسها ونحن بصدد هذه الرّواية ، وهي أن الرواية نوع من التأريخ الإسلامي في قالب فني ، ولكن هذه المقولة غير صحيحة تماماً ، فالكاتب قد اعتمد حقّاً على التاريخ ، ودخل بنا إلى فترة ما قبل الدعوة الإسلامية وظهور النبي ﷺ . ولكن المسألة أبعد من ذلك ، حين نرى شخوص الرواية وأفكارهم وبناءها الفني .. إننا سنتأكد حينئذٍ أن العمل الروائي الذي يقدمه محمد عبد الحليم عبد الله ، تجربة إنسانية تنمو حتى تصل إلى قمة الإنسانية بـإسلام صاحب التجربة ، وخوضه غمار الدعوة ، وجهاده في سبيلها حتى أصبح رمزاً من رموزها الخالدة ، وهو ما يجعلنا نضعها . في إطار النماذج الأدبية الراقية للأدب الإسلامي الذي نسعى اليوم - في زمن البحث عن هويـة - إلى تأصيله وتنميته باعتباره ملمحاً من ملامح هويّتنا المفقودة في ضباب الهوان الذي تعيشه الأمة ، بل إننا نعتبر عدداً غير قليل من روايات وقصص وكتابات « محمد عبد الحليم عبد الله » تمثل النماذج الجيِّدة للرواية أو القصة الإسلامية ، وهو ما نرى مثيلاً له - على تفاوت - لدى عدد آخر من كتاب جيله وما بعده في القصة والمسرحية والشعر مثل علي أحمد

الباحث عن الحقيقة: أنموذج تطبيقي

■ من رواد التأصيل للأدب الإسلامي وإعادة تحديد ملامح هوية الأمة المسلمة ■

■ محمد عبد الحليم عبد الله ■

■ علي أحمد با كثير ■

■ عبد الحميد جودة السحار ■

■ الدكتور نجيب الكيلاني ■

با كثير وعبد الحميد جودة السحار، ومحمد محمود زيتون، ومحمد رجب البيومي، ومحمود حسن إسماعيل، وعامر بحيري، وعبده بدوي، ونجيب الكيلاني... وغيرهم.

وتعتمد رواية «الباحث عن الحقيقة» على عددٍ من الشخصيات الأساسية، تقوم بجانبها شخصيات ثانوية تؤدي دورها المرسوم في البناء الفني للعمل الرّوائي بإحكامٍ ملحوظ.

بطل الرواية ومحور أحداثها

وأولى الشخصيات الأساسية أو الرئيسة أو بطل الرواية هو «**سلمان الفارسي**» - رضي الله عنه - ويمثل محور الرواية ومرتكزها الهام، ونلتقي به منذ شبابه كابنٍ لدهقان فارسي يحكم قريته حكماً ظالماً، ويتطلع لرؤية ولده كاهناً في بيت النّار المقدسة التي يعبدها المجوس، ومن هذا البيت تبدأ رحلة البحث عن الحقيقة التي يقوم بها «**سلمان**»؛ شوقاً للنجاة من واقع مرير على المستوى الشخصي والمستوى الاجتماعي، فعلى المستوى الشخصي يبدو قلق «**سلمان**» وعدم رضائه عن العقيدة التي ورثها، ويرى في نفسه خواء وضجراً وفراغاً روحياً كبيراً، وعلى المستوى الاجتماعي تبدو مظالم الحكام الفرس ممثلين في «أبيه» مثيرة للتمرد والسخط والغضب، **وهكذا تتخمر في نفس «سلمان» فكرة الرحلة للبحث عن الحقيقة، وتجاوز الواقع المظلم إلى واقع آخر اكثر إشراقاً وبهجة وعدلاً.. والرحلة التي يقوم بها «سلمان» مضنية وشاقة تبدأ بغضب الوالد عليه وتقييده وسجنه، ثم هروبه مع قافلةٍ عربية، ثم وصوله إلى الشام وهناك يلتقي لقاءً حاسماً ومؤثراً مع «عابد عمورية» الشخصية الثانية في الرواية، وبعده يتعرض للمهانة والغدر والرق على يد «يهود»؛ فينتقل من ملكية يهودي إلى آخر حتى ينتهي به المطاف إلى الوصول إلى الحقيقة، والإسلام على يد النبي ﷺ، ويواصل مسيرته الإسلامية مجاهداً من أجل الحقيقة؛ حتى عودته إلى ولاية بلدٍ فارسيّ بعد الفتح الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.**

وتبدو **الشخصية الثانية** في النص الروائي «**عابد عمورية**» مكملة لشخصية «**سلمان**»، أو مشابهة لها من وجه آخر، فعابد عمورية يمثل رحلة أخرىٰ للبحث عن الحقيقة، ولكنها تختلف من ناحية الأسباب والتفاصيل، فهذا العابد نشأ يحب والديه، ولكنه فقدهما، وظل يبكيهما ويتوسل إلى الله أن يعيدهما إلى الحياة مرّة أخرىٰ، فيراهما في صورة تجعله يطلب من ربه أن يعيدهما إلى الماء مرّة ثانية، فقد ظهر كل منهما بنصفه الأعلى كآدميّ، أما النصف الأسفل فكان على هيئة ذيل السمكة، وتدفع به المقادير حتي يصل إلى بلاد الروم كخادم يخدم الرهبان في ديرهم الكبير، وتتاح له فرصة التعلم وفهم أسرار الكهنوت، وبعد حين يعود إلى «عمّورية»، يعبد الله في دير، ويأكل من عمل يده، **وينتظر ظهور الحقيقة الكاملة على يد نبي يبعث بدين إبراهيم حنيفاً يهاجر إلى أرض ذات نخل بين حرّتين، ولن «يفتن الناس في أمره كما فتن النصارىٰ.. بشرٌ يوحى إليه، بشرٌ مكمل.. سيعرفه قلبك يوم تلقاه يا فارسيّ..»[4]، ويقوم هذا العابد بدور كبير في توجيه «سلمان»، ويوقظ في قلبه الأمل الكبير باقتراب تحقيق الحلم، والوصول إلى الغاية.. وإن كان هذا العابد يموت قبل أن يسعد برؤية النبي المبعوث.**

ثمّة **شخصية ثالثة** تكمل المثلث العقيدي الرئيس الذي ترمز إليه الشخصيات الرئيسة، هي شخصية «**سهيل**» العربي، الذي يمثل نوعاً من الحياد العاطفي تجاه الدين، وقد التقى به «**سلمان**» في رحلته من بلاد «فارس» هارباً إلى أرض جديدة، وقد تصادقا في أثناء الرحلة، وظلَّ كل منهما في مخيلة الآخر، حتى التقيا مرّة ثانية بعد العثور على الحقيقة، جنديين من جنود الإسلام، **كان «سهيل» يبدو شخصاً مسلوب الإرادة - قبل الإسلام - إذا أخذه والده إلى بيت الأصنام تعبَّد، وإذا لم يأخذه لم يتعبَّد! ولكن كان لديه استعداد فطري وإحساس مرهف للاستجابة للحقيقة إذا عثر عليها.. ولعلَّ حداءه، وغناءه بالشعر العذْب كانا علامة على ذلك.. وقد تحققت الاستجابة بدخول الإسلام، عندما التقى به «سلمان» في أثناء حفر الخندق..**

وإذا نظرنا إلى هذه الشخصيات الثلاث من زاوية جغرافية، أو بيئية، وجدناها تمثل أهم البيئات الحضارية في ذلك الحين،

■ كاتب الرواية ، يستطيع من خلال شخوصه ـ الأساسية والثانوية على السواء ـ أن يرسم بناءه الروائي بإحكام ، إذا تآزرت الشخوص مع الأحداث في تقديم ذلك البناء الفني .. ■

فسلمان يمثل البيئة الفارسية باعتبارها إحدى القوتين العظميين في ذلك الحين ، وعابد عمورية يمثل القوة العظمى الثانية وهي « الروم » آنئذ أيضاً ، أما « سهيل » فيمثل « الجزيرة العربية » أيامئذٍ كذلك .

ومن ثم ، يتبيَّن أن الكاتب قد صاغ شخصياته وفقاً لبناء دقيق يرصد من خلاله أحوال العالم الحضارية بما فيها من عقائد ونظم اجتماعية وأخلاقية . إن « سلمان » يمثل البيئة الفارسية وقد قامت على أسس ظالمة ، وعقيدة متخلفة تتوجه نحو النار باعتبارها الإله المقدس ، و« عابد عمورية » يمثل البيئة الرومية أو الحضارة الرومانية النصرانية التي قامت على عقيدة كثرت فيها مذاهب الكهنة وخلافاتهم « النصارى اختلفوا في أمر دينهم وعادوا مفتونين فيه ..

وهناك ناس عادوا إلى الأوثان لأن الأحبار والرهبان اقفلوا أبوابهم وأفواههم على الحقائق وتركوا الناس يموجون ... »(٥) . أما « سهيل » فيمثل الحياة القائمة في الجزيرة على عقيدة وثنية تزري بالعقل والإنسانية ، ولعلَّ العبارة التالية على لسانه في حواره مع « سلمان » تلقي بعض الضوء على هذه العقيدة :

« ياصديقي الفارسي : لقد وصلت بي الآن إلى مرحلة كنت جاوزتها من قبل .. مرحلة ألَّا اومن بشيء .. وقد عذَّبني عليها أبي ، وكان يستصحبني قهراً إلى بيت الأصنام ، وهناك اقف فأردِّد ما يقولون ... غير ان القلب لا يمكن أن يعيش هكذا .. قلباً لا صلاة له .. إنه لن يكون إلَّا كبعض الأزهار التي رأيتها في بساتينكم تشبه العيون ولا ترى ، وقبل ذلك فهي لا رائحة لها ... »(٦) .

البعد الرابع في الرواية

وكان على الكاتب أن يكمل بناءه بالإشارة إلى « اليهود » كقوة تمثل بعداً عقيدياً في الجزيرة العربية ، ورغم أنه لم يقدِّم شخصية يهودية واحدة تتركز فيها جميع الخصائص العقيدية والاجتماعية ، فقد رأينا هذه الخصائص تتكامل من خلال عدد من الشخصيات اليهودية عاش معهم « سلمان » ، فهناك « يهودي القافلة » الذي غدر بسلمان ، واسترقَّه ، وباعه ليهودي آخر ، ثم باعه هذا إلى يهودي ثالث هو « أبو كعب القرظي » ، ومن خلال هؤلاء الثلاثة نتعرف على طبائع وخصال اليهود التي تدور حول الغدر الجشع والجبن وحب المال ، وكراهية الأخلاق الرفيعة ، والاستهزاء بالمثل العليا ، والسخرية واحتقار من ليس يهودياً(٧) .

واضح أن الكاتب سكب كل إمكاناته الفنية في بناء شخوص ما قبل الإسلام الذين يمثلون عقائد مختلفة ، وبيَّن لنا أشواقهم المتباينة ؛ من باحث عن الحقيقة ويطلبها في كل مكان (سلمان) ، أو يعرف الطريق إلى الحقيقة ، وينتظرها بلهفة ، ولكن الموت لا يمهله حتى ينعم بالوصول إليها (عابد عمورية) ، أو شخص مضطر لتقليد ما يفعله أبوه ، غير مقتنع به ، وابن كانت فطرته مؤهلة لتقبّل الحقيقة ، والسير في ركابها والدفاع عنها ، (سهيل العربي) ، أو أشخاص لا تعنيهم الحقيقة بقدر ما تعنيهم أنفسهم ، ولو ارتكبوا في سبيل ذلك كل الرذائل التي تعافها الإنسانية وتمجّها الفطرة البشرية (اليهود) ...

أمَّا فترة ما بعد الإسلام ، فإنها تعني فنياً نهاية الرحلة بحثاً عن الحقيقة . لقد وصل « سلمان » إلى غايته ، وهنا نجد الشخوص تظهر بسرعة خاطفة ترمز إلى فكرة أو تومىء إلى قيمة من القيم ، دون أن يدخل معها الكاتب في حوار أو وصف أو استبطان ؛ لأن المسألة أصبحت لا تستدعي ذلك أصلاً ، فقد آن للمتعب أن يستريح ، وللمسافر أن يقيم ، والراحة والإقامة هنا من قبيل المجاز ، فهي راحة النفس وطمأنينة اليقين ، وإقامة العقيدة على اسس راسخة وافكار واضحة . ومن ثمّ ، نجد الشخصيات الإسلامية عديدة ، ولكنها ثانوية ، فنرى شخصيات أبي أيوب خالد بنَ يزيد ، وحسَّان « السميّ » ، وأبي بكر ، وعمر ، وأبي ذرّ ، وسعد بن أبي وقاص ... وغيرهم ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ولكنها شخصيات تقوم بدورها في إطار المجتمع الإسلامي الجديد ، ولا ترى منها إلَّا شخصية او اثنتين تتصلان اتصالاً مباشراً بقضية « سلمان » ، ولعلَّ شخصية « حسان السميّ » أهم الشخصيات الثانوية في المجتمع الإسلامي باعتباره الواسطة التي ربطت بين « سلمان » في رِقِّهِ اليهودي ، وبين معطيات المجتمع الجديد وتعاليم الإسلام ، وينبغي ألَّا ننسى ـ في كل الأحوال ـ أن الشخصيات هذه قد رسمت صورة كاملة لمجتمع الحقيقة أو المجتمع الإسلامي الذي انتقل إليه « سلمان » ...»(٨) .

البناء الدائري في الرواية

ويمكن القول : إن الروائي قد استطاع من خلال شخوصه الأساسية والثانوية على السواء ؛ أن يرسم بناءه الروائي بإحكام ، فقد تآزرت الشخوص مع الأحداث في تقديم البناء الفني من خلال ما يمكن تسميته بالبناء الدائري ، حيث بدأت الأحداث من إحدى قرى فارس ، وانتهت إلى المكان نفسه بعد أن عبرت أكثر من نقطة على محيط الدائرة ، فرأيناها تنتقل من فارس إلى العراق إلى الشام إلى أرض الروم إلى بلاد العرب إلى العراق وفارس مرة أخرى . وفي خلال هذه الرحلة الدائرية أطلعنا الكاتب على « بانوراما » لأحوال العالم الحضارية آنئذٍ ، ومن خلال المقارنة بين هذه الأحوال وبين حال المجتمع الجديد ـ مجتمع الحقيقة ـ استطعنا أن نرى الفارق بين عصر ما قبل الإسلام وأشواق الإنسانية إلى النجاة من ناحية ، وبين عصر ما بعد الإسلام وتحقق النجاة استجابة لأشواق الإنسانية الخالصة من ناحية أخرى .

ولعلَّ أبرز نقاط البناء الفني التى انتظمت الرواية ؛ عملية التركيز ثم التفريع ثم التركيز مرة ثانية وأخيرة ، وهي عملية تتواءم مع ما سميناه « البناء الدائري » للرواية ، فقد كان الكاتب يطرح القضية ، ثم يفرّع عليها بقصد توضيحها وتفصيلها مستخدماً في ذلك حواراً رائعاً وراقياً سنشير إليه في ثنايا الحديث عن اللغة إن شاء الله . ولعلَّ أهمية هذا المنهج تبدو في تشويق القارىء لمتابعة الأحداث من ناحية ، ولتأكيد القضية التي يعالجها من ناحية أخرى ، وهذه النقطة قد توفرت للكاتب بفضل خبرته الطويلة وسيطرته على الحرفة الفنية ..

الباحث عن الحقيقة: أنموذج تطبيقي

■ العمل الفني الناضج ، هو الذي لا تنفصل لغته عن مضمونه ، والفنان الحقيقي هو الذي يجعل من اللغة والمضمون جسماً واحداً . ■

دور اللغة في العمل الروائي

وقد لعبت اللغة دوراً أساسياً في تقديم العمل الفني ، فاللغة ليست مجرد أداة توصيل فحسب ، بل إنها عنصر بنائي أساسي يقدم الفكرة في إطار يهيىء لقبولها والتفاعل معها ، والعمل الفني الناضج هو الذي لا تنفصل لغته عن مضمونه ، والفنان الحقيقي هو الذي يجعل من اللغة والمضمون جسماً واحداً ولا نستطيع الفصل بين عنصريه ؛ إلَّا فرضاً ؛ وذلك لتسهيل عملية الفهم والتحليل .

وينبغي أن نتذكر أن **التعامل مع اللغة له أكثر من مستوى ، فهناك لغة الحديث العادي أو التعبير البسيط ، وهناك لغة التعبير الأدبي ، وهناك لغة الأداء العلمي** ، .. والفارق بين هذه المستويات هو القدرة على الاستخدام الأمثل للغة ، فلغة الأطفال يمكن فهمها ، ولكنها لا ترقى إلى مستوى لغة الأدباء الذين يعبّرون بالصورة والإيحاء والمفارقة وغيرها من وسائل التعبير .. والأمر ذاته قائم في الفارق بين الأدباء وبعضهم من حيث القدرة على استخدام الوسائل التعبيرية المتعددة . وأعتقد أن « **محمد عبد الحليم عبد الله** » في رواياته بصفة عامة ، وفي روايته « **الباحث عن الحقيقة** » بصفة خاصة يمثل مرحلة الذروة التعبيرية في أدبه ... فهو هنا يستخدم لغة مكثَّفة شفافة ، تقترب من لغة الشعر ، بل إني أعتبرها قصيدة طويلة ، فهي تحمل روح الشعر وإن لم تعتمد على استخدام التفاعيل .. **إن لغة « الباحث عن الحقيقة » تشبه قطعة الماس التي تشع من كل جوانبها في أكثر من اتجاه** ، ولهذا كانت محمَّلة بالإيحاءات والدلالات التي تتناغم مع موضوع الرواية وتمتزج به ، وترقى بمستواه التعبيري .

وإذا عرفنا أن موضوع الرواية يتعلق بالبحث في واقع مضطرب وقلقٍ وغير واضح ، فإن اللغة بالضرورة لا بد أن تتسق مع هذا الموضوع وتنهض به لتحقق هذا التماسك العضوي بين الشكل والمضمون ، ويمكن لنا كقرَّاء أن نستشعر إدراك الكاتب لهذه العلاقة الوثيقة ، منذ بداية الرواية ، بل من الإهداء الذي وضعه في أول صفحة بعد العنوان ، فهو إهداء مليء بالحيوية والإيحاء والثراء ، وفيه دلالةٌ ما على الموضوع والغاية معاً . يقول « **محمد عبد الحليم عبد الله** » في إهدائه :

« **إن لم تكن إحدىٰ حسناتي فاغفر بها إحدىٰ سيئاتي يا ربي** » .

فالكاتب يعتقد أن ما يقدمه هو حسنة من الحسنات في سبيل دعم العقيدة وخدمتها .. التي تنيله ثواباً ، أو تمحو عنه ذنباً من الذنوب ، وفي هذا التصور ما يعطينا مدخلاً صحيحاً لموضوع يتجاوز التأريخ للماضي إلى التقعيد للمستقبل ، حيث تنمو المشاعر الإنسانية في اتجاه صحيح يدفع بها إلى رحاب فسيحة وواسعة .. ويجعلها تعيش بالأمل في ظلال العدل والحرية والأمن .

أمثلة تطبيقية

ولعلنا لو تعاملنا مع النص الروائي من خلال أمثلة تطبيقية لاتَّضحت لنا طبيعة التناغم بين اللغة والموضوع . وسوف نكتفي بإيراد ثلاثة أمثلة من مواضع مختلفة في أوّل الرواية ومنتصفها وآخرها ، مع أنموذج للحوار الذي استخدمه الكاتب .

يقول في بداية الرواية : « **رائحة بخور نادرة تملأ أنفه ، وهمهمات من أدعية مهموسة تملأ أذنيه ، لكن قلبه الليلة يملؤه الشك .**

شاب باهر العود صحيح الجسم دائم التأمل ، له حواجب غزيرة مقرونة توحي بالقوة ، وبين الحاجبين تقطيبة تشكو في صمت ، شكوى النفس للنفس ، حركة الشك التي تبحث عن اليقين في تحسس ودبيب ، وبين كل فكرة وفكرة تتنهد »[٩] .

نلاحظ في الفقرة السابقة تمهيداً واضحاً لما سيجري في الرواية ، ونستشعر طبيعة الموضوع ، خاصة إذا قرأنا كلمات : الشك ، التأمل ، اليقين ، التقطيبة التي تشكو في صمت ، شكوى النفس للنفس ... ثم لاحظنا كثرة أفعال المضارعة لوجدناها توحي بتلك المرحلة الطويلة الشاقة المضنية التي سيقطعها بطل الرواية « **سلمان** » في بحثه عن اليقين ، وإذا كان هذا الإيحاء يبدو ذا علاقة ميكانيكية بالموضوع ، فإن الدلالات الإيحائية الداخلية للعبارات تبدو أكثر عمقاً وصلة بالشخصية التي يرسمها الكاتب ، وتغوص بنا في أعماق إنسان تضنيه فكرة ما ، أو أفكار ما ويسعى إلى حلٍّ يخرجه من دوَّامة إلحاحها عليه ، وانشغاله بها ، ولنتأمل بصفة خاصة قوله :

... **تقطيبة تشكو في صمت ، شكوى النفس للنفس ، حركة الشك التي تبحث عن اليقين في تحسس ودبيب ، وبين كل فكرة وفكرة تتنهد** .. وسوف نرىٰ أن الكاتب يبدو غوَّاصاً ماهراً في أعماق النفس الإنسانية ، وعلى علم عظيم بالقلق الإنساني وحركته الموَّارة .

وإذا كانت حالة القلق والرغبة في الوصول إلى شاطىء الطمأنينة تبدو عارمة في بداية الرواية ، فإننا نستشعر تحوّلها بعد أن قطع « **سلمان** » جزءاً كبيراً من الرحلة ، واستطاع أن يسعد بقرب « **عابد عمورية** » الذي أضاء في نفسه الأمل بالوصول إلى الحقيقة ، وهو ما يقودنا إلى قراءة النص التالي الذي يقول فيه العابد مخاطباً « **سلمان** » :

« ... **إنك ستشعر بالحنين ولو أنك ستكون قريباً مني (وتبسم) لا تحزن ، فأعظم أنواع الحنين هو ما يخلقه القرب . ومن ذلك حب الله .. آه .. ها أنت يا فارسي قد تركت أهلك منذ سنين فكيف حال حنينك إلى من بعدت عنهم ؟**

وعندئذ أطرق الشاب . كان الحنين إليهم صدىً يتراجع مثل همهمة الهرابذة في معابد النار ، لكن حنينه اليوم شديد الوقع .. نقرات على شغاف القلب في انتظار مصدر النور وأصل الحقيقة ، وما لقاء هذا العابد سوىٰ إرهاص لما يراد »[١٠] .

وإذا قارنَّا بين هذا النص والذي سبقه سنجد مشابهةً من أكثر من وجه ، لعلَّ أهمها جميعاً أن

« **سلمان** » في الفصل الأول كان على وشك مغادرة الأهل ومعبد النار والبيئة الفارسية كلها تشوقاً إلى الحقيقة ، أمّا في النص الثاني ، فهو يستعد لمغادرة المعلم والصديق - عابد عمورية - الذي أضاء في نفسه الأمل وبشّره بقرب الوصول ، ولكن الفارق يتضح في أن ترك الأهل والعقيدة والوطن في البداية كان قاسياً وموحشاً ، فكان القلق والشك والاضطراب أشد ضراوة ، أما هنا ، فإن الفراق يبدو أقل ضراوة ، بل مفعماً بخيوط الأمل المنتظر الذي بثه العابد في نفس « **الفارسي** »(١١) ولذا نجد هذا النص لا يخلو من التوتر والتأمل والحنين ، ونستشعر ملامح أعماقه من خلال هذا التكثيف اللغوي الشاعري « .. **لكن حنينه اليوم شديد الوقع .. نقرات على شغاف القلب في انتظار مصدر النور وأصل الحقيقة .. »** .

ولا ريب أن ربط الحاضر وحنينه « شديد الوقع » بالماضي « وهمهمات الهرابذة في معابد النار » يعطي للمفارقة بعداً كبيراً ، ويُحْكِمُ نسيج البناء الروائي الممتد والمترابط ، ولنا بعد كل ذلك أن نتأمل تأثير كلمات مثل الحنين ، قريباً ، القرب ، تركت ، حنينك ، بعدت ، نقرات ، انتظار ، إرهاص ... لندرك إلى أيّ مدىً يصنع الكاتب لغة لا تنبتّ عن الموضوع .

ولا يختلف الأمر حين يصل الباحث عن الحقيقة إلى غايته ، فإن اللغة التي شهدناها معبِّرة عن القلق والتوتر الشديد في البداية من خلال تكثيف ملحوظ ، ورأيناها أقل قلقاً وتوتراً وتمتزج بالأمل بعد أن قطع « **سلمان** » مرحلة كبيرة في البحث ، نراها في النهاية لغة هادئة بسيطة سهلة ، وكأنها معزوفة تنحدر بنهاياتها إلى إيقاع بطيء خفيض حتى السكون .. أو الطمأنينة القلبية التي فارقت التوتر والقلق والاضطراب تماماً ، ولنقرأ النص التالي في آخر الرواية :

« **وسار سلمان معه إلى دارهم القديمة ، ولما لقيه إخوته أنكروه ، لكنه شفقة عليهم من أن يجحدوا ترك لهم الراعي ليعلمهم ثم يعود إليهم إن كانوا مسلمين .**

وخرج .. توجه إلى التل هناك .. حيث يقع بيت النار القديم .. ووقف والتف حوله قوم مسلمون .. ووقف أحدهم فأذّن ..

طارت من على حائط معبد النار طيور كانت ساكنة فيه .. اتجهت إلى السماء ولم تعد إليه أبداً .. عشّشت على قمة شجرة خضراء .. وفي هذه اللحظة عاد الراعي إلى « سلمان » فأخبره أن دارهم في القرية أصبحت دار إسلام ، فتقدم إليها مطمئن القلب .. »(١٢) .

ولعلّنا نلاحظ هنا انسياب اللغة ، وتدفّقها ، وبساطتها ، ولا نجد فيها ذلك الاحتشاد العاطفي والنفسي الذي كان يملأ كيان « **سلمان** » في رحلته المضنية من أجل الوصول إلى الحقيقة ، بل إنّ موقفاً كان يوجب هذا الاحتشاد مثل لقائه بأخوته ، يمرّ هادئاً دون انفعال أو ردّ فعل عنيف ، « **لما لقيه أخوته أنكروه** » (!) ولأنه وصل إلى الحقيقة ، وسار بمنهجها المطمئن الواثق المتيقّن « **أشفق على إخوته وترك لهم الراعي ليعلمهم ، ثم يعود إليهم إذا أسلموا ..** » يا له من إيمان عميق يقطع ما بين الماضي والحاضر ، باليقين والأمل ، ولذا تغدو اللغة سيَّالة في هدوء تامّ .. ثم لننظر في العبارة السابقة من النص السابق ، ولنتأمل أفعالها : **خرج ، توجه ، وقف ، التفّ ، أذّن** .. كلّها تدل على الماضي والثبات والثقة والمبادرة ، وهي تختلف بالطبع عن الشك والقلق والتوتر والاضطراب ، وليس الأمر في هذه الناحية وقفاً على تلك العبارة ؛ بل إنّ العبارة الأخيرة تحمل أفعالاً من النوع نفسه ، وإن كان يزيد عليها أنها تفيد التحوّل والتغير من وضع إلى وضع . فقد طارت الطيور من مسكنها القديم في بيت النار إلى قمّة شجرة خضراء ، وأصبح بيت « **سلمان** » دار إسلام ، وتأتي الجملة الأخيرة لتضع في الوجدان ذلك الاستقرار الذي وصل إليه « **الباحث عن الحقيقة** » والاطمئنان الذي صار يملأ أعماقه ، وهو ما نراه عندما يعود إلى داره بعد أن أنكره إخوته ، وتركهم شفقة عليهم : « **فتقدّم إليها مطمئن القلب** » .

وإذا كان السرد في لغة الرواية قد أعطى أبعاداً ودلالات ذات وجود عضوي بالنصّ الروائي ، فإن الأمر بالنسبة للحوار لا يختلف ، ويمكن أن نختار مثلاً هذا الحوار بين اليهودي « **أبي يعقوب** » وزوجته حول « **سلمان** » العبد الذي اشتراه « **أبو يعقوب** » من يهودي القافلة لنرى بعض الملامح للشخصية اليهودية . يقول النص :

« **واختلى أبو يعقوب بزوجته في الليل وبثّها إحساسه ..**

- ماذا ترين في هذا الرجل يا امرأة ؟

- ثمنه بخس . لو شئت بعناه بضعف ما اشتريناه به .

فلكمها في صدرها ، فتأوّهت وقال :

- ليس هذا قصدي . ماذا ترين في روحه لا بنائه .. ماذا يلوح في عينيه ؟

- أخاف منهما .

- ذلك هو شعوري . سأطفىء فيهما الشعلة منذ غد فلا نعود نخاف ..

همست خائفة :

- ماذا ستفعل ؟

- سأكلّفه أشد عمل ، وأطعمه أقلّ زاد وأجني من وراء كل هذا ربحاً كثيراً ..

- أخاف عليك ، ولكن افعل ما بدا لك »(١٢) .

يبدو الحوار سلساً ومعبراً عن الفكرة التي يريد المؤلف توصيلها عن نظرة اليهودي وزوجته لشخصية « **سلمان** » وهو رقيق . وهي نظرة يكشف الحوار أبعادها ، فنراها مليئة بالجشع والطمع والخوف والتوجّس ، والقسوة والشراسة ، رغم أن المفارقة يمكن أن تضع تلك الصفات بالعكس حيث يكون العبد في وضع يؤهله لاكتساب كل هذه الصفات ، ولكن الطبيعة اليهودية هكذا ، وهي واحدة عند اليهودي وزوجه ، وعنده وعند يهوديّ القافلة ، وعنده وغند يهودي بني قريظة !.

وبعـــــــد ؛

فإن رواية « الباحث عن الحقيقة » عمل أدبي ، تتلاحم فيه الفكرة مع الأداة ، والموضوع مع الشكل ، وتقدم أنموذجاً جيداً لما يمكن أن نسميه بالأدب الروائي الإسلامي ، أو الذي يصدر عن تصور إسلامي ، وقد صنع هذا الأنموذج كاتب فنان وموهوب بكل المقاييس .

---

(١) انظر دراسة « جوردان موند » في مقدمة رواية « محمد عبد الحليم عبدالله » الأخيرة - قصة لم تتم - مكتبة مصر -١٩٧٢م .

(٢) صدرت في طبعتها الأولى عن مكتبة مصر - ١٩٦٧م ، والطبعة الجديدة التي بين أيدينا عن الناشر ذاته بدون تاريخ .

(٣) أخبرني - رحمه الله - أنه كتبها بعد وفاة والده ، وكان متعلقاً به إلى حدّ كبير ، ولعلّ أثر هذا التعلق يظهر من خلال استغراقه في الحديث عن « عابد عمورية » - أحد شخوص الرواية - الذي فقد والديه وظلّ يبكيهما طويلاً .

(٤) الباحث عن الحقيقة - ص ٧٦ .

(٥) السابق ص ٦٢ .

(٦) السابق أيضاً - ص ٣٨/٤٠ .

(٧) انظر مثلاً : صفحات ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١٠١ في الرواية لترى بعض ملامح الشخصية اليهودية .

(٨) يلاحظ أن هناك عدداً من الشخصيات الثانوية فيما قبل الإسلام ، وقد ظهرت بصفة خاصة في أسرة سلمان ، وحولها مثل ؛ والده ووالدته وأخته « بوران » وراعي الخنازير الذي أعلن إسلامه بعد عودة سلمان إلى فارس مسلماً منتصراً .

(٩) الباحث عن الحقيقة - ص ٧ .

(١٠) السابق - ص ٧١/٧٢ .

(١١) يلاحظ أن الكاتب استخدم اسم « الفارسي » دلالة على « سلمان » طوال فترة البحث عن الحقيقة ؛ باعتباره رمزاً لإحدى الحضارتين القائمتين ، وبعد وصوله إلى الحقيقة كشف عن اسمه الكامل « سلمان الفارسي » ، كذلك فعل مع « عابد عمورية » الذي بقي اسمه كما هو حتى أدركه الموت ولم يدرك الحقيقة ، وهو نوع من التلاؤم التعبيري .

(١٢) الباحث عن الحقيقة - ص ١٤٢/١٤٣ .

من نور كتاب الله

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ (الفرقان : ٢٧-٢٩)

تشابه وتلازم

مثل السلطان كالطبيب ، ومثل الرعية كالمرضى ، ومثل الوزير كالسفير بين المرضى والأطباء ، فإن كذب السفير فقد بطل التدبير ؛ وكما أن السفير إذا أراد أن يقتل أحداً من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه ، فإذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل ؛ كذلك الوزير ينقل للملك ما ليس في الرجل فيقتله . . .

[سراج الملوك للطرطوشي]

الرأي والعفاف

روى أبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال :

« إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق ، إن نسي ذكره به ، وإن ذكر أعانه ؛ وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ، إن نسي لم يذكره ، وإن ذكر لم يعنه » .

وقال بعض الحكماء : موقع الوزير من الملك موقع الملك من العامة ، وكما أن السلطان إذا صلح صلحت الرعية ، وإذا فسد فسدت الرعية ، فكذلك الوزير إذا صلح صلح الملك ، وإذا فسد فسد الملك . . .

وفي « كليلة ودمنة » : لا يصلح السلطان إلاّ بالوزراء والأعوان ؛ ولا الوزراء والأعوان إلاّ بالمودة والنصيحة ، ولا المودة والنصيحة إلاّ بالرأي والعفاف .

[بدائع السلك في طبائع الملك]

بلوغ المنزلة

قيل لبعض الملوك - وقد بلغ في القدر ما لم يبلغه أحد من ملوك زمانه - : ما الذي بلغ بك هذه المنزلة ؟ قال عفوي عند قدرتي ، وليني عند شدّتي ، وبذلي الإنصاف ولو من نفسي ، وإبقائي في الحب والبغض مكاناً لموضع الاستبدال .

[زهر الآداب]

الجهر بالحق

عن الزهري ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : بعث إليَّ الوليد (الخليفة الأموي) ذات ساعة من الظهيرة ، فدخلت عليه ، فإذا هو عابس ، فأشار إليَّ أن اجلس ، فجلست ، فقال :

ما تقول فيمن يسب الخلفاء ، أيقتل ؟ فسكتُّ ، ثم عاد ، فسكتُّ ، ثم عاد ؛ فقلت : أَقَتَل يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن سبَّ . فقلت : يُنكل به . فغضب وانصرف إلى أهله ، وقال لي ابن الريان السياف : اذهب . قال : فخرجت من عنده وما تهب ريح إلاّ وأنا أظن أنه رسول يردني إليه .

[البداية والنهاية]

حق الجار على الجار

أن يبتدىء جاره بالسلام ، ولا يطيل معه الكلام ، ولا يكثر عليه السؤال ، يعوده في مرضه ، ويعزيه عند مصيبته ، ويهنئه عند فرحه ، ويتلطَّف لولده ، ويصفح عن زلته ، ويعاتبه برفق عند هفوته ، ويغض عن حرمته ، ويعينه عند استغاثته ، ولا يديم النظر إلى خادمته . . .

[إحياء علوم الدين]

آداب الولد عند والديه

يسمع كلامهما ، ويقوم لقيامهما ، ويمتثل لأوامرهما ، ويلبي دعوتهما ، ويخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، ولا يبرمهما بالإلحاح ، ولا يمن عليهما بالبر بهما ، ولا بالقيام لأمرهما ، ولا ينظر إليهما شذراً ، ولا يعصي لهما أمراً . . .

[إحياء علوم الدين]

حـدس الشبـاب

قالت العرب : عليكم بمشورة الشباب ، فإنهم ينتجون رأياً لم ينله طول القِدَمِ ، ولا استولت عليه رطوبة الهرمِ .

وقد قال الشـاعر :

رَأيْت العَقـلَ لم يكن انتهـابـاً ولم يُقْسَمْ على عـدد السِّنينا
ولـو أنَّ السِّنيـن تَقـاسَمتْـهُ حـوىٰ الآبـاءُ أنصبـةَ البَنينا

وحكى الأصمعي ـ رحمه الله ـ قال : قلت لغلام حدث (صغير السن) من أولاد العرب كان يحادثني ، فأمتعني بفصاحة وملاحة : أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق ؟

قال : لا والله . قلت : ولِمَ ؟ قال : أخاف أن يَجني عليَّ حمقي جناية تذهب بمالي ، ويبقى عليَّ حمقي .

فانظر إلى هذا الصبي كيف استخرج بفرط ذكائه ، واستنبط بجودة قريحته ما لعلَّه يَدِقُّ على من هو أكبر منه سناً وأكثر تجربة . . .

وأحسن من هذا الذكاء والفطنة ، ما حكى ابن قتيبة : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بصبيان يلعبون ، وفيهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، فهربوا منه إلاَّ عبد الله ، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : مالك ، لِمَ لَمْ تهرب مع أصحابك ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، لم أكن على ريبة فأخافَك ، ولم يكن الطريق ضيِّقاً فأوسع لك . . .

فانظر ما تضمنه هذا الجواب من الفطنة ، وقوة المُنَّة ، وحسن البديهة ، كيف نفى عنه اللوم ، وأثبت له الحجة ، فليس للذكاء غاية ، ولا لجودة القريحة نهاية .

[أدب الدنيا والدين]

الدين النصيحـــة

قال سفيان بن عيينة : لما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى محمد بن كعب ، ورجاء بن حيوة ، وسالم بن عبد الله ، فقال لهم : قد ترون ما ابتليت به وما نزل بي ، فما عندكم ؟

فقال محمد بن كعب : اجعل الشيخ أباً ، والشاب أخاً ، والصغير ولداً ، وبرّ أباك ، وصن أخاك ، وتعطّف على ولدك .

وقال رجاء : ارض للناس ما ترضاه لنفسك ، وما كرهت أن يؤتى إليك فلا تأته إليهم ، واعلم أنك أول خليفة تموت .

وقال سالم : اجعل الأمر واحداً ، وصم فيه عن شهوات الدنيا ، واجعل آخر فطرك فيه الموت ، فكأن عمر قد . . .

فقال عمر : لا حول ولا قوة إلاَّ بالله . . .

[البداية والنهاية]

مما يجب على الوالي

حب العدل وأهله ، وبغض الجور وذويه ليعطي النصفة لأهلها ، ويرثي للمظلوم وينصره وإن سخط الظالم وعز عليه إرضاءً للحق وإرغاماً للباطل . . .

طهارة القلب من خبث السريرة ليكون نقي الجيب ، ناصع الغيب . . . قال بعض الملوك لوزيره :

« لتكن إلى ما يسرني منك أسرع مبادرة منك إلى إنذاري فيما تخاف عليَّ منه » وقال آخر : « اعطِ من أتاك بما تكره كما تعطي من أتاك بما تحب فإن من أنذرك كمن بشَّرك . . .

سماحة الخُلُق ، ولين الجانب ، وسهولة اللقاء ، واستعمال التواضع . . . فقد قيل : « إن المتواضع المتقلل من الوزراء في أكثر الأمور : طويل العمر ، مظفر بأعدائه ، قريب من الأحوال المرضية عند ربه » .

كبر النفس وعلو الهمة ليحب الكرامة ويأنف من الفضيحة ، فتعز به الدولة ، ويحمى جانبها من طوارق الذل والمهانة . . .

صدق اللسان ، لما في الكذب من المفاسد المخلة بمصالح الدين والدنيا .

[بدائع السلك في طبائع الملك]

من مفكرة فلسطين

في الفكر اليهودي (١)

■■ من الأمور التي لا يجادل عاقل فيها ، أن معرفة العدو معرفة حقيقية تشمل إمكاناته المادية والمعنوية ، وأهدافه ودوافعه ، والوسائل التي يستخدمها ، هي أول الطريق لتحقيق النصر عليه ، وما لم تتحقق هذه المعرفة فسيبقى العدو منتصراً ، يفرض شروطه ، ويسير نحو تحقيق غاياته وأهدافه ، ونحن العرب والمسلمين أحق الناس بالتعرف على عدونا الذي احتل أرضنا ، ودنَّس مقدساتنا ، وهتك الكثير من أعراضنا ، وشرّدنا فوق كل أرض وتحت كل كوكب ، إذا أردنا أن نسلك الطريق السوي الذي يحقق النصر ويضمن استعادة العزة والكرامة .. ■■

في عام ١٩٣٤م طبع كتاب بمصر بعنوان « يقظة العالم اليهودي » من تاليف اليهودي « إيلي ليفي ابو عسل » يحدد فيه تاريخ الحركة الصهيونية بما يلي : [إذا امعنَّا النظر جيداً نرىٰ ان تاريخ الصهيونية يتناول اربعة ازمنة مختلفة : الأول : زمن التوراة . والثاني : الزمن السابق لهرتزل . والثالث : الزمن المعاصر لهرتزل ، والذي يبتدىء من سنة ١٩٠٤م إلى سنة ١٩١٨م ، والرابع : الزمن التالي لتصريح بلفور] (ص : ١٦) ويؤكد أنَّ موسى عليه السلام [كان أوَّل من شيَّد صرح الصهيونية ، ووطَّد دعائمها ، ونشر مبادئها السياسية ، وقد اثبت الواقع ان الصهيونية ليست في عهدنا هذا سوىٰ حلقة من سلسلة متصلة حلقاتها بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً ، ومتواثقة اجزاؤها تماسكاً محكماً شديداً] (ص : ٢٢) .

وفي عام ١٩٣٨م طبع في القاهرة ترجمة عربية لكتاب « في الفكر اليهودي » الذي كان قد جمعه حاخام يهود في الإمبراطورية البريطانية ، نقلها عن الإنكليزية رئيس قلم الترجمة بوزارة الزراعة المصرية في الثلاثينيات من هذا القرن « الدكتور الفريد يلوز » ويعتبر هذا الكتاب « إنجيل الصهيونية » قدمه للقارىء « حاييم ناحوم »(٢) الذي وصفه بانه [لؤلؤة جديدة يستقبلها بسرور مزدوج ، وابتهاج مضاعف ... ستجد فيه الشبيبة اليهودية - فتيانها وفتياتها - شجاعة تساعدها في اقتحام مضمار الحياة ، والخروج ظافرة منتصرة من المعركة ...] ووصف الحركة الصهيونية قائلاً : [إنها اليوم اعظم بل اشهر حركة يعرفها التاريخ اليهودي] ، وقد ورد في احد اناشيده ما يلي :

مثل قصف الرعد يشق لهيب السجن نصفين
سيدوِّي في آذاننا صوت صادر من صهيون
وينادينا قائلاً : يجب أن تظل نفوسكم توَّاقة إلى الأبد
لأرض آبائكم وأجدادكم

حتى ننقذ من يد الأعداء نهرنا المقدس
وعندما نعود إلى ضفاف الأردن سنحط رحالنا
فقسماً باسمك المقدس ، لن نتنصل من القتال
إذا ما دقَّت طبول الجهاد ...

ياتي هذا التحريض ضدنا ، ووصفنا بالأعداء ، في الوقت الذي يعترف فيه الكتاب نفسه بان بلاد المسلمين هي التي حاطت يهود بالرعاية والعطف ، وعاملتهم بسماحة يوم ان كانت [جميع الأمم النصرانية تهاجمهم ، وتشبعهم شتماً وامتهاناً ، واحتقاراً ، وسلباً ونهباً] وانه عندما طردهم من انكلترا « إدوارد الأول » ومن فرنسا « شارل السادس » [لم يجدوا ملجأ إلَّا الأندلس حيث حاطهم أمراء الإسلام بعطف خاص] .

الأرض والشعب

كتب بيغن في كتابه « الثورة : ٣٢٥ » يقول : [منذ ايام التوراة وارض إسرائيل تعتبر ارض الأمم لأبناء إسرائيل ، وقد سميت هذه الأرض فيما بعد : فلسطين . وكانت تشمل دوماً ضفتي نهر الاردن ولبنان الجنوبي ، وجنوب غربي سورية ، إن تقسيم الوطن عملية غير مشروعة ، ولن يحظى هذا العمل باعتراف قانوني ، وإن تواقيع الأفراد والمؤسسات على اتفاقية التقسيم باطلة من اساسها .. وسوف تعود ارض إسرائيل إلى شعب إسرائيل بتمامها وإلى الأبد ...] .

وفي خطاب القاه بن غوريون - وكان وزيراً للدفاع - بمناسبة إعلان قيام الدولة اليهودية على القسم الذي تمت سيطرة يهود عليه من ارض فلسطين عام ١٩٤٨م . قال :

[اما السيف الذي اعدناه إلى غمده ، فإنه لم يعد إلَّا مؤقتاً ، إننا سنستله حين تتهدد حريتنا في وطننا ، وحينما تتهدد رؤىٰ انبياء التوراة ، فالشعب اليهودي باسره سيعود إلى الاستيطان في ارض الآباء والأجداد الممتدة من النيل إلى الفرات] (حياة بن غوريون : ٣٢٧) .

وفي عام ١٩٥٠م عندما صدر « قانون العودة » علَّق عليه بن غوريون بقوله : [ليست دولة إسرائيل دولة يهودية فقط لأن اليهود يشكلون اغلب سكانها ، إنها دولة لليهود اينما كانوا ، ولكل يهودي يرغب في

ذلك ...] وينص هذا القانون على ان لكل يهودي ان يهاجر إلى إسرائيل ، ويعتبر يهودياً كل شخص يهودية ، او اعتنقت الدين اليهودي ، ولا يكون له دين آخر ... (الصفة اليهودية لدولة إسرائيل : ١٥٥ - ١٥٦) وكان بن غوريون وحزب الماباي - وهو من الأحزاب العمالية - وراء قرار تدريس الدين كمادة إجبارية في البرامج الدراسية ... إلى جانب فرض اتخاذ اسم عبري لكل يهودي من يهود الشتات قادم إلى فلسطين ، وفي ذلك يقول بن غوريون : [إن حياة اليهود في دولتهم الخاصة يجب ان تختلف كلياً وبالضرورة عن حياة إخوانهم في الأقطار الأخرى ، وذلك في ميادين الثقافة والاقتصاد والوعي الذاتي ، وفي نظرتهم نحو العالم ونحو انفسهم ، وفي علاقاتهم بالامم الأخرى ، وفي طابعهم الإنساني وصفاتهم ، وفي طريقة معيشتهم ... تواجهنا اليوم صعوبات إذابة المهاجرين في الدولة ، وعندما تصلنا دفعة جديدة من المنفيين ، سواء اكانوا من اقطار إسلامية ام سوفييتية ، فإنَّ الصعوبات ستزداد وتشتد ، ومع ذلك فإن الدولة ستجد الطرق للتغلب على مشاكل تمزق المجتمع وتنافر الثقافات ، مع إدراكها ان ذلك ليس سهلاً ... في داخل الدولة ستزول الفوارق بين انواع اليهود المختلفين بحكم مرور الزمن ، وستذوب المجتمعات والقبائل في كيان ثقافي وطني واحد ...] ويتابع قائلاً : [وأولى هذه المراحل تبدأ في ساعة وصول المهاجر إلى فلسطين ، إذ يُرسَل إلى معسكرات خاصة بالمهاجرين الجدد ، وتحدد له ضمن زمن خاصة صفوف يعطى فيها مبادىء اللغة العبرية واصولها وما يحتاجه من مفردات تعينه على تدبير حياته ...] حتى الجيش في دولة العدو له مهمات اخرى غير المهمات الحربية ، ففي صفوفه [يُلَقَّن الشباب اليهودي مواد خاصة تتضمن تقوية اللغة العبرية ، ومعرفة جغرافية البلاد ، ودراسة تاريخ اليهود ، إضافة إلى مبادىء في الثقافة العامة والنظافة وحب الوطن ...] (إسرائيل ، الكتاب السنوي : ١٩٥٤م) .

الدولـــة

يعرِّف بن غوريون « الدولة اليهودية » بعد ان اعلن استقلالها !! فيقول : [إنَّ دولة إسرائيل هي ذلك المكان الذي ولد فيه الشعب اليهودي ، وإن ارض إسرائيل هي المهد الذي فيه تكوَّنت الخصائص الروحية والدينية والقومية للشعب اليهودي ... في تلك الأرض كُتبت التوراة التي قدمها الإله هدية إلى الإنسانية ؛ وفي تلك الأرض تكوَّنت الحضارة اليهودية ذات الطابع القومي العالمي في آن واحد ... إنَّ اليهود لا يعودون إلى ارضهم فاتحين ، وإنما يعودون إلى الأرض الموعودة من اجل صالح الإنسانية !! نحن اليهود - وقد أُعيدت إلينا حقوقنا - سوف نظل اوفياء إلى وظيفتنا الإنسانية التي كانت وسوف تظل وظيفة شعب التوراة ...] (إطار الحركة السياسية في المجتمع الإسرائيلي : ١٥٧) .

وفي نكبة حزيران ١٩٦٧م اتم يهود احتلال المدينة المقدسة « القدس » باستيلائهم على القدس الشرقية ، ولم يدخلها وزير دفاعهم آنذاك « موشيه دايان » إلَّا في اعقاب دخول الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي « شلومو غورين » حيث أدوا صلاة الشكر عند حائط البراق الشريف « حائط المبكى » ، وكانت الهتافات المسجلة وقتها : « يالثارات خيبر ... » تشق عنان السماء ... وهنا قال « دايان » : [اليوم فتحت الطريق إلى بابل(٣) ويثرب] ، وفي آب (اغسطس) من العام نفسه ، قال : [إذا كنَّا نملك التوراة ، وإذا كنَّا نعتبر انفسنا شعب التوراة فيجب ان تكون لنا ارض التوراة : بلاد القضاة ، ارض أورشليم - القدس - وحبرون - الخليل - وأريحا واماكن اخرى ...] (الجيروزاليم بوست : ١٩٦٧/٨/١٠م) .

ويصف إسحاق رابين - رئيس الأركان يومها - دخولَه بيت المقدس عام ١٩٦٧م فيقول : [لقد كان احتلال القدس انتصاراً كبيراً لنا ... في حرب الاستقلال - عام ١٩٤٨م - اضطررنا إلى ترك القدس الشرقية بايدي العدو ؛ ومنذ اندلاع حرب حزيران (يونيو) كان صبرنا قصيراً ، يجب ألَّا تضيع الفرصة التاريخية ، وكلما كنَّا نقترب من حائط المبكى ازداد الانفعال ، حائط المبكى الذي يميز إسرائيل ... لقد كنت احلم دوماً بان اكون شريكاً ، ليس فقط في تحقيق قيام إسرائيل ، وإنما في إعادة حائط المبكى إلى السيطرة اليهودية ... والآن عندما تحقق هذا الحلم ، تعجبت ، كيف اصبح هذا ملك يدي ؟ وشعرت بانني لن اصل إلى مثل هذا السمو طيلة حياتي ... وصلنا إلى حائط المبكى ، توقفت انفاسي قليلاً ، لم اشهد في حياتي مثل هذا الشعور ... وانا اشك فيما إذا كنت ساشعر بهذا الشعور فيما بعد ... لقد شعرت بان الوقت هو وقت انتصار نادر ... إنَّ حقبات حاسمة في حياتي ترتبط بالقدس ، فقد وُلدت فيها ، وحاربت فيها عام ١٩٤٨م ، وحلمت فيها بإقامة دولة يهودية ...] (سجل خدمة : ص ٥ وما بعدها) .

وقد علَّق صحفي فرنسي - جان نويل جورجان - على استيلاء يهود على حائط المبكى بقوله : [دخل زلمان شازار رئيس الدولة المدينةَ المفتوحة ، ووقف امام حائط المبكى ، ولأول مرة منذ عشرين قرناً يقف رئيس دولة عبرية مستقلة امام معبد سليمان الكبير ، وهذه هي عودة شعب داود إلى الأماكن العتيقة ... بل إنَّ الإسرائيليين الملحدين ذاتهم تاثروا ايضاً بهذه الرموز الدينية ، وهم لن ينتزعوا من القدس دون ان تدمى قلوبهم ...] ماذا يعني هذا ؟ الا يعني ان الدين يشترك في تكوين الدافع الروحي لوجود المجتمع ، وان هذا قضية منفصلة عن التدين - في غير الإسلام طبعاً - حيث ينحصر التدين تقريباً في ممارسة طقوس معينة ، وفي اماكن خاصة ، وحيث يمكن ان تنتظم الحياة المدنية بعيداً عن هذه الطقوس ؟ ومع ذلك تبقى حقيقة العصبية الدينية في هذه المجتمعات ... (اخطر من النكسة : ٩٧) .

وبعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧م ذهبت « غولدا مائير » رئيسة وزراء العدو إلى الولايات المتحدة لجمع تبرعات لصالح الدولة اليهودية ، وكان مما قالته في الحفل الذي اقيم لذلك : [إسرائيل هي مركز وقاعدة كل شيء يهودي على وجه الأرض] .

الوعـــد

في الثلاثين من اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٧م كتب مراسل « الجارديان » البريطانية يقول : [إنَّ الأمر اصبحت له قداسته الدينية ، ففي عطلة الأسبوع اعلن الحاخام الأكبر ان اورشليم - القدس -

في الفكر اليهودي!

واراضي إسرائيل هي اماكن مقدسة بالنسبة إلينا ، لقد وعدنا الله بالأرض ، وكل ما تنبأ لنا به الأنبياء يحدث لنا ... وعلى ذلك فإنه محرم على اي يهودي ان يفكر في إعادة اي جزء كان من ارض اسلافنا] .

وفي تصريح أدلت به « غولدا مائير » لجريدة « لوموند » الفرنسية بتاريخ ١٥ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧١م قالت : [وُجد هذا البلد تنفيذاً لوعد الربّ ذاته ، ولهذا لا يصح ان نساله إيضاحاً عن شرعية ذلك الوجود ...] .

امّا « بيجن » رئيس وزراء دولة العدو السابق ، فقد قال في « اوسلو » ونشرت ذلك جريدة « دافار » الإسرائيلية بتاريخ ١٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٨م : [لقد وُعدنا هذه الارض ولنا الحق فيها] جاء في سفر التكوين ، الإصحاح الخامس عشر ، الآية : ١٨ [في هذا اليوم قطع الرب مع إبرام - إبراهيم - ميثاقاً قائلاً : لنسلك اعطي هذه الأرض ، من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات] .

وعندما طرح « ريغان » الرئيس الأمريكي مبادرته للسلام في الشرق الأوسط !! بعث إليه « بيجن » برسالة يعقب فيها على هذه المبادرة ، جاء فيها قوله : [سيدي الرئيس ، إنّ ما يطلق عليه من قبل بعضهم : الضفة الغربية ؛ هو يهودا والسامرة ؛ وحقائق التاريخ البسيطة هذه لن تتغير ابداً ، هنالك من يحاول الالتفاف على التاريخ ؛ ويمكن لهم الاستمرار بهذا الالتفاف كما يرغبون ، ولكني ساتمسك بالحقيقة التي تنص على انه قبل الفي عام كانت هناك مملكة يهودية في يهودا والسامرة ... هنالك سجد ملوكنا للرب ، وهنالك تنبا انبياؤنا بالسلام الأبدي ، وهنالك انشؤوا حضارات غنية حملناها معنا في قلوبنا وافكارنا ، وفي تجوالنا لأكثر من الف وثمانمائة سنة ، وَعُدْنا بها إلى وطننا ... من اجل صهيون لن اهدا ، ومن اجل القدس لن اسكت ...] القدس التي يسميها « اورشليم » .

وفي اعقاب الاجتياح الإسرائيلي لجنوبي لبنان عام ١٩٨٢م واحتلالهم لقسم كبير من الأرض اللبنانية ، وحصارهم للعاصمة بيروت ، نشرت جريدة « هاآرتس » الإسرائيلية بتاريخ ٥ يوليو [تموز] ١٩٨٢م على لسان حاخام في الجيش برتبة نقيب قوله : [علينا الّا ننسى اجزاء التوراة التي تبرر الحرب ، فنحن نؤدي واجبنا الديني بوجودنا هنا ، فالنص المكتوب يفرض علينا واجباً دينياً هو : ان نغزوا ارض العدو] .

الا يكفي هذا لإقناع بعض بني جلدتنا ان يهود إنما ينطلقون من رؤية دينية ، توراتية تلمودية ، وعنها يصدرون ؟! إن اي تحليل للتعاليم اليهودية نفسها من خلال التوراة المتداولة التي تعلن منذ البداية متى يرتفع اليهودي إلى مرتبة الكمال ، بقولها : [وهكذا سوف يكون عندما تصل إلى الأرض التي اعطاها الإله لك كميراث ، وتضع يدك عليها ...] او من خلال التلمود الذي يصرح بان [واجب كل يهوديّ هو ان يعيش في ارض إسرائيل ، وان هذا الواجب يعلو اي التزام آخر] بل إن الديانة اليهودية تفرض على كل يهودي فرضاً مقدساً هو ان يساعد أولئك الذين استطاعوا ان يظلوا في ارض الميعاد ، او استطاعوا ان يعودوا إلى ارض الآباء ... (إسرائيل الكبرى : ٨٠) حتى في التبرعات التي لا يكل يهود ولا يملوا في جمعها وإرسالها من مختلف بلدان الدنيا إلى دولتهم في فلسطين إنما ينطلقون من وصية توراتية بان يساعد اليهودي اخاه اليهودي [والذي تعطيه لي سارده عشر مرات] ؛ من هنا وجدنا ان ثمانمائة عائلة يهودية تعيش في مدينة « بورت إليزابيث » بجنوبي افريقيا يتبرعون بعشرة ملايين مارك الماني عندما وقف بينهم « لويس ماكس » يناديهم ويحثهم على التبرع بقوله : [اعطوا واعطوا حتى يوجعكم العطاء ... حتى يؤلمكم العطاء] ، وفي باريس استطاع « روتشيلد » ان يجمع من النصف مليون يهودي فرنسي اكثر من ثمانية واربعين مليون مارك الماني لتحوّل إلى دولة العدو ... وفي نيويورك بلغت تبرعات الستة ملايين يهودي امريكي لصالح دولة العدو خلال العام ١٩٨٤م خمسمائة مليون دولار امريكي دفعوها استجابة لطلب « إدوارد جنسبارغ » الذي كان يقول لهم : [إخواننا في إسرائيل يدفعون باروحاهم ودمائهم وممتلكاتهم ... يدفعون دماءهم لإسرائيل ... اقل شيء نستطيع فعله التبرع بسخاء ؛ وبسخاء لا حدود له] (القبس : ٦/٥/١٩٨٥م) .

إنّ اي تحليل لهذه التعاليم اليهودية لا بد وان يقود إلى قوى فكرية ثلاث تكوّن الإطار العام لهذه التعاليم : صهيون - إسرائيل - التوراة ... اي : الأرض والشعب والدعوة . هذه العناصر الثلاثة تتداخل فيما بينها لتكوّن مثلثاً لا معنى لأي جزء منه مستقل عن الآخرين [لا معنى لإسرائيل من غير القدس ، ولا معنى للقدس من غير الهيكل] فهي تفرض علاقة لا تنفصل بين الأرض والتعاليم ، بين الوطن اليهودي والشعب اليهودي ، بين هذا الشعب والتعاليم الواردة في توراته وتلموده ... فكل يهودي خارج إسرائيل لم يحقق مثاليته ، وكل تعاليم لا تنبع من التوراة هراء وسفسطة ، وكل يهودي لا يرى انتهاءه إلى ارض الأجداد تعبيراً عن قدسية تعاليمه المنزّلة مخالفٌ لليهودية ، منافٍ لدينه ... (إطار الحركة السياسية في المجتمع الإسرائيلي : ١٣٤) .

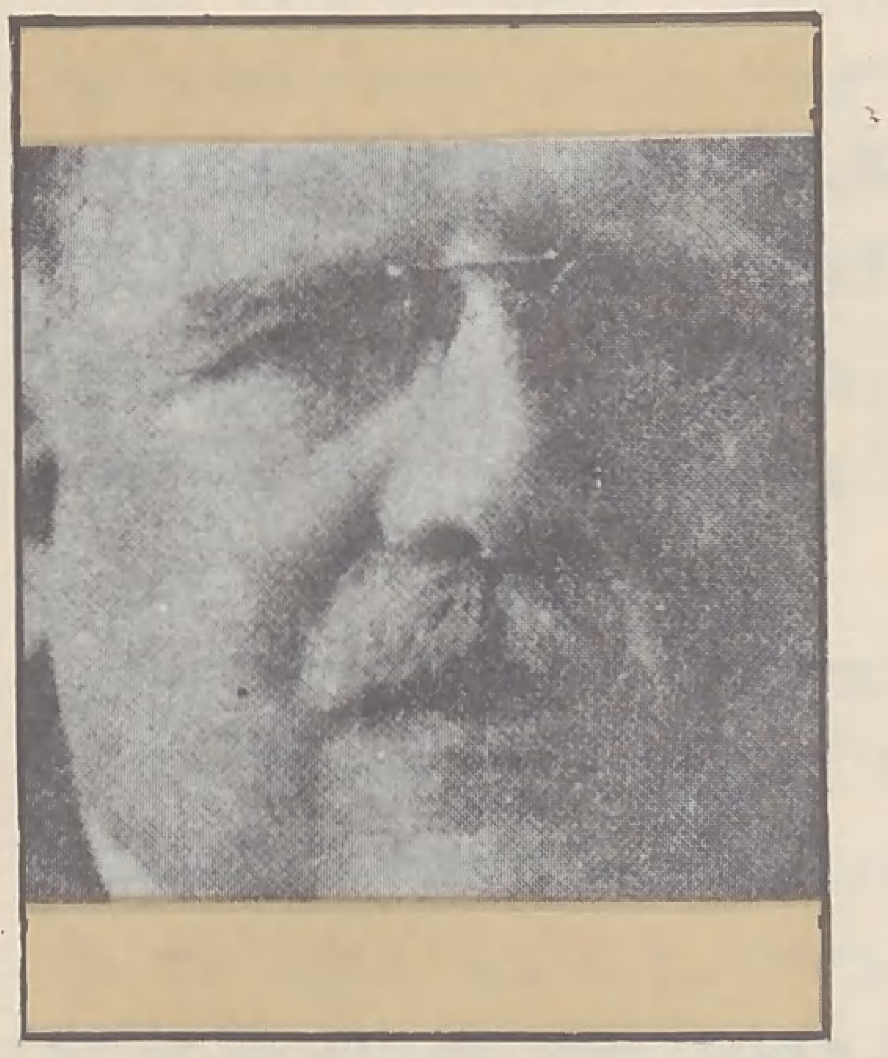
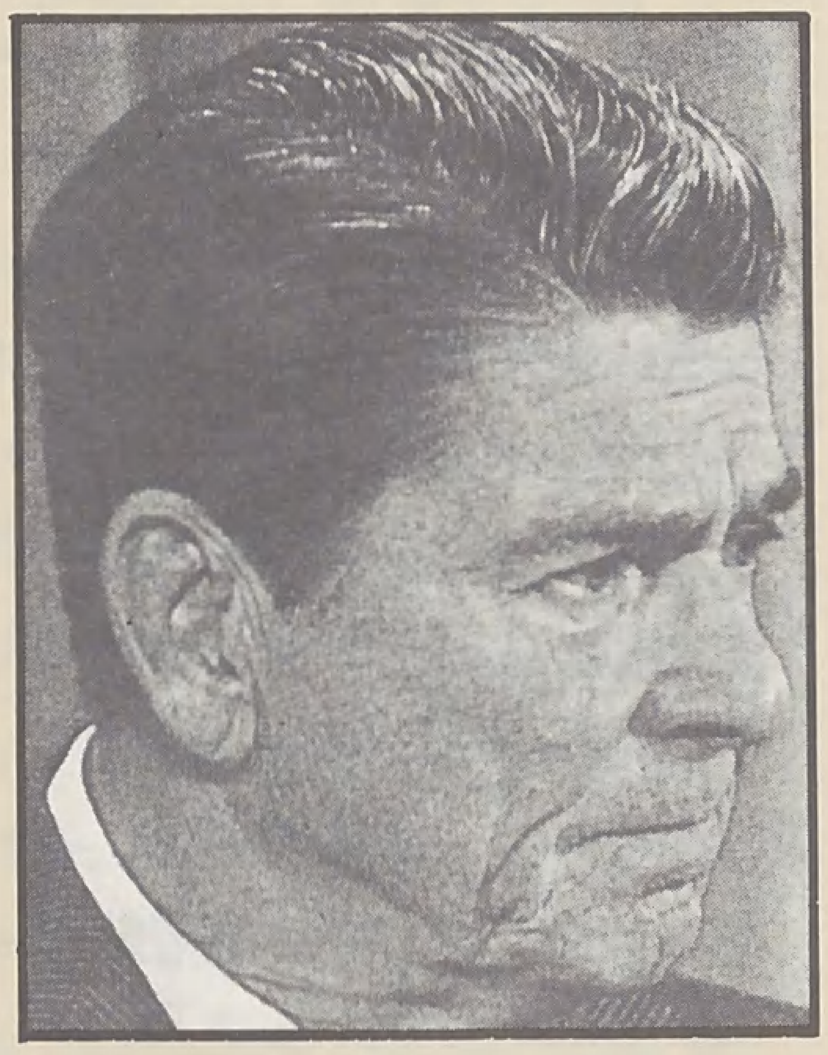

■ بلفور - ريجان : إقامة دولة يهودية ودعمها وحمايتها انطلاقاً من الكتاب المقدس ■

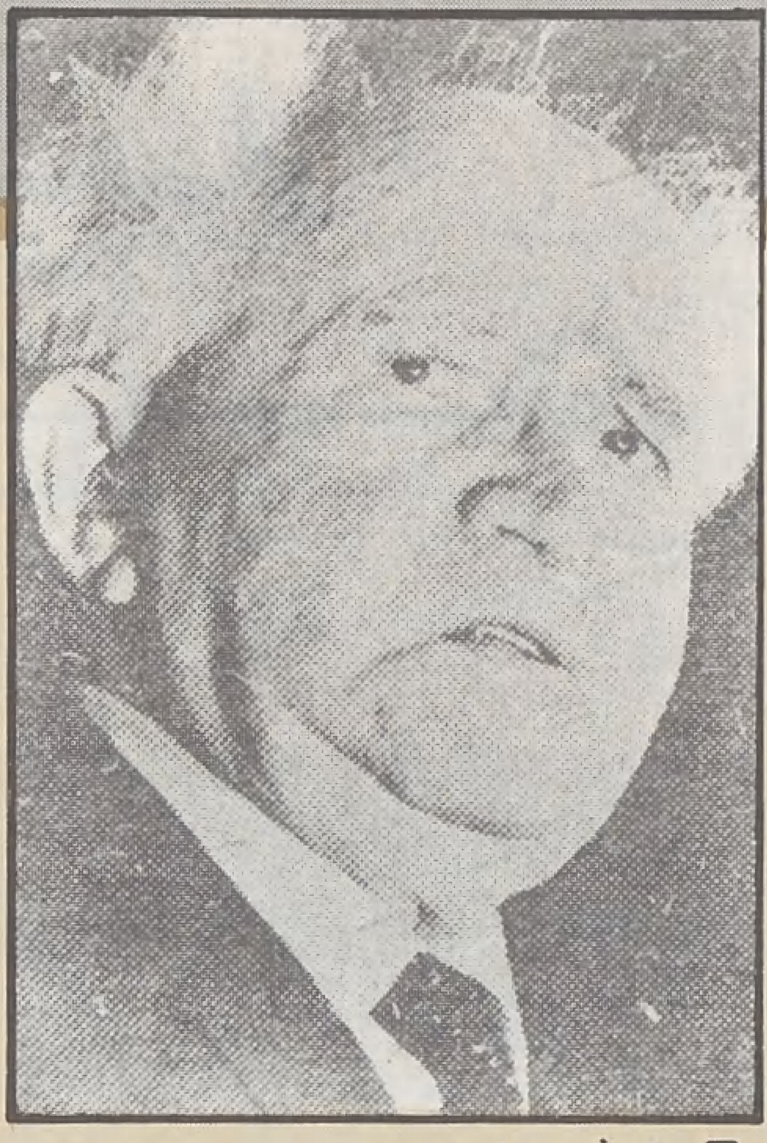

■ بن غوريون :
إسرائيل دولة لليهود أينما كانوا ■

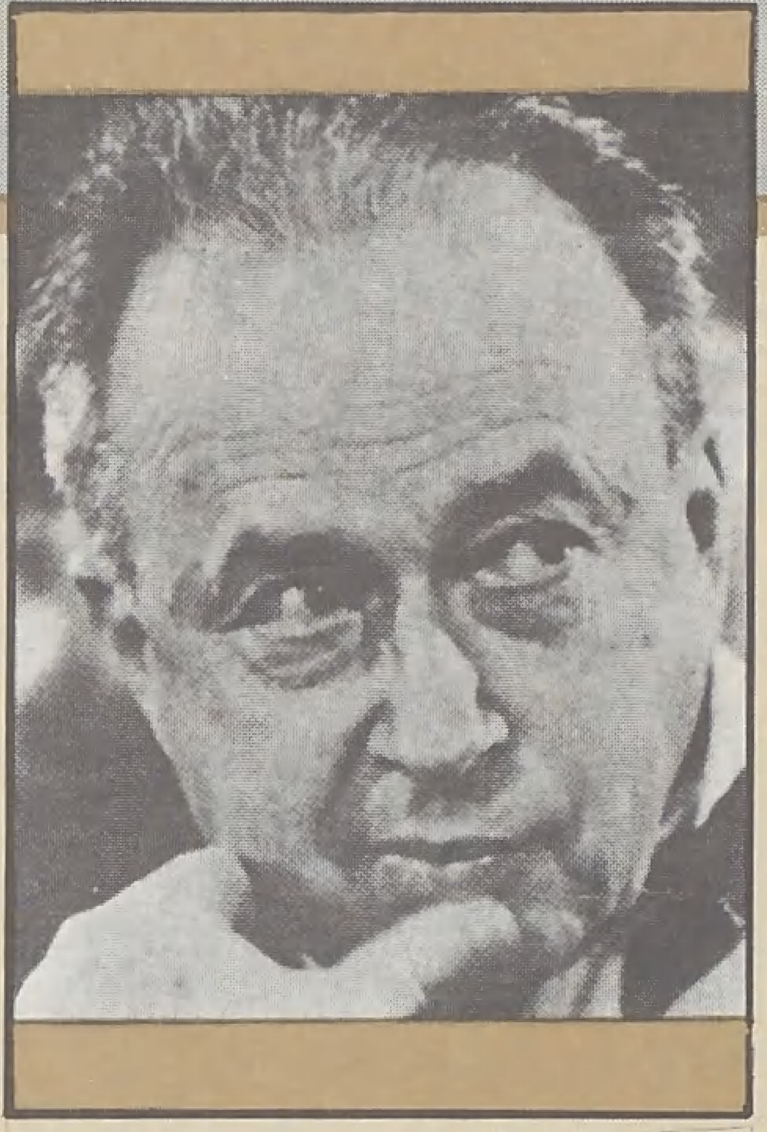

■ إسحاق رابين :
حائط المبكى الذي يميز إسرائيل ■

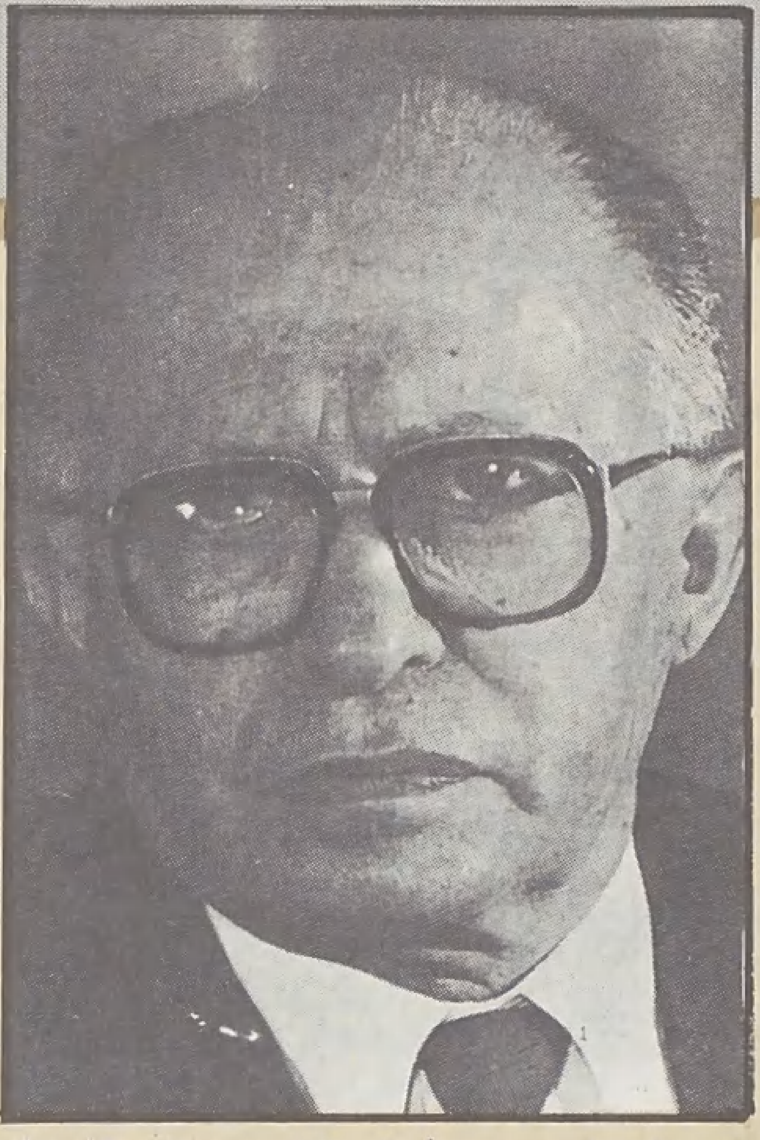

■ بيغـن : من أجل صهيون لن أهدأ ، ومن أجل «أورشليم» لن أسكت ■

إنهم يجهرون دون مواربة او خوف ، بل بفخر واعتزاز بان [شعب إسرائيل لم يحافظ على السبت فحسب ، بل إنَّ السبت هو الذي حافظ على شعب إسرائيل] وإن فكرة ارض الميعاد ، والمسيح الموعود ، وشعب الله المختار هي التي حفظت عليهم ذاتيتهم ومنعتهم ان يذوبوا خلال فترة الشتات الطويل في الشعوب التي عاشوا بينها ، يقول « بن جوريون » : [... لقد كان نصيب شعبنا دائماً ان يقف كاقلية امام الأكثرية ، ولذلك ذكر انبياؤنا منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة : انكم اقل الشعوب جميعاً ، ولذلك يجب على شعب إسرائيل ان يكون شعب قدرات وتفوق من الناحية الروحية ، بحيث يستطيع ان يقف امام شعب اكبر منه ، وبدون التفوق الروحي لم يكن شعبنا يستطيع ان يبقى الفي سنة ... وما بقيت منه بقية بعد الشتات بين شعـوب تكرهـه ، لانـه يختلف عنهـا وما استطاع إحياء وطنه بعد الف وثمانمائة وثلاث عشرة سنة من هزيمته في ظروف تختلف عن ظروف إحياء واستقلال اية دولة في القرنين التاسع عشر والعشرين ... (اخطر من النكسة : ١٠٢) .

من هنا جاء إصرارهم على ان تكون هذه الأرض « ارض الميعاد والتوراة » خالصة لهم من دون الناس جميعاً ؛ كتب « يوسف فايتز » مدير الصندوق اليهودي المكلف بالاستيلاء على ارض فلسطين في يومياته عام ١٩٤٠م يقول : [يجب ان يكون واضحاً لنا انه ليس هناك مكان لشعبين في هذا البلد ، وإذا ترك العرب البلاد فإنها تكفينا لنعيش فيها ... وليست هناك وسيلة اخرىٰ ، فلا بـد من إخراجهم ، ولا يصح ان نُبقي قرية واحدة لهم ، او قبيلة واحدة منهم ؛ يجب ان نوضح لـ « روزفلت » - رئيس الولايات المتحدة يومها - ولكل رؤساء الدول الصديقة ان ارض إسرائيل ليست صغيرة إذا خرج العرب كلهم منها ، وإذا ما وسِّعت الحدود قليلًا نحو الشمال على طول الليطاني ، ونحو الشرق على طول مرتفعات الجولان ...] .

ولذلك اطلقوا على الحرب التي دارت رحاها فوق الارض المقدسة عام ١٩٤٨م اسم « حرب الاستقلال » او « التحرير » انطلاقاً من ان [الله قد وهب شعبه المختار تلك الارض] وان اتباع موسى وابناء التوراة لا يسعهم إلَّا ان يستجيبوا لتلك الـدعوة بالعودة إلى هذه الأرض « أرتز إسرائيل » التي سُلبت منهم بطريقة غير شرعية !! ومن حقهم ان يعودوا إلى وطنهم الجديد !! فهل نعي هذه الحقيقة ؟

---

(١) يستمد الفكر اليهودي جذوره من منبعين أساسيين ، هما : التوراة والتلمود .

والتوراة : في أصلها « صحف موسى » عليه الصلاة والسلام ، التي ضاعت في ثنايا التوراة المتداولة المحرفة التي تجعل الله عزَّ وجل شخصاً يخطىء ويصيب ، يحب ويكره ، يغضب ويرضىٰ ، يأكل ويشرب وينام ، متعطشاً للدماء ولا يرتوي منها ... تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وتجعل من الأنبياء مجرمين سفاحين ، وزناة قوادين ، يشربون الخمر ويعبدون الأصنام ، يمكرون ويتآمرون - قاتلهم الله أنَّىٰ يؤفكون - فهم الأبرار الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم .

والتلمود : وضعه أحبار يهود في الأصل لذم المسيح عليه الصلاة والسلام وأمّه العذراء البتول ، وتلامذته الحواريين بكلام فاحش بذيء ، وهو كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم [يقوم مقام السنة النبوية في ديننا] .

وإلى جانبهما بعض المنابع الفرعية التي يمثلها بعض الكتب اليهودية ، منها : بروتوكولات حكماء صهيون ، روما والقدس : لموسى هيس ، التحرر الذاتي : لبنسكر ، الدولة اليهودية : لهيرتزل ...

يقول « بن غوريون » : « تستمد الصهيونية وجودها وحيويتها من مصدرين : مصدر عميق عاطفي دائم مستقل عن الزمان والمكان ، وهو قديم قدم الشعب اليهودي ذاته ، هذا المصدر هو : الوعد الإلٰهي والأمل بالعودة .

أما المصدر الثاني ، فقد كان مصدر تجديد وعمل ، وهو ثمرة الفكر السياسي العملي الناشىء عن ظروف الزمان والمكان ، والمنبعث من التطورات التي شهدتها شعوب أوربه في القرن التاسع عشر ، وما خلفته هذه الأحداث الكبيرة من آثار عميقة في الحياة اليهودية » (نظام التعليم وفلسفته في إسرائيل : ٣٢) .

(٢) حاخام الطائفة اليهودية في الدولة العثمانية أيام الاتحاديين ، عمل مع : « استراوس » و « مورجانتو » اليهوديين ، سفيري الولايات المتحدة في الآستانة ، للقضاء على الجواز الأحمر الذي كان السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله قد وضعه بعد أن أدرك تآمر يهود ومكرهم للاستيلاء على فلسطين وجعلها دَولة لهم ، وذلك لمنعهم من الاستقرار فيها ... مثَّل هذا الحاخام تركيا الكمالية في مؤتمر « لاهاي » ، وفي مؤتمر « لوزان » الذي تمت الموافقة فيه على : إلغاء الخلافة ، وقد أُلغيت عام ١٩٢٤م ؛ وعلى عدم استخدام الحرف العربي لكتابة اللغة التركية واستخدام الحروف اللاتينية ؛ واستبدال القوانين الوضعية الأوروبية بالقانون العثماني المستمد من الشريعة الإسلامية « مجلة الأحكام العدلية » ، اختاره بعد ذلك « أتاتورك » ليكون سفيراً له لدىٰ الولايات المتحدة ، فرفض ، وفضَّل الذهاب إلى مصر حيث أصبح حاخاماً أكبر لليهود فيها ، وعضواً في اللجنة التي وضعت الدستور الذي حُكمت به مصر ثلاثين عاماً ، توفي في القاهرة عام ١٩٥٥م .

(٣) بتاريخ ١٩٤٨/٥/٢١م كتب « بن جوريون » ، يقول : نقطة الضعف في التآلف العربي هي لبنان ، فالسيادة الإسلامية فيها شيء مصطنع ، ويمكن بسهولة قلبها رأساً على عقب ، وينبغي إقامة حكومة نصرانية في هذا البلد تكون حدودها الجنوبية هي نهر الليطاني ، وسنوقع معاهدة تحالف مع هذه الدولة ، وبعد ذلك نحطم الفرقة العربية الأردنية ، ونقصف عمَّان بالقنابل ، ثم نكتسح شرقي الأردن ، وستسقط سورية بعد هذا ، وإذا تجرأت مصر على محاربتنا فسنقصف بور سعيد والإسكندرية والقاهرة ، وبهذا ننهي الحرب ... ونكون قد ثأرنا لأسلافنا من مصر وآشور والكلدان ... (تاريخ حياة بن جوريون : ١٣٩) .

التأكيد على فاعلية الحوار

■■ إن بسط أسباب الحوار، هو بدءاً، من مقتضيات التواصي بالحق، الذي جعله المولى عزّ وجل مناط تعلق النخبة المؤمنة، ومبعث فلاحها، وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .

لذا فقد أحسنت « الأمــة » صنعاً، وهي تدعو ـ فيما دعت إليه ـ بإلحاح متحمس، إلى ضرورة التأكيد على فاعلية الحوار، من خلال إصدارها الرائد، الذي أنشأه الأستاذ « عمر عبيد حسنة » تحت عنوان « نظرات في مسيرة العمل الإسلامي »، مؤكدة بذلك على قيمة تعتبر ضمانة أساسية لتفادي كل ما من شأنه أن يقود إلى إيصاد منافذ الرؤية والتقييم، أو « تكريس الأخطاء ونموها ».

وهي بكل المقاييس، لفتــة موحية إلى قضية بالغة الحساسية والتأثير، يتوجب علينا أن نقعّد لها في نفوسنا مكاناً علياً، إيماناً وممارسة. ■■

بقلم : حسن فضل المولى دفع الله

العقلية المتفتحة وحرية الفكر

ونحن إذ نهتف لهذه المبادرة ونؤكد عليها لا نحسبنا نحتفل بجديد مبتدع، بقدر ما نُحيي خاصية سبق إليها الإسلام، وهي صبغ أجواء العمل بروح التبني الواعي لحقائقه ومقاصده، بعد أن تصبح قناعات راسخة، ومسلّمات واثقة، نضجت في مسالك الحوار البناء، والمجادلة بالتي هي أحسن، وبسط أسباب الشورى.

إن صياغة العقلية المتفتحة، التي تتوسل المرونة في تعاملها مع الآخرين، كان واحداً من أكبر هموم المسلمين في مراحل النضج الفكري، والتالق الروحي، مما أدّى بدوره إلى سيادة مبدأ الحوار، الذي لم يكن وقفاً على فئة دون غيرها، وإنما امتد لينعم في ظله المسيء قبل المحسن، والعدو قبل الصديق، والذي يرتع في الضلال قبل الذي يستضيء بنور الهداية..

وفي هذه البيئة النقية، توفرت جهود نفر من علماء الأمة وصلحائها، على إرساء قواعد الحرية الفكرية، التي تتغذى بالحوار، وتنمو بالمراجعة، وتصح بالنقاش، فنشطت حركة الاجتهاد، وتنوعت أساليب العمل وتلاقحت الرؤى ووجهات النظر، فأثمر ذلك في واقع الحياة قوة في البنية الفكرية، ووعياً في التناول والمعالجة، واحتفاءً بالرأي، وتلمساً للحق وانقياداً له، وغدت « الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها ».

مسلك التأصيل النبوي لحرية الحوار

فجاء ذلك المسلك تأصيلاً لقيمة حرص عليها النبي ﷺ في تعامله مع صحبه الكرام. ذلك أن عصمته عن الخطأ وتسديده بالوحي، وعلمه بمصادر الأمور ومواردها، لم تجعله يستنكف عن إدارة دفة الحوار مع من حوله، إقراراً لمبدأ الشورى في حياة المسلمين من بعده، ودفعاً لغوائل الاستئثار بالرأي، ومصادرة حق الآخرين في الإفصاح عمّا يخامر أذهانهم، ويتفاعل في نفوسهم. فكانت المواقف تجاه الأحداث المختلفة تجسيداً لروح الجماعة، ومرئياتها المنسجمة والملتزمة بهدي النبوة.

ولا تكاد تحصى تلك المواقف التي بإمكاننا أن ندلل بها على صدق ما ذهبنا إليه.. ونجتزىء في هذه العجالة بعضاً منها، فمثلاً، ما حدث بُعيد معركة بــدر عندما توجه الرسول ﷺ تلقاء أصحابه قائلاً:

« ما تقولون في الأسارى » ؟

ولو قالوا الأمر إليك فافعل ما ترى، لما كان في ذلك انتقاص من أقدارهم، أو تقليل من مكانتهم، إذ أنهم بين يدي **الرسول عليه السلام الذي جاء بالقرآن ومثله معه**. ولكنهم آثروا أن يفيضوا على الموقف ما يعين في تقرير مصير أولئك الأسرى، فاتخذوا في ذلك مذاهب شتى، تنبىء عن تباين شديد في وجهات النظر، ولكن في إطار من الحوار الراقي الذي لم يكن للهوى فيه نصيب..

فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه:

يا رسول الله : قومك وأهلك، استبقهم واستتبهم لعلّ الله ان يتوب عليهم..

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

يا رسول الله : كذبوك واخرجوك، فقدمهم واضرب أعناقهم..

وقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

يا رسول الله : انت في واد كثير الحطب فاضرم الوادي عليهم حطباً ثم القهم فيه..

فسكت رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم بشيء، ثم قام فدخل، فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة. ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ فقال:

« إن الله ليُلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون اشد من الحجارة، وإن مثلك يا ابا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام قال: ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (إبراهيم : ٣٦)، ومثل عيسى عليه السّلام قال: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة : ١١٨)، وإن مثلك يا عمر كمثل موسى عليه السّلام قال ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ (يونس : ٨٩). ومثل نوح عليه السّلام قال ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾ (نوح : ٢٦)

ويبدو جلياً كم كان **الرسول عليه السلام**

■ إنَّ مسيرة العمل الإسلامي لا ينقصها عدد ولا عدَّة ولا رؤى بقدر ما هي خلو من أوعية وقنوات الحوار التي تصل بين أطرافها وتجمع وحداتها وتزكي مجاهداتها . ■

حفياً بهذه الآراء وهو يلتمس لكل واحد منها وجهاً من وجوه الحرص والغيرة ...

وفي اتجاه آخر ..

يأتي النبي ﷺ أناس من الصحابة يحتجون بذهاب الأغنياء بالأجور عندما يتصدقون بفضول أموالهم ، فيعدد لهم **النبي** ﷺ أنواعاً من الصدقات في وسعهم بذلها ثم يختم حديثه قائلاً : « **وفي بضع أحدكم صدقة** » . فتنتابهم الغرابة وتتملكهم الدهشة ، ولكنهم لا يكتفون بهذا الإحساس السالب ، وإنما يتساءلون في جراة متناهية وصراحة صارخة : **أياتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال** : « **أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له بها أجر** » ..

ويروي **البخاري** بإسناده عن **عائشة** رضي الله عنها ان **النبي** ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه فيختم بـ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : « **سلوه لأي شيء يصنع ذلك** » ؟ فسألوه ، فقال : **لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها .. فقال النبي** ﷺ : « **أخبروه أن الله يحبه** » ..

هـــذا من ناحيـــة ..

وهنـــاك أيضاً حـــادثة « **تـــأبير النخـــل** » المشهورة ، فعلاوة على أنها جاءت تحريضاً من النبي ﷺ للعقل المسلم لارتياد آفاق الابتكار ، وامتلاك ناصية التخطيط الصائب فيما يقيم أمور الحياة على نحو موزون ، فهي تنهض مع ما سبق من أمثلة لتدلل على المنهج الذي اختطه الرسول ﷺ لحفز الهمم المستبقة للخيرات ، وتوسيع دائرة المشاركة الواعية ، أخذاً وعطاءً ، إقناعاً واقتناعاً ، تنظيراً وتطبيقاً ...

وبذلك أقام النبي ﷺ أنموذجاً أمثل لحياة راشدة تحققت من خلالها كرامة الإنسان وتفوقه بإقرار حريته الفكرية وإشباع نهمه ورغبته في التفكير والمبادرة والرؤية وتقليب الأمور ظهراً لبطن قبل إنفاذها وتمضيتها ...

ضرورة تخلص العمل الإسلامي من أحادية النظـــرة

وتأسيساً على ذلك فإنه يظلنا زمان غدا فيه العمل الإسلامي وليداً يدرج على محك الشدة ، يتكفأ ويتعثر تحت ضغط النوازل التي تُصَب عليه وتحاصره من كل فج ، مما يحتم علينا الامتلاء من تلك الروح التي أرسى قواعدها **المصطفى** ﷺ وصحبه الكرام ، ومن تبعهم بإحسان ..

ذلك أن الانتصار في معركة العقيدة ، والتغلب على عوامل الضعف والتمزق والانكسار ، يقتضي الانطلاق من قاعدة مركَّزة ومتماسكة ، قوامها القناعة بفاعلية المبادرة الفردية والجرأة في إبداء الحق ، والمدافعة الفكرية ، وهي عناصر تؤدي في مجموعها إلى صلابة الجبهة الداخلية والتحام الصف المسلم ..

ومن هنا فإن صب طاقة الأمة في الطريق الصحيح ، يبدأ بالتخلص من مظاهر السلوك القاصر ، المتمثل في إصرار كل ذي رأي على رأيه ، ومخاصمة كل ما لا يصادف في النفس هوى وقبولاً ، وسوء الظن بمقدرة الآخرين وأهليتهم في التفكير والرؤية والإنشاء ، والاعتصام من ثم بمبدأ « **ما أريكم إلَّا ما أرى** » .

فليست هناك فكرة أو رأي أو أسلوب يمكن أن نحيطه بهالة من التقديس ، أو نضعه في إطار زجاجي شفيف ونكتب عليه : « **ممنوع اللمس أو الاقتراب** » ... والموقف الصائب في ذلك ما ذهب إليه الإمام مالك رضي الله عنه وهو يقول :

« **إنَّما أنا بشر أخطىء وأصيب ، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه** » ..

اتباع الحق حيث كان

وطبيعة الحق أنه يأبىٰ أن يكون وقفاً على فرد أو فئة أو جماعة ، مهما تحققت بأسباب القوة واحتشاد مظاهر الغلبة والسطوع ، ولكنه كثيراً ما يتأتى لفرد تزدريه الأعين أو فئة منسية أو جماعة مغمورة . ويكون الظفر به رهن الإحساس الواثق بأن في وسع أي إنسان أن يرشد إلى ما فيه الصلاح والسداد ما دام يشاطرنا الهم ، ويسلك معنا الطريق ذاته ، ويبتغي الهدف نفسه متقيداً بتوجهات الإسلام وضوابطه ...

وطبيعة الإسلام أن فهمه واستلهام روحه وتمثل مقاصده لا يمكن التحقق بها إلَّا من خلال السعي الموصول في مسالك الانتقاء الواعي ، والالتقاط المسؤول لما تسفر عنه جهود الأمة ، أفراداً وجماعات ، في كل زمان ومكان ، وهي تقيم حياتها على نحو ما أراده الله في كتابه الكريم ، وأرساه رسوله الأمين في سنته المطهرة ، قولاً وفعلاً وتقريراً ...

ومن هنا يبدو أن تنوع الأساليب وتعدد الوسائل وتباين طرق الأخذ والفهم ، هي في الواقع ظاهرة صحية تمكِّن للإسلام في واقع الحياة ، وتستغرق نشاط الناس ، على اختلافهم ، فيما يحفظ لهم إيمانهم ، ويضمن لهم سلامتهم ، ويزكي مسيرتهم ويرفدهم بعناصر القوة ويدفع بهم في مراقي الإحسان ...

تعزيز الدور الإيجابي للحوار

وبالتالي فإن استئناف الحياة الإسلامية المثلى ، يقتضي الانطلاق من أرضية التفاهم والتنسيق ، وهو أمر لا يتحقق إلَّا بتعزيز الدور الإيجابي للحوار ، الذي يمتد عبر مختلف الساحات ، ويتوفر على كل الاهتمامات ، من خلال تبادل الآراء ، واستقاء التجارب ، والاستفادة من الخبرات ، وهو ما ينبغي أن يتداعى إليه الأفراد والحركات الإسلامية وجميع الفعاليات التي تطوي جوانحها على هموم العمل الإسلامي ...

وهذا كفيل بأن يجنبنا مزالق التشتت والشقاق والتشرذم القاتل ، الذي كثيراً ما يأتي على ما نبنيه من القواعد ، ويجهض كل محاولة في سبيل الاعتصام بحبل الله المتين ..

ومجمل القول إن مسيرة العمل الإسلامي لا ينقصها عدد ولا عدّة ولا رُؤى ، بقدر ما هي خِلْوٌ من أوعية وقنوات الحوار ، التي تصل بين أطرافها وتجمع وحداتها ، وتزكي مجاهداتها ..

والتسليم بمبدأ الحوار ومباشرته ، يعني الاستعداد للتقوِّي بعطاء المسلم من جهة ، ودمج المساعي بإزاء الهدف الواحد من جهة أخرىٰ ..

وبعد ذلك .. من أراد ألَّا يسبقه إلى الله أحد فليفعل ... والله المستعان .

أهداف البنوك الإسلامية

■■ تأسست البنوك الإسلامية بغرض تطبيق الشريعة الإسلامية في مجال المعاملات الاقتصادية، وإتاحة الفرصة للمسلمين لمزاولة الأنشطة الاستثمارية، والاستفادة من الخدمات المصرفية بعيداً عن دائرة الربا المحرم في الإسلام؛ حيث إن تحريمه جاء صريحاً وواضحاً في القرآن الكريم؛ ولنقرأ قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيها الذين آمَنُوا لا تَأكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعفةً واتقُوا الله لعَلَّكُمْ تُفلحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٣٠) وقوله جل من قائل: ﴿ الذين يأكلونَ الرِّبا لا يَقُومونَ إلا كما يَقُومُ الذي يَتَخَبَّطُهُ الشيْطانُ مِنَ المسِّ ذلِكَ بأنَّهُم قالُوا إنَّما البَيْعُ مثلُ الرِّبا وأحَلَّ اللَّهُ البَيْعَ وحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ من ربِّه فانْتَهَى فَلَهُ ما سَلَفَ وَأمْرُهُ إلى اللهِ ومَنْ عادَ فأُولَئِكَ أصحابُ النَّارِ هُمْ فيها خالدونَ ﴾ (البقرة: ٢٧٥) وقوله جل من قائل: ﴿ يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إن كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ ﴾ (البقرة: ٣٧٨).

لذلك فإن البنوك الإسلامية أصبحت ضرورة في المجتمعات الإسلامية؛ لتقوم بخدمة المسلمين في المجال المصرفي والاستثماري بعيداً عن شبهة الربا، فالتحريم الذي ورد في الآيات الكريمة المبينة؛ لا يدع مجالاً للمسلم - الذي يسعى للالتزام بشرع الله - بأن يتعامل بالربا؛ وبالنظر إلى حاجته إلى الخدمات المصرفية والإسلامية فإنه لا بديل للبنك الإسلامي لتقديم هذه الخدمات ■■

اعداد:
قسم الدراسات
في بيت التمويل الكويتي

ونود أن نبين في هذه المقالة الأهداف الأساسية التي من أجلها قامت البنوك الإسلامية بالإضافة إلى ما ذُكر أعلاه، ونود أن نُقَيِّم مدى نجاح البنوك الإسلامية في تطبيق هذه الأهداف، ويمكن تحديد أهداف البنوك الإسلامية بما يلي:

١ - **تطبيق الشريعة الإسلامية في مجال المعاملات الاقتصادية.**

٢ - **المساهمة في التنمية الاقتصادية للمجتمعات الإسلامية.**

٣ - **المساهمة في التنفية الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية.**

٤ - **نشر التراث الإسلامي في مجال فقه المعاملات المالية الإسلامية.**

الهدف الأول: تطبيق الشريعة الإسلامية في مجال المعاملات الاقتصادية

إن هذا الهدف كما ذكرنا سابقاً هو أحد الأهداف الأساسية التي قامت من أجلها البنوك الإسلامية، ويمكن القول بأن تحقيق هذا الهدف يعتبر من أهم منجزات البنوك الإسلامية؛ فلقد استطاع البنك الإسلامي بفضل من الله، وبجهود من القائمين عليه؛ أن يقدم كثيراً من الخدمات المصرفية والاستثمارية بأسلوب شرعي معتمد من هيئة الرقابة الشرعية في البنك ونذكر من ذلك ما يلي:

١ - **فتح الحسابات الجارية.**

٢ - **فتح حسابات التوفير الاستثماري، وحسابات الودائع الاستثمارية والتي تشارك في الأرباح والخسائر وفقاً لعقد المضاربة الشرعي، وبالتالي أصبح هنالك مجال لمن كانوا يحجمون عن التعامل بالفائدة الربوية بأن يستثمروا أموالهم بالطريق الحلال.**

٣ - **فتح الاعتمادات المستندية بالأسلوب الشرعي، سواءً الاعتمادات العادية حيث يكون دور البنك تقديم الخدمة فقط مقابل عمولة محددة، أو عن طريق المرابحة حيث يقوم البنك بشراء البضاعة وحيازتها ثم بيعها على التاجر المستورد، أو باتباع أسلوب المشاركة حيث يشارك التاجر البنك الإسلامي في استيراد بضائع معينة ويتم الاتفاق على نسب توزيع الأرباح والخسائر.**

٤ - **شراء وبيع البضائع مرابحة وبطريقة تمكن المتعاملين من الأفراد والتجار من شراء البضائع وسداد قيمتها على دفعات وفقاً للأسس الشرعية.**

٥ - بيع العقار للأفراد بالأجل، وبيع المواد الإنشائية مرابحةً ؛ بما يمكّن المتعاملين من الحصول على هذه المواد، وسداد ثمنها بعد فترة زمنية محددة وبأسلوب شرعي.

٦ - إصدار خطابات الضمان للأفراد والمؤسسات.

٧ - الاستثمار في التجارة بين الدول الإسلامية.

٨ - الدخول في مشاريع استثمارية مشتركة وفقاً لأسلوب المشاركة مع أفراد أو مؤسسات بحيث يتم الاتفاق على اقتسام الأرباح والخسائر وفقاً لنسب معينة، وقد طرقت البنوك الإسلامية هذا المجال وتسعى إلى التوسع فيه.

مما تقدم يتضح أن البنوك الإسلامية قد دخلت في مجالات استثمارية متعددة، واستطاعت أن تعمل في تلك المجالات بأسلوب شرعي. وإذا عرفنا أن البنوك الإسلامية لم يمض على إنشاء أقدمها عشر سنوات، فإن هذه الإنجازات تبشر بالخير خاصة وأن هذه الفترة تعتبر قصيرة في عمر المؤسسات الاقتصادية، ونأمل بإذن الله تعالى أن تكون البنوك الإسلامية قادرة على التوسع بشكل أكبر في المستقبل.

الهدف الثاني : المساهمة في التنمية الاقتصادية للمجتمعات الإسلامية :

إن دور البنك الإسلامي في المساهمة في دفع عجلة التنمية الاقتصادية في مجتمعاتها ؛ يعد بلاشك أمراً أساسياً، خاصة وأن البنوك الإسلامية تعتبر نفسها جزءاً من هذه المجتمعات، وترى أن عليها واجباً في المساهمة في تنميتها، ودفع عجلة التقدم فيها، ويمكن أن نبين المجالات التي يمكن أن تساهم البنوك الإسلامية فيها، ونقيِّم نشاطها في هذا المجال :

١ - الاستثمار في المشاريع الإنتاجية التي تتوفر لها المقومات الأساسية في البلدان التي تقام فيها تلك المشاريع، ففي المجتمعات التي تعتمد بصفة أساسية على النشاط التجاري ؛ يكون دور البنك الإسلامي هو المساهمة في تنمية هذا النشاط، وتشجيع الأشخاص ذوي الخبرة والمقدرة على الدخول فيه.

ومن استعراضنا لأعمال البنوك الإسلامية رأينا أن البنوك الإسلامية قد ساهمت في الاستثمار التجاري، وطبقت الأساليب الشرعية للعمل في هذا المجال.

أما في المجتمعات التي حباها الله تعالى بمقومات الإنتاج الزراعي فإن البنوك الإسلامية مطلوب منها الاستثمار في هذا المجال لتحقيق ما يلي :

(١) الاستفادة من الأراضي الصالحة للزراعة في إنتاج الغذاء اللازم للمواطنين، وتنمية القطاع الزراعي، وزيادة مساهمته في الدخل القومي.

(٢) استيراد البذور والآلات الزراعية وبيعها على المزارعين وفقاً لترتيبات معينة.

(٣) إنشاء فروع في المناطق الزراعية لتقديم خدمات مصرفية للمزارعين.

(٤) المساهمة في بناء وحدات سكنية للمزارعين، وبيعها عليهم بالأجل، واستلام الثمن بالتقسيط.

(٥) العمل على تنمية الوعي الزراعي.

وقد بدأت البنوك الإسلامية في الدول التي تتوافر لها مقومات الزراعة بالعمل في هذا المجال، فبنك فيصل الإسلامي في السودان لديه بعض المساهمة في النشاط الزراعي، حيث يشمل تمويل البنك لقطاع الزراعة تمويل الآلات والمعدات الزراعية، كما دخل البنك في مشاركات زراعية عدة، وقد بلغت جملة التمويل لهذا القطاع (٥) ملايين جنيه في عام ١٩٨٤م مقارنة مع ٦٨٠ر٠٠٠ جنيه في عام ١٩٨٣م[١].

وبيت التمويل الكويتي ساهم في تنمية الثروة الحيوانية عن طريق استيراد الأبقار وبيعها لأصحاب مزارع إنتاج الحليب. كما قام بنك فيصل الإسلامي المصري بتأسيس عدد من الشركات في مجال الزراعة والأمن الغذائي[٢]. ولا يزال هنالك مجال للتوسع في هذا المضمار.

وبالنسبة للدول التي تتوافر لديها متطلبات الإنتاج الصناعي ؛ فإن البنوك الإسلامية يمكن أن تساهم في هذا المجال بما يلي :

١ - الاستثمار المباشر في مشاريع صناعية، أو الدخول في مشاركات لإقامة هذه المشاريع.

٢ - استيراد الآلات والمعدات وبيعها، أو تأجيرها لأصحاب المشروعات الصناعية مرابحة.

٣ - الاستثمار في وسائل المواصلات لنقل المواد الخام والمنتجات الصناعية.

وقد ساهمت بعض البنوك الإسلامية في هذا المجال، فلقد أسهم بنك فيصل الإسلامي السوداني في تمويل قطاع الصناعة بحوالي ٩ر٢ مليون جنيه خلال عام ١٩٨٤م[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن البنوك الإسلامية لا تستطيع أن تقوم بمفردها بالاستثمار في المجالات التجارية والزراعية والصناعية إذا لم تتوفر المقومات الأساسية لهذه الأنشطة، والتسهيلات اللازمة من السلطات المختصة، وتوفير البيانات والمعلومات والخدمات الأساسية اللازمة للعمل في تلك المجالات.

الهدف الثالث : المساهمة في توفير الخدمات الاجتماعية

إن النظرة الشاملة للمجتمع التي يتبناها الإسلام تحتم على البنك الإسلامي

أهداف البنوك الإسلامية

الا ينصرف إلى الأنشطة الاقتصادية فقط ؛ دون محاولة المساهمة في تقديم بعض الخدمات للمجتمع للتخفيف من معاناة أفراده وحل بعض مشاكلهم ، ويمكن أن تشارك البنوك الإسلامية بما يلي :

١ - المساهمة في جمع الزكاة والصدقات وتوزيعها على المؤسسات الخيرية والأفراد المستحقين .

٢ - تقديم القروض الحسنة (بدون فوائد) للأفراد المحتاجين .

٣ - تشجيع الأفراد على مزاولة أنشطة منتجة في المجتمع والاهتمام بقطاع الحرفيين .

لقد نشطت البنوك الإسلامية في القيام بهذا الدور فأنشأت صناديق الزكاة ، وتعاونت مع المؤسسات الخيرية لتقديم العون للفقراء والمحتاجين ؛ ونورد فيما يلي بعض الأمثلة على نشاط البنوك الإسلامية في هذا المجال :

قام صندوق الزكاة في بيت التمويل الكويتي منذ إنشائه عام ١٩٧٨م بتوزيع حوالي مليون ونصف مليون دينار كويتي للأفراد المحتاجين للإعانة ، وللمؤسسات الإسلامية الخيرية ، كما قام بنك فيصل الإسلامي المصري بتوزيع مساعدات من صندوق الزكاة لديه بلغت حوالي مليون جنيه مصري خلال عام ١٩٨٤م(٤) .

اما بنك فيصل الإسلامي السوداني فقد بلغت مساهمته حتى نهاية عام ١٩٨٤م حوالي (٤) ملايين جنيه سوداني عبارة عن زكاة مدفوعة ، وحوالي (٦) ملايين جنيه عبارة عن مساعدات وصدقات .

وفي مجال القرض الحسن للأفراد قامت البنوك الاسلامية بدور ملحوظ في هذا المجال ؛ فمن أمثلة ذلك : ما قدمه بيت التمويل الكويتي من قروض حسنة ؛ بلغت اكثر من مليوني دينار كويتي(٥) منذ تاسيسه وحتى ٣١ ديسمبر [كانون الأول] ١٩٨٤م .

■ البنوك الإسلامية دخلت في مجالات استثمارية متعددة واستطاعت أن تعمل في تلك المجالات وأن تقدم كثيراً من الخدمات المصرفية بأسلوب شرعي معتمد من هيئة الرقابة الشرعية .. ■

وبالنسبة لدعم صغار المستثمرين والحرفيين ؛ فمن أمثلة نشاط البنوك الإسلامية في هذا المجال : ما استثمره بنك فيصل الإسلامي السوداني فيه ؛ حيث بلغ ١٣٫٥ مليون جنيه سوداني حتى نهاية عام ١٩٨٤م ، وهو عبارة عن توفير معدّات وآليات تم تمليكها لصغار المستثمرين ، وأصحاب الحرف بأقساط وضمانات مريحة كما أنشأ البنك فرعاً للحرفيين .

الهدف الرابع : نشر التراث الإسلامي في مجال فقه المعاملات المالية

تحتم على البنوك الإسلامية لكي تزاول أعمالها وفقاً للشريعة الإسلامية ، أن ترجع إلى التراث الفقهي الإسلامي في مجالي المال والاقتصاد ؛ لكي تستخلص الفتاوي والأحكام الشرعية وتطبقها على أعمالها اليومية ، وأن تعقد المؤتمرات والاجتماعات لكي تتوصل إلى إجماع حول تلك الفتاوي والأحكام ، حيث قامت البنوك الإسلامية بما يلي :

١ - نشر الفتاوي الفقهية في مجال المعاملات المالية وتوعية المسلمين في هذا المجال .

٢ - عقد المؤتمرات والندوات لبحث الأمور الشرعية ، وأساليب العمل ؛ وقد عقد المؤتمر الأول للمصارف الإسلامية في دبي في عام ١٩٨٠م ، والمؤتمر الثاني في الكويت في عام ١٩٨٣م .

٣ - شجع قيام البنوك الإسلامية البحث العلمي في مجال فقه المعاملات ؛ حيث اعدت عدة رسائل ماجستير ودكتوراه في هذا المجال .

٤ - أدى قيام البنوك الإسلامية إلى اهتمام العالم الغربي بهذه المؤسسات ، ومحاولة التعرف على الأسس والقواعد التي تقوم عليها البنوك الإسلامية .

الخلاصة

إن قيام البنوك الإسلامية يعتبر من السمات البارزة لهذا العصر في بلاد المسلمين ، ونجاحها بلا شك سوف يكون فخراً للعرب والمسلمين في إنشاء وإدارة مؤسسات مالية حديثة وفقاً للعقيدة التي يؤمنون بها ، وليس حسب المفهوم الغربي المستورد .

إن مسيرة البنوك الإسلامية لا تزال في بدايتها ، وبحاجة إلى الكثير من الجهد والدعم والتعاون حتى تصل إلى أهدافها المنشودة .

---

(١) التقرير السنوي السادس لبنك فيصل الإسلامي السوداني ١٩٨٤م .
(٢) التقرير السنوي السادس لبنك فيصل الإسلامي المصري عام ١٩٨٤م .
(٣) التقرير السنوي السادس لبنك فيصل الإسلامي السوداني لعام ١٩٨٤م .
(٤) التقرير السنوي السادس لبنك فيصل الإسلامي المصري لعام ١٩٨٤م .
(٥) التقرير السنوي لبيت التمويل الكويتي عام ١٩٨٤م .

..وطريق الهُداة شوكٌ ونار

• إلى الأخت إملي براملت سابقاً ، « أم محمد » حاضراً ، صاحبة كتاب : (آمنت بربكم فاسمعون) » .

بَزَغَ الفجْرُ وَاسْتبانَ النَّهارُ   وَانجلىٰ عَنْ خُيولِهِ المِضْمارُ
تَسْمَعُ الرَّاسِياتُ زَمْجَرَةَ البَحْـ.....ـرِ .. لماذا لا يَسْمَعُ الفُجَّارُ ؟!
كلُّ شيءٍ في الكَوْنِ يَسْجُدُ لِلَّـ.....ـهِ وتَأبىٰ .. يَصدُّكَ اسْتِكْبارُ !
شجرُ الغابِ والكَواكِبُ والشَّمْـ.....ـسُ وَمَوْجُ البحارِ والإعْصارُ
وَالرُّعودُ التي تُقَهْقِهُ في السُّحْـ.....ـبِ وَبَرْقُ الشِّتاءِ والأمْطارُ
واضِحٌ واضحٌ طريقُ أمانيـ.....ـنا جَليٌّ .. وَأيْنَ مِنْهُ العِثارُ ؟

تَقْرأُ الذِّكْرَ خاشِعاً فَيَفيضُ الـ.....ـكَوْنُ سِحْراً وَتُرْهِفُ الأقْدارُ
وَيَمَسُّ الشِّغافَ سِحْرُ المَثاني   فَإذا الكَوْنُ كُلُّهُ أَوْتارُ
أيُّ عَيْنٍ لَمْ تَنْبَجِسْ حينَ يُتْلىٰ ؟!   أيُّ أرْضٍ لَم يَنْتَهِبْها اخْضِرارُ ؟!
كَلِمُ اللّـهِ .. فالسَّمٰواتُ رَجْعٌ   والشَّياطينُ رَجْفَةٌ وانْدِحارُ
كَلِمُ اللّـهِ .. فالجِبالُ خُشوعٌ   والصَّحارىٰ تطلُّعٌ وانبهارُ
فلماذا تَقْسو القُلوبُ .. فلا وَعْـ.....ـدٌ يُزيحُ العَمىٰ ولا إنْذارُ ؟!
صُفِّحتْ بالضَّلالِ .. وَالكِبْرُ يَحْدو   ها وَأنْكىٰ مِنَ الضَّلالِ الصَّغارُ
وَأضاعَتْ كُلَّ المَفاتيحِ حتَّىٰ   سَقَطَ الفِكْرُ واسْتَقالَ الحِوارُ

أنْتِ يا أُخْتُ قَد جَلَوْتِ عَنِ النَّفْـ.....ـسِ عَماها فَشَعَّتِ الأنْوارُ
كَمْ تَحَمَّلْتِ في الطَّريقِ عَذاباً   وَطَريقُ الهُداةِ شَوكٌ وَنارُ
تُرْجَمُ الشَّمْسُ بالحِجارَةِ والشَّوْ.....ـكِ وَتَبْقىٰ تَشِعُّ لا تَخْتارُ
وَيَمُرُّ الزَّمانُ يَضْحَكُ مِمَّنْ   رَجَمُوها .. وَتَضْحَكُ الأحْجارُ
رِحْلَةُ الشَّكِّ لَمْ تَطُلْ وَتَخَطَّيْـ.....ـتِ دُجاها .. وَلِلدُّجىٰ أعْمارُ
وَأخيراً أطَلَّتِ الشَّمْسُ يا أُخْـ.....ـتُ وَفاحَتْ في رَوْضِكِ الأزْهارُ
واتَّخَذْتِ الإسْلامَ ديناً وَنَهْجاً   وَجَرىٰ باسْمِ رَبِّهِ التَّيَّارُ
واخْتَفَتْ مِحْنَةُ الضَّميرِ فَلا شَـ.....ـكٌّ وَلا لَوْثَةٌ وَلا أعْذارُ
واسْتَوىٰ الفِكْرُ مُطْمَئِناً علىٰ السُّو   قِ وَطابَتْ بَعْدَ الصَّقيعِ الثِّمارُ
وَتَحَدَّيْتِ غُرْبَةَ الحَرْفِ يا أُخْـ.....ـتُ فَكانَ الإيمانُ والإصْرارُ
وَتَلَوْتِ القُرْآنَ حَتَّىٰ رَأيْتِ الـ.....ـحَرْفَ يَشْدو وَتَسْطَعُ الأفْكارُ
إنَّها نِعْمَةُ العَقيدَةِ .. أيْنَ الـ.....ـدُّرُّ مِنْها ؟ وَأيْنَ مِنْها النُّضارُ ؟

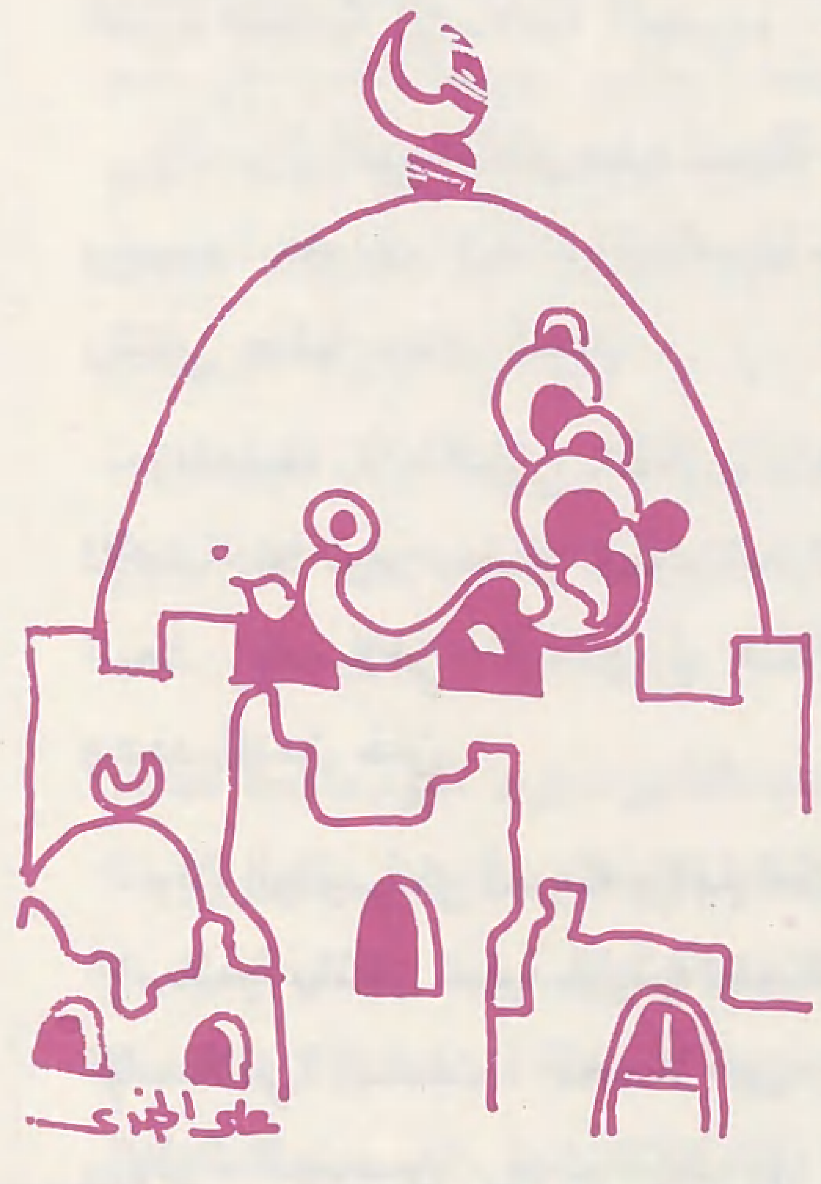

شعر : محمود مفلح

من رواد البعث الإسلامي الحديث :

وحيد الدين خان

■■ يغلب على كثير من الكتابات التي نهضت لإبراز معالم المذهبية الإسلامية في هذا العصر طابع السرد والوصف ، والاقتصار على عرض المشكلات والمعوقات التي تقف في وجه الإسلام دون خوض تجربة البناء ، ومغالبة شروطها التي فرضتها مرحلة النمو العلمي والتقني ، التي وصلت إليها المسيرة الإنسانية في جميع مجالات الفكر والثقافة والاقتصاد وسائر الخبرات ■■

إن طوفان التحول الفكري والحضاري المستمر الذي عم العالم بأسره ؛ يقتضي منا كمسلمين إيجاد برنامج عاجل ودقيق يحل بعض المشكلات المتجددة التي تعترض سبيلنا نتيجة التغيرات المتعاقبة ، ويفتح ساحة حقيقية للعمل والدعوة .

ومع الأسف فإن المتتبع لسير الكتابات الإسلامية على وفرتها يلحظ بوضوح غياب ملامح واضحة لمثل هذا البرنامج .

والمطلوب اليوم أن تنزع تلك الكتابات إلى غايات وأهداف متفق عليها تصب في مصب واحد ، وأن تتوحد جهود الكتّاب لنصرة تلك الأهداف ، وهذا المسلك الالتزامي تقتضيه ظروف تخطيط المرحلة الراهنة ؛ حتى تتحقق بعض الخطوط المهمة في بناء وإعداد مسيرة الثورة الثقافية الإسلامية المنشودة .

والسؤال المهم المتعلق بهذه المسألة هو تعريف وتحديد أبعاد تلك الأهداف ومناهجها حتى تتبلور وتلتقي حولها جهود الكتاب .

والحقيقة أن الطرح الفكري والموضوعي للإجابة قد توفر بفضل جهود أحد كبار روّاد البعث الإسلامي المستنير في هذا العصر : **وحيد الدين خان .**

وإن الوقوف على تجربته وتفهم أفكاره وحلوله الإسلامية يمثلان تجلية حقيقية لخصائص الفكر الإسلامي الحديث ؛ فضلاً عن التمحيص والإثراء الجديدين ، إذ لم تكتب إلى الآن ـ مع الأسف ـ دراسة واحدة متكاملة عن هذا المفكر ومعالم فلسفته الإسلامية .

أنموذج رائد للدعوة

ولد « **وحيد الدين خان** » في مدينة ـ **أعظم كره** ـ بالهند في أول يناير (كانون الثاني) **عام ١٩٢٥م** وتلقى تعليمه الأولي في معهد ـ جامعة الإصلاح ـ العربية الإسلامية حيث حفظ القرآن الكريم ، ونال قدراً مهماً من الثقافة الإسلامية ، ثم توجه إلى تعلم اللغة الإنجليزية حتى أتقنها ، وصارت عنده نافذة هائلة يرصد من خلالها توجهات العلوم ، وسير ثقافات العصر ، وهو بهذا أحد المفكرين المسلمين القلائل الذين جمعوا بين ثقافة العصر في أعمق ظواهرها ، وأعقد تشعباتها وبين ثقافة الإسلام الخالدة في أدق خصائصها وأشمل معطياتها ، وهي مزية قلما وجدناها في مثقفي هذا العصر فهم أبعد دوماً عن الجمع والتركيب ، وأقرب إلى الآحادية ، أو البعد الواحد ، وأحرص كذلك على الألقاب والشهادات الجامعية ، ولكن « **وحيد الدين خان** » كرفيقه ـ **المودودي** ـ رحمه الله .. إرادة العلم عنه قرينة العبادة ، فلم يحفل بتحصيل الألقاب ، بل ظل سنوات عديدة يكتب ويحاضر ويشارك في الندوات العلمية لإبلاغ الناس رسالة الإسلام على أحسن وجه . **وفي سنة ١٩٦٧م تولى رئاسة تحرير مجلة « الجمعية الأسبوعية » التي تصدر بالانجليزية في دلهي ، والتي أصبحت بفضل حكمته ووعيه العميق أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في بلاد الهند .**

نداء عالمي لخدمة الإسلام

وفي ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٧٠م دعا « **وحيد الدين خان** » من على صفحات مجلته « الجمعية الأسبوعية » إلى تأسيس مركز إسلامي عالمي يقوم بمهمة نشر رسالة الإسلام على نطاق عالمي شامل ، وقد تُرجم هذا النداء إلى العربية عن دار الاعتصام سنة ١٩٧١م تحت عنوان : **برنامج جديد يطرحه المفكر الهندي « وحيد الدين خان »**[1] وقد جاءت فكرة هذا البرنامج نتيجة استقراء طويل ودراسة دقيقة لواقع الأمة الإسلامية ؛ فهو من ناحية محاولة لتجسيد مطامح المسلمين في أرض الواقع وتكملة لجهود الدعوة الفردية الصادقة المقتصرة على ميادين الكتابة والإرشاد .

ولهذا ارتضى الأستاذ الكبير أن يضطلع بهذه المهمة بنفسه بعد أن أيقن أن المدعوين لم ينهضوا لتحقيق مشروعه ؛ فبدأ بتأسيس المركز الإسلامي للبحوث والدعوة الذي شرع في العمل الفوري منذ بداية شهر سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٧٦م .

يقول « وحيد الدين خان » محدداً ضرورة هذا المركز وطبيعة نشاطه :

[في حالتنا الراهنة نرى أنه ينبغي بدء إحياء الإسلام في أحسن صوره العلمية ؛ بأن نقيم مركزاً إسلامياً على نطاق عظيم ، ويكون

■ وحيد الدين خان أحد المفكرين المسلمين القلائل الذين جمعوا بين ثقافة العصر في أعمق ظواهرها وأعقد تشعباتها ، وبين ثقافة الإسلام الخالدة في أدق خصائصها وأشمل معطياتها ؛ وهي مزية قلما وجدت في مثقفي هذا العصر ■

■ كم من مجلة إسلامية ـ رغم آلاف الصفحات المكتوبة ـ لم يكن لها أي صدىً أو تأثير في حقول الشباب المتعطش إلى فكر إسلامي فعّال . فحينما تتحول الكتابة إلى دفاع وتمجيد وتغطية للمناسبات ، تكون ابتعدت عن القضايا الصحيحة والمشكلات الحقيقية ■

مجهزاً بجميع الوسائل العصرية لنشر الأفكار ؛ حتى يصبح هذا المركز مصدر الطاقة المفجرة للحركة الإسلامية العالمية ، بحيث يكون إسلامياً وعالمياً وعصرياً في الوقت نفسه[٢]] .

أما أهم أعمال المركز فيمكن إيجازها كما حدد الأستاذ « وحيد الدين » في الأمور التالية :

١ ـ إصدار مجلات عربية وأردية وانجليزية تُعنى أساساً بنشر الوعي وتعريف الأجيال بخصائص الإسلام الخالدة وفق متطلبات العصر .

٢ ـ نشر الكتب الإسلامية الأساسية إلى اللغات الأجنبية .

٣ ـ إعداد جيل إسلامي مثقف ، وعلى علم باللغات والأديان ، وتدريبه على البحث حتى يمكنه نشر الدعوة الإسلامية في مختلف البيئات .

٤ ـ إنشاء بيئة إسلامية داخل المركز تكون فرصة لغير المسلمين كي يشاهدوا الحياة الإسلامية في صورتها الحية الطبيعية .

٥ ـ توعية المسلمين وإيقاظهم من سباتهم العميق ؛ تمهيداً لانطلاقهم في ميداني التعليم والاقتصاد ؛ اللذين يعتبران بحق مفتاح العصر الحديث .

٦ ـ إنشاء مكتبة وقاعة درس ومحاضرات داخل المركز للتسهيل على طالبي البحث وإمدادهم بالمعلومات الضرورية عن الشؤون الإسلامية المختلفة .

هذا وقد أصدر المركز في بداية شهر أكتوبر من سنة ١٩٧٦م العدد الأول من مجلة « الرسالة » كثمرة أولى في مسيرة المركز وانطلاقته المباركة مع تركيز خاص على تطبيق الأهداف المرسومة ومعالجة جملة القضايا والتحديات التي تواجه الإسلام والمسلمين في الوقت الراهن .

معالم في الطريق

أصدر « وحيد الدين خان » إضافة إلى البحوث والدراسات المتفرقة في مختلف الصحف والمجلات مجموعة رائدة من المؤلفات الإسلامية أغلبها باللغة الأردية ، وقد تولى « ظفر الإسلام خان » ـ نجل المؤلف ـ ترجمة معظم تلك الكتب إلى اللغة العربية ، وهذه قائمة بأهم تلك المؤلفات :

١ ـ الإسلام يتحدى : صدر عن دار البحوث العلمية بالكويت سنة ١٩٧٠م وعن دار المختار الإسلامي بالقاهرة سنة ١٩٧٣م وقد أجمع النقاد والخبراء على أنه أهم محاولة لصياغة معالم الإسلام على ضوء معارف العصر ظهرت في هذا القرن منذ كتاب : تجديد التفكير الديني في الإسلام للدكتور « محمد إقبال » .

٢ ـ الدين في مواجهة العلم : صدر في بيروت سنة ١٩٧٢م .

٣ ـ حكمة الدين : صدر بالقاهرة عن دار المختار الإسلامي سنة ١٩٧٣م .

٤ ـ الإسلام والعصر الحديث : صدر بالقاهرة عن دار المختار الإسلامي أيضاً سنة ١٩٧٦م[٣] .

٥ ـ الإسلام (دراسات في القرآن) صدر بالقاهرة عن دار المختار الإسلامي أيضاً[٤] .

٦ ـ المسلمون بين الماضي والحاضر والمستقبل : صدر عن دار المختار الإسلامي سنة ١٩٧٨م .

منهج البيان العلمي

إن أهم علامة تميز بها فكر « وحيد الدين » أنه فكر يخطط لما يكتب ، ويملك القدرة على رسم المنهج لما يفكر ، ولا يخفى على أحد اليوم ما للمنهج من سلطان في مجالات البحث والإبداع ، فما أن تخلصت أوروبا من تأثير المنهج الأرسطي القائم على القياس ، واعتمدت المبدأ التجريبي الجديد ، حتى تغيرت معه القضايا والرؤى والثقافة والمجتمع .

إن « وحيد الدين » يريد اليوم منهجاً أصيلاً للبحث في قضايا الإسلام ، فإما أن تكون كتابتنا عن الإسلام والتعريف به بشكل صحيح ومضبوط وطريقة منهجية محكمة وإلا فالأفضل ألا تكون ، فالتفكير المنهجي الصحيح كما يقول

وحيد الدين خان

الدكتور « علي شريعتي » مثل السير في الطريق تماماً ، فالرجل الأعرج الذي يمشي ببطء إذا سار على طريق مبلّط ومستقيم يكون أسرع من ذلك العداء البطل الذي يختار طريقاً وعراً ومنحرفاً مليئاً بالصخور .. ويصل إلى الهدف أسرع من الثاني ، وهذا البطل العداء مهما ركض سريعاً فلا يصل إلى الهدف بينما يصل إليه ذلك الرجل الأعرج الذي اختار طريقاً مستقيماً ومبلطاً(٥) .

فالمسألة في آخر الأمر مسألة دراية دقيقة بالإسلام ، ومنهج جيد للتبليغ والإيصال ، وبدون ذلك لا ينفع مجرد الاستبحار في علوم الدين .

ولنقلها بصراحة ربَّ حامل لتراث الإسلام وعلومه لم ينتفع بشيء ، بل قاد إلى تبليغ منحرف ، فكم من مجلة إسلامية رغم آلاف الصفحات المكتوبة لم يكن لها أي صدى في النفوس أو تأثير في عقول الشباب المتعطش إلى فكر إسلامي فعَّال ، فحينما تتحول الكتابة إلى دفاع وتمجيد وتغطية للمناسبات الدينية تكون ابتعدت عن القضايا الصحيحة والمشكلات الحقيقية .

يقول « وحيد الدين خان » :

« إن إحدى مظاهر الثورة الفكرية تتعلق بأسلوب البيان . إن أسلوب الدعوة القرآني يقوم على لغة الطبيعة البسيطة كقوله تعالى : ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ والإنسان المثقف قديماً لم يكن يالف اللغة البسيطة فكان يتأثر بلغة السحر والطلاسم ، أو بالفلسفة والمنطق السفسطي ؛ ولذلك لجأ الصوفية إلى اليوجا والإشراق بينما لجأ المتكلمون إلى الفلسفة اليونانية ، وقام القصاص بتاليف عدد لا يحصى من القصص الغريبة فأوجدوا قصصاً وأساطير « إسلامية » على نمط ألف ليلة وليلة .

ولكن الوضع قد تغير اليوم ؛ فالآن بعد الثورة العلمية أصبح الأسلوب المقبول هو الذي استخدمه القرآن قبل أربعة عشر قرناً . إنه نصر لنا من الله عظيم . وليس لنا الآن ان نضيع وقتنا في البهلوانيات الروحانية ، ولا أن نبرع في القصة والتفلسف . فيمكننا اليوم ان نضع تعاليم القرآن امام الناس بالأسلوب الفطري نفسه الذي نزلت به . فلو قمنا بنشر ترجمة القرآن الكريم وكتب عن سيرة الرسول ، وحياة الصحابة باللغة البسيطة والأسلوب الواقعي بمختلف اللغات العالمية لأقمنا الحجة على شعوب الأرض . »(٦)

أهداف أساسية للدعوة

تتوجه رسالة « وحيد الدين خان » عامة إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسة هي :

● **أولاً** : مواجهة الأفكار والتحديات التي يواجهها الإسلام والمسلمون بالأساليب نفسها التي يستخدمها أصحاب تلك التحديات ، ويعتبر كتاب « الإسلام يتحدى » ثمرة هذه الفكرة فقد تصدى فيه لأشهر الفلسفات المادية بالنقد والتمحيص معتمداً على طريقة الاستدلال الحديثة ؛ ليصل إلى أن العلم المعاصر على خطى الدين .

● **ثانياً** : مقاومة الأفكار الدخيلة على الإسلام والتي استحكمت في قلوب المسلمين وعقولهم في فترات الغفلة والانحطاط .

ويعتبر كتابه « حكمة الدين » مدخلاً مهماً في سبيل تقديم تصور صحيح للدين من الناحية الأصولية ، أما كتابه « الإسلام والعصر الحديث » فيعد تكملة حقيقية لتفنيد مزاعم الليبراليين والمتغربين .

■ **دعا وحيد الدين خان رحمه الله إلى :**

إقامة مركز إسلامي عالمي يكون مجهزاً بجميع الوسائل العصرية ؛ لنشر الأفكار حتى يصبح مصدر الطاقة المفجرة للحركة الإسلامية العالمية ؛ بحيث يكون إسلامياً وعالمياً وعصرياً في الوقت نفسه ■

● **ثالثاً** : صياغة الفكر الإسلامي صياغة جديدة بحيث تُبلور مفاهيمه وفق أساليب عصرية غير التي كانت متبعة في علم الكلام والجدل الديني . يقول « وحيد الدين خان » :

[كلما أردنا مواجهة الأسئلة التي تثار ضد الدين كان لا بد من تغيير لهجتنا ولغتنا بتلك التي يستعملها الأعداء حتى نستطيع أن نقف امام العواصف .. وعلينا ألَّا ننسى أن طريقة الكلام وأسلوبه قد تغيرا بتغير الزمن ولذلك علينا أن نأتي بعلم كلام جديد لمواجهة تحدي العصر الحديث] .

الهوامش

(١) ط ١ . القاهرة ١٩٧١م . ونشر ضمن كتاب الإسلام والعصر الحديث تحت عنوان : نحو بعث إسلامي .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٤ .

(٣) نشرت دار النفائس كتاباً بالعنوان نفسه ولكن المحتوى يختلف وهذا التلاعب بالعناوين خطأ جسيم .

(٤) هناك كتابات أخرى للمؤلف لم نذكرها لأنها لم تترجم بعد إلى العربية ، او هي أبحاث متفرقة نشرت في مجلة المركز « الرسالة » وترجمت في شكل كتيبات ورسائل صغرى مثل : « مسؤوليات الدعوة » « نحو تدوين جديد للعلوم الإسلامية » « إمكانات جديدة للدعوة » « الشريعة الإسلامية وتحديات العصر » أو كتب أخرى نشرتها دار المختار الإسلامي بالقاهرة مثل : « الماركسية التي رفضها التاريخ » « الليبرالية في العالم الإسلامي » ، وتبقى المؤلفات الكبرى لـ « وحيد الدين خان » لم تترجم بعد إلى العربية مثل : « تفسير القرآن الكريم » وقد فسر حتى الآن من سورة (الفاتحة) إلى سورة (هود) أو دراسات في السيرة النبوية تحت عنوان « ظهور الإسلام » أو « مدخل إلى تجديد الدين » ونأمل من نجل المؤلف أن يقوم بهذه المهمة العظيمة فيودي للثقافة الإسلامية خدمة لا تقدر بثمن والله المستعان .

(٥) الدكتور علي شريعتي : منهج التعرف على الإسلام . مكتبة الجديد . تونس . ١٩٨٤م . ترجمة عادل كاظم .

(٦) إمكانات جديدة للدعوة . المختار الإسلامي . ط ١ (١٩٧٨م) ص ٣١ .

حول

الإعلام والإعلاميّ الإسلاميَّيْن

□□ في سنوات الغفلة عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والتي جاءت نتيجة حتمية للنشاط التربوي الاستعماري ، الذي استمر ردحاً من الزمن يحطم البنية التربوية الإسلامية ، لِيُحِلَّ محلها مناهجه وأفكاره المرتكزة على فلسفته الوثنية الإلحادية ، ومارس التحطيم والتغريب المنظم والمبرمج على خلفيتنا الثقافية الإسلامية حتى أوهنها ، وعطّل قدراتها النشطة ، وحال بيننا وبين التفكير السوي في حل مشكلاتنا على ضوء العقيدة ، وإيجاد الحلول لها ـ والتي ستختلف عن الأسلوب الذي يفكر به في حل معضلاته حتماً ـ وتحقق له المسخ الذي كان ينشـده .

وبرحيل المستعمر عن عالمنا الإسلامي ، بقي من خلال مناهجه وأفكاره التي أورثها لنا ، وبترويج دعاة التغريب والإلحاد لدعاوى التقدم والحضارة وغيرها ، انسلخنا عن قيمنا وتردّيْنا في مهاوي السقوط الحضاري ، وارتضينا الدونية والاستسلام للمستعمر .

وبمجيء الصحـوة الإسلامية ، بدأنا بالعودة للإسلام وتمكينه في كل مناحي حياتنا ، وبدأنا في تقويم ما لدينا وتعديله لإنهاء التصادم بين هذه المناشط .. ونظرة الإسلام إليها ، بل تعدىٰ هذا إلى المحاولة الجادة لاستنباط أساليب حديثة وعصرية يحكمها الإطار الإسلامي بكل سماحته .

وفي مجال الاتصال والإعلام عموماً ظللنا ولفترة طويلة ، نتلقى نظرياته وكل جديد يطرأ في المجال التنظيري والتقني من الغرب أو الشرق ، وتنشأ المحاذير هنا في خطورة الجانب التنظيري ، والذي شُيد على فلسفة ذلك المجتمع الذي ارتضاها . وهي تتعارض بداهة في نظرتها للإنسان والكون والحياة مع نظرة الإسلام لهذه القضايا ، وبدهي أن تتنافر دعوة يحكمها كتاب الله وسنة رسوله مع منهج يتحكم فيه الهوىٰ ومهالكه . ومن حسن الحظ أن اتجهت كفاءات إعلامية معاصرة إلى إيجاد إطار عام للإعلام الإسلامي ، يمكن أن يسهم من خلاله ويضيف إليه كل مهتم بهذا الجانب الحيوي .

ويكتسب هذا الجهد مصداقيته وفعاليته من خلال قيادة نخبة من الأكاديميين على درجة عالية من التخصص في هذا العلم . فبرز إلى حيز الوجود العديد من النظريات ذات المنطلق الإسلامي الناضج ، تطمح في التعبير عن نفسها ، وتطرح منهجها بديلاً للنظريات الغربية التقليدية والتي افتقدت قدرتها على العطاء ؛ بعد أن وقعت في دائرة الاحتكار والمصلحة الضيقة ؛ في عالم أصبح يتطلع إلى التلاقح الناجع بين الثقافات المتعددة ، والتعاون السلمي المنصف لاحتواء مشكلاته المتفاقمة .

ومن المسلّم به أن كل نشاط وُجد على الطبيعة الحيادية بمعنى أن الإنسان يمكن أن يوظف طاقاته وإمكاناته نحو الخير ومجالاته ، وفي الوقت نفسه يُمكنه توظيف الطاقات والقدرات ذاتها نحو الشر ودروبه .

ومن هنـا يكتسب العنصر البشري في عملية الاتصال أهمية قصوىٰ ، تفوق بقية العناصر الأخرىٰ في أهميته ، والحريص على تزويده بالخبر الصادق والتحليل الإخباري الموضوعي ، والاستنباط الجريء للموقف السليم في مختلف القضايا ، وهو القادر بوعيه على تقديم التقرير الإخباري متكاملاً ومفنداً ومرتكزاً كلياً على المنظور الإسلامي ، بل هو ذو الخلفية الثقافية المتعمقة فهماً لمنطلقات المذاهب الإعلامية الكبرىٰ التي هيمنت على الإعلام في عالم اليوم ، والقادر على استنباط الرؤية المتحررة من سيطرتها ودائرة نفوذها ، والساعي إلى تحقيق أهداف الإعلام في الإعلام والتثقيف والترفيه .

وعلى هذا فإن المردود العائد على المجتمع المسلم والإعلام من شخصية بهذه المواصفات له ثقله واحترامه ونتائجه الخيِّرة . بل يصبح وجوده اليوم ضرورة يجب أن نصل إليها من خلال التدريب بمختلف أنماطه ووسائله . والسعي الدؤوب من قبل إعلاميّينا لمعرفة الإسلام وأحكامه ، واستيعاب أكبر قدر من المعلومات الثقافية وهضم التراث ، والإلمام بمعارف العصر وتياراته المتباينة المدارك ، وتتجلى القدرة على اتخاذ القرار في الوقت والمكان المناسبين . فالرائد الإعلامي هو من يمتلك القدرة على التأثير ، واستحداث الأساليب المعينة له على تحقيق وتوصيل مضمون رسالته الإعلامية بالصورة المثلى في الشكل والمضمون . □□

عبد الرحمن جـاد الله

مكتبة الأمة

الكتاب : شعر الجهاد في عصر الموحدين

المؤلف : شفيق محمد الرقب

الناشر : مكتبة الأقصى ـ عمّان

□□ الأحداث يذكّر بعضها ببعض ، إذا كان بينها رابط ، فلا غرابة إذن أن يذكّر الغزو اليهودي الاستيطاني لفلسطين بالهجمة الصليبية العاتية التي تعرضت لها الأندلس ، فكلا الغزوين انتهى باستيطان الغزاة ، وتشريد المسلمين ، وبالسعي الدائب إلى تغير السمة الإسلامية ، وكلاهما يقوم على ادعاءات فكرية مزعومة ...

والكتاب الذي نقدمه للقارىء اطروحة علمية قدمت لنيل درجة الماجستير ، من كلية الآداب في الجامعة الأردنية ، ويهدف الباحث منها إلى تلمس الأصداء التي تركها الصراع ، وإبراز قيمته في الدراسات التاريخية والاجتماعية ، وبيان الدور الذي اضطلع به الشعراء في تعبئة الأمة للوقوف في وجه العدوان ، دون أن يؤدي ذلك إلى إغفال الكشف عن النواحي الجمالية في ذلك الشعر ؛ وذلك كله من خلال تحقيق النصوص من مصادرها المختلفة ، والاستقراء الداخلي لها ، واستخلاص النتائج منها ؛ ويتكون الكتاب من تمهيد وخمسة فصول وخاتمة :

درس التمهيد : الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في دولة الموحدين ، ودرس الفصل الأول : النظرة الإسلامية للصراع ، ودور الشعر في التعبير عنها . أما الفصل الثاني فبحث في شخصية البطل في شعر الجهاد ، والدور الذي اضطلع به في الصراع .

وتناول الفصل الثالث نظرة الشعراء إلى الصليبيين ، وموقفهم منهم ، والصورة التي قدموها عنهم .

وبحث الفصل الرابع في مواكبة الشعر لأحداث الصراع ، ومدى الاعتماد عليه مصدراً للمعلومات التاريخية عن تلك الأحداث .

أما الفصل الخامس فقد تناول شعر الجهاد من خلال الدور الذي اضطلع به في الجهاد ، والأداء الفني .

وفي الخاتمة لخص أهم النتائج التي انتهى إليها ..

والحق ببحثه فهرساً للأعلام والقبائل والطوائف والجماعات ، وللأماكن والبلدان ، ثم فهرساً للمصادر والمراجع ، وفهرساً لموضوعات الكتاب . □□

الكتاب : قبل أن تدفعوا الجزية

الكاتب : الدكتور عبد الودود شلبي

الناشر : دار المجتمع للنشر والتوزيع ـ جدة

□□ لا يستطيع احد ان ينكر مقدار الأذى الذي الحقته إرساليات التنصير على اختلاف مشاربها ، والقائمون عليها بالعالم الإسلامي ، لانها عرفت كيف تتسلل إلى قلبه من خلال إشرافها على تربية وتوجيه البراعم فيه بواسطة المدارس التي انشاتها ، والمدرسين والمربين الذين رعتهم واعادتهم ليتسنموا مراكز الصدارة والتوجيه في التربية والإعلام وما إلى ذلك من مناصب حساسة ...

والكتاب الذي بين ايدينا يحدثنا عن الجذور التاريخية لهذه الغارة الصليبية الفكرية ، بعد فشل الغارة الصليبية العسكرية ، ويعرض في هذا السبيل وثيقة تنصيرية خطيرة ، كان قد قدمها فضيلة الشيخ عبد الله بن علي المحمود رئيس مركز الدعوة الإسلامية بالشارقة رحمه الله إلى المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين الذي انعقد في القاهرة في ذي القعدة ١٣٩٧هـ . بعد ذلك يجيء الحديث عن سبل المبشرين إلى بلوغ غاياتهم [المدرسة ـ الكلية ـ الجامعة ـ الندوة ـ الرياضة ـ المنزل ـ بيوت الشباب ـ الكتاب ـ الصحافة ـ المخيم ـ المستشفى ـ دار النشر ...] ويقدم امثلة واقعية لذلك كله ؛ ثم يبين الأهداف الإجرامية في الثوب الإنساني ، ويقدم امثلة لبعض ما يحدث في بعض دول العالم الإسلامي ، ويذهب إلى ان بعضها يتلقى دعماً من بعض الحكام . ويتحدث بعد ذلك عن مؤتمر حكماء ، كولورادو ، والاستراتيجية التي وضعها هذا المؤتمر لتنصير المسلمين ، او إفسادهم وإخراجهم من دينهم ، ويقدم نماذج عن الدراسات للمؤتمر ، سواء اكانت ، نظرية ام ميدانية .. ويقدم بعد ذلك حقائق عن التنصير في ، ابو ظبي ، [الكنائس ـ المدارس ـ المستشفيات ـ البنوك ـ الفنادق] ويحذر بعد ذلك اولياء امور المسلمين ويطالبهم بالتنبه والحذر ، ويذكرهم بقوله تعالى :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ . □□

الكتاب : المذاهب الفقهية

الكاتب : الدكتور محمد فوزي فيض الله

الناشر : شركة الشعاع للنشر ـ الكويت

□□ يهفو البيت المسلم إلى زاد ثقافي ، يلتمس فيه الري ، فتصدمه العقبات الكثيرة المتمثلة في كثرة الكتب المطروحة ، وضخامتها ، واكاديمية بعضها وتوجهها إلى المتخصصين ، وارتفاع اثمانها ... من هنا نشات فكرة « مكتبة البيت » للإشراف على إصدار سلسلة من الكتب : إسلامية الفكرة والغاية ، يراعى فيها التركيز على جوهر الموضوع ، البساطة ، قلة التكلفة مع الإخراج الحسن - ليحقق النفع لأكبر عدد من الناس بمعالجة موضوعات واقعية تهمهم ... وهذا هو الكتاب الأول في هذه السلسلة ، يقدم تعريفاً عاماً ، سهلاً وميسراً بالمذاهب الفقهية الإسلامية واصحابها ، مع بيان منهج كل منهم في استنباط الأحكام الفقهية وتدوينها ، وقد فصل القول في المذاهب الأربعة [مذهب ابي حنيفة - مالك - الشافعي - ابن حنبل] واكتفى بالترجمة الموجزة لأبرز اصحاب المذاهب المندثرة ، وسرد اشهر المذاهب الأخرى ... كما عرض لأشهر تلاميذ الأئمة واثرهم في انتشار مذاهب هؤلاء الأئمة ، ولأهم كتبهم ... وقد جاء الكتاب موسوعة شاملة وميسرة لطالب العلم الذي يرغب التعرف على نشاة المذاهب الفقهية .

وقد صدر من هذه السلسلة إضافة إلى « المذاهب الفقهية » ، كتاب « في التعبئة الإسلامية » ، و « فقه النساء في الطهارة » و « نظرات في القرن السالف » . □□

الكتاب : ابن تيمية وجهوده في التفسير

الكاتب : إبراهيم خليل بركة

الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت

□□ معظم الدراسات التي كتبت عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله اتجهت إلى البحث في حياته وعصره ، وآرائه الفقهية والعقيدية ، ومنهجه الإصلاحي ، وجهوده في الدفاع عن العقيدة بسيفه وقلمه ، والرجوع بالأمة إلى الكتاب والسنة ... اما جهوده في التفسير وعلومه فلم تعط حقها من البحث والدراسة كسابقتها .

والكتاب الذي نقدمه ، في اصله ، اطروحة لنيل درجة علمية في كلية اصول الدين يتالف من مقدمة تحدثت عن عصر ابن تيمية رحمه الله ، الحالة السياسية والاجتماعية ، [الحروب الصليبية والغارات التترية - الحالة العلمية وحركة التفسير - الحالة الدينية والخصومات الفقهية] وثلاثة ابواب وخاتمة .

جاء الباب الأول في فصلين ، بحث في الأول منهما حياة ابن تيمية رحمه الله ونسبه ، شيوخه وتلاميذه ومذهبه . اما الفصل الثاني فبحث في ثقافته [في التفسير وعلومه - في الحديث وعلومه - في الفقه واصوله - في الفلسفة وعلم الكلام - مصنفاته - اقوال العلماء فيه] .

اما الباب الثاني ، فجاء في فصلين ايضاً ، بحث الاول منهما في منهج ابن تيمية في التفسير [المنهج الفكري العام - منهجه في التفسير - موقفه من الإسرائيليات - طريقته في حكايته الخلاف] اما الثاني فبحث في آرائه في التفسير [موقفه من التفسير بالراي - الحقيقة والمجاز - تفاسير المعتزلة - تفسير ابن عطية - تفاسير الصوفية] .

اما الباب الثالث فجاء في فصلين ايضاً ، بحث الأول منهما في مكانة ابن تيمية ، والثاني في آثاره في التفسير والمفسرين .

وجاءت الخاتمة لتحدد نتائج البحث ، وتطالب بالعمل على جمع وتحقيق ذخائره التفسيرية التي تركها ، والتي تزيد على ثلاثين مجلداً ، كما يقول تلاميذه ، والتي يمكن ان يكون لها كبير اثر لما رزقه الله عز وجل من نعمة التعمق في الفكر والنظر إلى جانب سلامة الذوق والتبحر بالروايات ، وتطبيق الآيات على الحياة ، والاطلاع على المجتمع الذي عاش فيه ...

وقد الحق المؤلف بكتابه ثبتاً باهم المصادر والمراجع ، وفهرساً عاماً لموضوعاته . □□

الديوان : جراح على الدرب

الشاعر : عدنان علي رضا النحوي

الناشر : مؤسسة البشريات - الرياض

□□ ياتي هذا الديوان « جراح على الدرب » ، ليكون الثالث بعد « الأرض المباركة » ، و « موكب النور » للشاعر المهندس عدنان علي رضا النحوي على درب العقيدة والإيمان ، وسبيل البذل والإحسان ، على صراط مستقيم خطّه الله عزّ وجل لعباده المؤمنين ، ومنهج رسمه رب العالمين ...

إنه اقرب إلى حديث النفس ونجوى الخاطر بين دموع دفعتها فواجع وصرخات دوّت على قواطع ، وجولات جهاد وجلاد ، وحرقة قلوب واكباد ، وتاريخ طويل لأمة تشكو وتئن ، وما ملّت الشكوى ، ولا انقطع الأنين ...

إنه ابتلاء تعيشه الأمة ، وما اشده من ابتلاء ، اضطربت الموازين واختلطت الشعارات ، وسقطت رايات وعلت رايات امام ابصار تبرق او تزيغ ، وقلوب تدق او تروغ ، وخطوات مهزوزة ...

ويحس الشاعر باعماقه مسؤولية الكلمة امام الله عزّ وجل ، وما يمكن أن تفعله ، إذا كانت مستمدة من نور الإيمان لتوقد شعلة اليقين ، وكيف يصبح لها مكانها ، ومضاؤها ، وظلها ، ونورها ؛ لتظل سلاحاً يشق الظلمة ويمهد الدرب ، ويدفع الخطا في كل ميدان ... إنها كلمة الحق التي هي كلمة التقوى والإيمان ، وادب الحق الذي هو ادب التقوى والإيمان ...

وعلى هذا الدرب جاءت قصائد الديوان : [حسبنا الله - دعاء في جوف الليل ودمعة - الجندي الجريح - عرائس وجواهر في لكنهو - اكواخ واشلاء - خَدَرُ الهوى - قدمان حافيتان - وردة ودماء - النواعير - القافية المدمّاة - قلب مؤمن - سكن وحنان - اشواك واقاحٍ - احلى الأزاهير - الوهج المذاب - فسحة المؤمن - وفاء - ذكرى - امة ضاعت الموازين فيها ...] لتنضم إلى ادب العقيدة والحياة والإنسان ، ادب الإسلام . □□

كلّيات الإلٰهيّات في تركيا

استطلاع

■■ المؤسسة التعليمية في هذا العصر ، ليست مجرد مؤسسة أكاديمية منفصلة ومعزولة عن كيان الأمة ومصيرها وهويتها .. وقد ثبت أن الأمة لا تستطيع أن تحقق استقلالها الثقافي والاقتصادي وأن تتخلص من التبعية الفكرية والسياسية إلّا من خلال طبيعة المناهج التي يدرسها أبناؤها في مؤسساتها التربوية التعليمية ، وفي مقدمتها الجامعات .. « إن للعلوم والكتب روحاً وضميراً كالكائنات الحية » (أبو الحسن الندوي) .. ولسنا في حاجة إلى التأكيد أن الدولة الحديثة ـ على اختلاف توجهاتها السياسية والفكرية والعقيدية ـ قد أدركت أهمية المؤسسة التعليمية وخطورة دورها التربوي ، فجعلت التعليم ضمن اختصاصاتها العليا وتحت سيطرتها الكاملة ، ورصدت له الأموال والخبرات ، واعتبرته في مستوى أهمية الأمن والدفاع . ■■

غير أن مشكلة الدول العربية والإسلامية هنا تكمن في أن معظمها قد عانى فترة طويلة من التخلف منذ بدء توقف الحضارة الإسلامية عن دورها القيادي بعد الغزو المغولي والصليبي ، وأن أقطار العالم الإسلامي قد بدأت ـ منذ أواخر القرن الثامن عشر ـ تقع تحت سيطرة الدول الأوروبية المستعمرة ونفوذها ، وأن القوى الاستعمارية حرصت على السيطرة على التعليم خلال فترة وجودها العسكري ، كما خططت له ليخدم مصالحها على المدى البعيد بعد زوال هذا الوجود . فجاءت النظم التربوية في معظم الأقطار الإسلامية بعد استقلالها امتداداً للنظم التربوية التي أسستها القوى الاستعمارية لخدمة أغراضها ، كما تعرضت مناهج التربية فيها إلى موجة الاستشراق والتغريب والعلمانية (اللادينية) ، فاستعارت الكثير من المحتويات والأطر الفكرية للمناهج ، بحيث أصبح الخطر الفكري يهدد معتقدات أبناء المسلمين ، وأصبحت ظاهرة الازدواجية في مناهج التعليم تصبغ كثيراً من المدارس والمعاهد والجامعات ، على خلاف طبيعة التربية الإسلامية الشاملة لجميع ألوان المعرفة وحقولها ، والتي ليست مرادفة بحال من الأحوال للتربية الدينية بالمعنى الكهنوتي في الغرب .

« ... وكلما استعير منهاج من بلاد غير إسلامية ، أو اختيرت كتب وضعت في بلاد غير مسلمة ، كان هذا المنهاج وكانت هذه الكتب قلقة نابية لا تفي ولا تساعد في المطلوب ، ويكون الصراع مستمراً بين الفكر الإسلامي والروح الإسلامية وبين العقلية الجديدة والنفسية

■ مسجد كلية الإلهيات باستانبول ـ من مشروعات الوقف التابع للكلية ، يتميز بالطابع المعماري الإسلامي في العهد العثماني ■

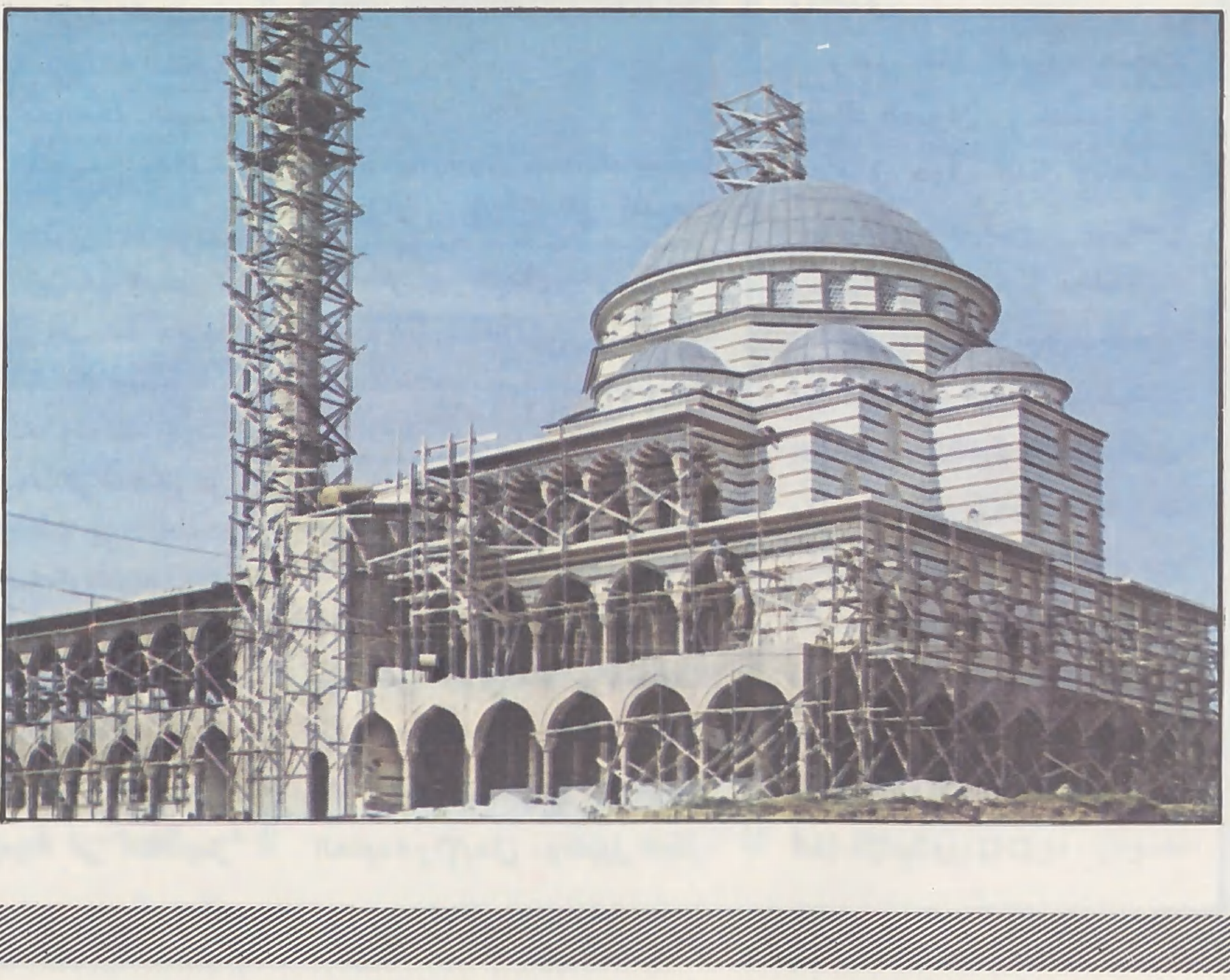

■ الدكتور صالح طوغ ، عميد كلية الإلهيات ـ جامعة مرمرة ـ باستانبول ■

■ الدكتور علي أوزك ، رئيس الوقف ■

الدكتـــور صـــالح طـــوغ

- عميد كلية الإلهيات باستانبول ـ جامعة مرمرة .
- تخرج في كلية الحقوق بجامعة استانبول عام (١٩٥٥م) .
- اصبح معيداً في معهد الأبحاث الإسلامية بكلية الآداب باستانبول في عام (١٩٥٧م) .
- درس العلوم الشرقية ولغاتها ، كما درس اللغات الغربية .
- نال درجة الدكتوراه في عام (١٩٦٢م) وكان موضوع اطروحته : نشاة قانون الضرائب في الإسلام .
- له بحث بعنوان : الحركات الدستورية في البلاد الإسلامية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين .
- اصبح محاضراً في الجامعة في عام (١٩٦٨م) .
- وفي عام (١٩٨٢م) عيِّن عميداً لكلية الشريعة بجامعة مرمرة .

الدكتور علي أوزك

- رئيس وقف كلية الإلهيات باستانبول .
- تخرج في كلية اصول الدين بجامعة الازهر عام (١٩٥٥م) وبعد عودته إلى تركيا لم تعترف وزارة المعارف التركية بشهادات الأزهر ، فاشترك في امتحانات الثانوية العامة وتخرج فيها عام (١٩٦٠م) ثم التحق بالجيش التركي ، وبعد ذلك انتسب إلى كلية الآداب بجامعة استانبول وتخرج فيها عام (١٩٦٦م) .
- عيِّن مدرساً في مدرسة « الإمام والخطيب » ، ثم مدرساً في المعهد العالي الإسلامي عام (١٩٦٣م) ، ودرّس فيه اللغة العربية والبلاغة والتفسير والحديث .
- نال درجة الدكتوراه عام (١٩٧٣م) .
- عيِّن مديراً للمعهد الإسلامي من سنة (١٩٧٧م) إلى (١٩٨٢م) .
- له عدَّة مؤلفات مطبوعة منها : علوم الحديث ورجاله ـ العبادة في الإسلام ـ النيَّة في الإسلام ـ المكالمة العربية ـ النصوص الأدبية .

الجديدة ، التي تنشأ بتأثير هذه الكتب ومفعول هذا النظام التعليمي ... وهذا الصراع ليس أقل شؤماً لهذه الأمة ، ولا أقل جناية على حياتها وإسلامها من صراع الدين والسياسة ، والعقل والديانة في أوروبا في العصور الوسطى ....

وقد فطن اليهود في وقت مبكر إلى هذه الحقيقة ، فسعوا من جانبهم للتسلل إلى الإنسان المسلم من خلال المناهج الدراسية ، حيث عرضوا على السلطان عبد الحميد (١٩٠٢م) مشروع إقامة جامعة عبرية لأبناء المسلمين في بيت المقدس بحجة عدم تعريض الطلاّب المسلمين الذين يوفدون إلى أوروبا لأخطار « الغوايات إلسياسية » (!!).. وقد رفض السلطان المشروع . في ذلك الوقت وقام بتنفيذه حاييم وايزمان في يوليو [تموز] ١٩١٨م ـ ووضع له حجر الأساس من اثني عشر حجراً بعدد أسباط بني إسرائيل ـ ولا يفوتنا ان نذكر ان اليهود ـ بعد احتلالهم فلسطين ـ قاموا بتغيير معالم المناهج والكتب التي يدرسها الطلاب المسلمون في المؤسسات التعليمية حسب اهدافهم السياسية .. »

الفاعلية التربوية

وهكذا فإن من يضع مناهج التعليم والتربية للأجيال المسلمة لا يجوز أن يكون حراً أن ينطلق ـ بحجة الحرية الأكاديمية أو أية حجة ـ فيبتر الصلة بين قلوب طلابه مع نبضات الإيمان ، ولكن لا بد أن تسير المعارف والعلوم كلها وفق أهدافها المرسومة في إطار التصور الإسلامي ، وأن تتبلور الضوابط والقواعد التي توجه المناهج الدراسية على نحو يخدم أهداف التربية الإسلامية ويحققها ، وقد يكون من المفيد هنا أن نؤكد أن وحدة المعرفة وشمول الأهداف ووضوحها تتطلب توظيف المناهج الدراسية من شرعية وكونية لتخدم التربية الإيمانية وتحقق أهدافها ...

فالازدواجية التي تمارسها النظم التربوية في هذا العصر ، في النظر إلى العلوم الكونية على انها شيء يختلف عن العلوم الشرعية ـ من حيث أهدافها وغاياتها بالنسبة للفرد والمجتمع ـ نظرة مرفوضة في مفهوم التربية الإسلامية ، إذ يعتبر الإسلام الكون بما فيه مجالاً للنظر العقلي والديني والتامل الروحي ويقود إلى تعزيز الإيمان بالله تعالى ، وفي هذا الإطار تصبح جميع العلوم الكونية والشرعية ميداناً لبناء المعرفة وطريقة للتفكير والبحث ..

كليّات الإلهيّات في تركيا

استطلاع

أما عن دراسة العلوم الشرعية ذاتها، فلا بد عند وضع مناهجها من بيان الوظيفة الاجتماعية للدين الإسلامي كهدف لتدريسها، ذلك أن العقيدة ينبثق عنها وحدة فكرية للفرد والجماعة، وتصور واضح لمفهوم الأمة وما يستلزم ذلك من انتماء لها والسير وفق رسالتها في الحياة..

إن الهدف الأساسي لدراسة العلوم الشرعية هو إعداد الفرد والجماعة، ليصبح كل منهما صاحب رسالة يسعى لتحقيقها، وبدون ذلك فإن الدراسة تفقد فاعليتها التربوية، وتصبح عاجزة عن تلبية حاجات المتعلم الفكرية، ولا تساعده كثيراً في حياته الاجتماعية أو في ممارسته العملية لما يتعلمه..

وحول مادة اللغة العربية ومناهج دراستها نؤكد ابتداءً على ضرورة تعلم هذه اللغة بالنسبة للمسلم، فالاهتمام بها أمر تعبدي يسهِّل فهم الرسالة وييسر أمر تبليغها، ولا بد أن يكون استخدامها بطريقة هادفة، تسهم في إبراز المفاهيم والقيم الإسلامية وفي بناء الإنسان المؤمن الواعي...

وقد كانت المؤسسات التعليمية - تاريخياً - تقوم بدور هام في مجال التربية الإسلامية عندما كانت مرتبطة بالمسجد، الذي حدد لها الهدف ووفر لها الوسيلة، وكذلك عندما كانت مرتبطة بالوقف الإسلامي، الذي حقق لها الموارد المالية، ومناخ الاستقلال الذي يدعم رسالة مؤسسات التعليم ودورها التربوي، وفي ضوء الواقع، نلاحظ اليوم غياب الصيغة الإسلامية للمناهج الدراسية في معظم هذه المؤسسات في بلاد المسلمين، وانحسار دورها التربوي بالمفهوم الإسلامي، وطبع نظام التعليم وتوجهاته التربوية بالطابع الذي تراه الدولة الحديثة متمشياً مع اتجاهاتها الفكرية الأساسية، وذلك ضمن ممارساتها لأداء معظم الخدمات العامة، وفي مقدمتها التعليم..

وقد نتابع جانباً من ملامح هذا الواقع ومراحل تطوره من خلال جولتنا في كليات الإلهيات في تركيا - التي تدرس العلوم الشرعية - بينما نعلم أن التعليم الشرعي كان محرماً حتى مايو [أيار] ١٩٤٨م، وأن نسبة عدد المسلمين في تركيا تصل إلى ٩٢ر٩٨٪ حسب إحصاءات ١٩٧٠م.

كليات الإلهيــات في أنقرة واستانبول

في تركيا سبع وعشرون جامعة.. وعدد كليات الإلهيات بها ثماني كليات، ويدرس في هذه الكليات اكثر من أربعة آلاف طالب وطالبة..

وقد قمنا - خلال جولتنا بتركيا - بزيارة أهم كليتين للإلهيات.. الأولى وهي تابعة لجامعة أنقرة - باعتبارها أقدم الكليات، والثانية - تابعة لجامعة مرمرة - في استانبول، حيث تتميز بأنها أنشئت وفقاً (نتناوله بالتفصيل في هذا الاستطلاع) ليدعمها ويساعدها في أداء دورها..

وبصفة عامة يمكن أن نقول: إن مناهج كليات الإلهيات تتقرر بواسطة هيئة حكومية عليا، تأسست منذ عدة سنوات للنظر في البرامج الدراسية وتنظيمها.. أمّا الطلاب فإنهم يتوزعون على الكليات عن طريق الامتحانات العامة التي تمهد لمرحلة التعليم العالي، ويُحدد لكل كلية عدد معين من الطلاب، حسب مستوى علامات الطالب وعلى ضوء حاجة المجتمع، وإمكانية استيعاب الكلية، وحجم الميزانية المخصصة لها..

والمتخرجون في كليات الإلهيات يعينون بوجه عام - من قبل وزارة التربية الوطنية - معلمين في المدارس الثانوية العامة والثانويات الشرعية التابعة لها، أو من قبل رئاسة الشؤون الدينية (وهي ملحقة برئيس الوزراء مباشرة) لأداء وظائف: الوعظ والإرشاد والإمامة والإفتاء، وخطبة الجمعة في المساجد..

ومن أجل ذلك، فإن الطلبة في السنة الأخيرة من دراستهم في الكلية يجري تدريبهم في مجالين:

المجال الأول يُدربون فيه على أداء المهمة التعليمية، وفق منهج معين، يتضمن مادتي الثقافة الإسلامية والأخلاق، وذلك تحت إشراف مدرسين من الكليات التي يدرسون فيها ومدرسين من المدارس التي يتم تدريبهم فيها.. أما المجال الثاني فهو أعمال الوعظ والإرشاد والإمامة وخطبة الجمعة في المساجد..

كما يمكن أن يعينوا في وظائف إدارية في دوائر رئاسة الشؤون الدينية في أنحاء تركيا وفي المكتبات العامة والمتاحف، وذلك بالنظر إلى إلمامهم باللغات التي كتب بها معظم فروع الثقافة الإسلامية: العربية والفارسية، إلى جانب إجادتهم التركية...

أقــدم الكليــات

وتعتبر كلية الإلهيات بجامعة أنقرة، أقدم الكليات التي تحمل هذا الإسم «الإلهيات» حينما ظهر بديلاً عن «**العلوم الشرعية**» عام ١٩٢٤م، وكلمة الإلهيات (DIVINITIES) أو «**اللاهوت**» هي مصطلح خاص بالنصرانية، ولعلَّ هذه التسمية جاءت ترجمة وصدى لأقسام الدراسات الدينية في أوروبا النصرانية بعد تبني تركيا المذهب العلماني..

وقد كانت الكلية في الأصل قسماً تابعاً لدار الفنون التركية، حتى ألغيت الدار عام ١٩٣٣م - ثم أعيد افتتاح «الكلية» عام ١٩٤٩م، ضمن كليات جامعة أنقرة..

وقد جرى هذا الحوار - حول الكلية ومناهجها وخطة الدراسة فيها، والمواد الدراسية ومراجعها، ومدى القابلية التي تحظى بها من قبل الشباب،

● الازدواجية التي تمارسها النظم التربوية هذا العصر في العالم الإسلامي في النظر إلى العلوم الكونية على إنها شيء يختلف عن العلوم الشرعية نظرة مرفوضة في مفهوم التربية الإسلامية ●

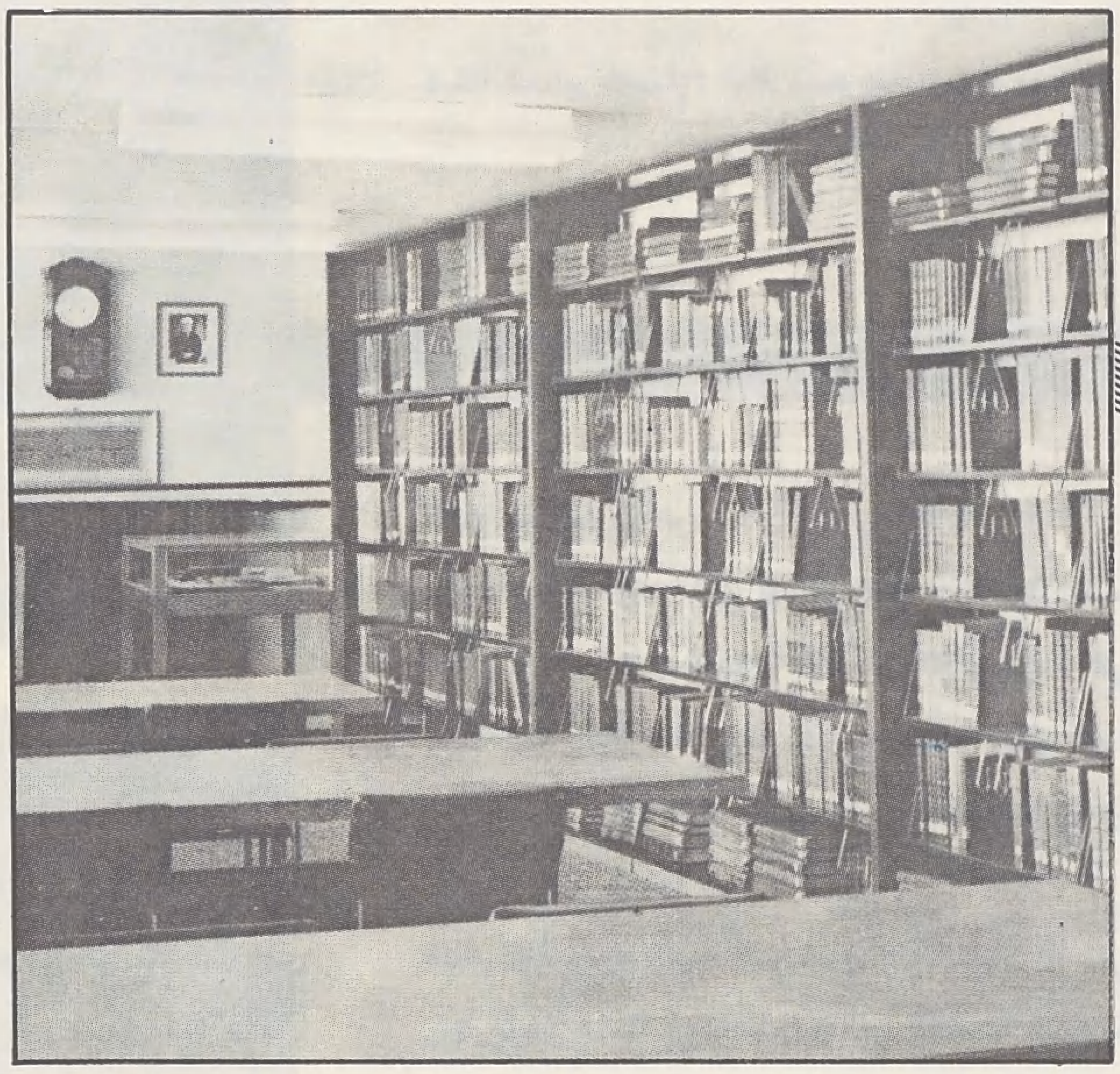

■ مركز بيع الكتب ، الذي أنشأه الوقف بكلية الإلهيات في استانبول ، يقدم تسهيلات لاقتناء الكتب ويوزع الكتب الدراسية على المتفوقين دون مقابل . ■

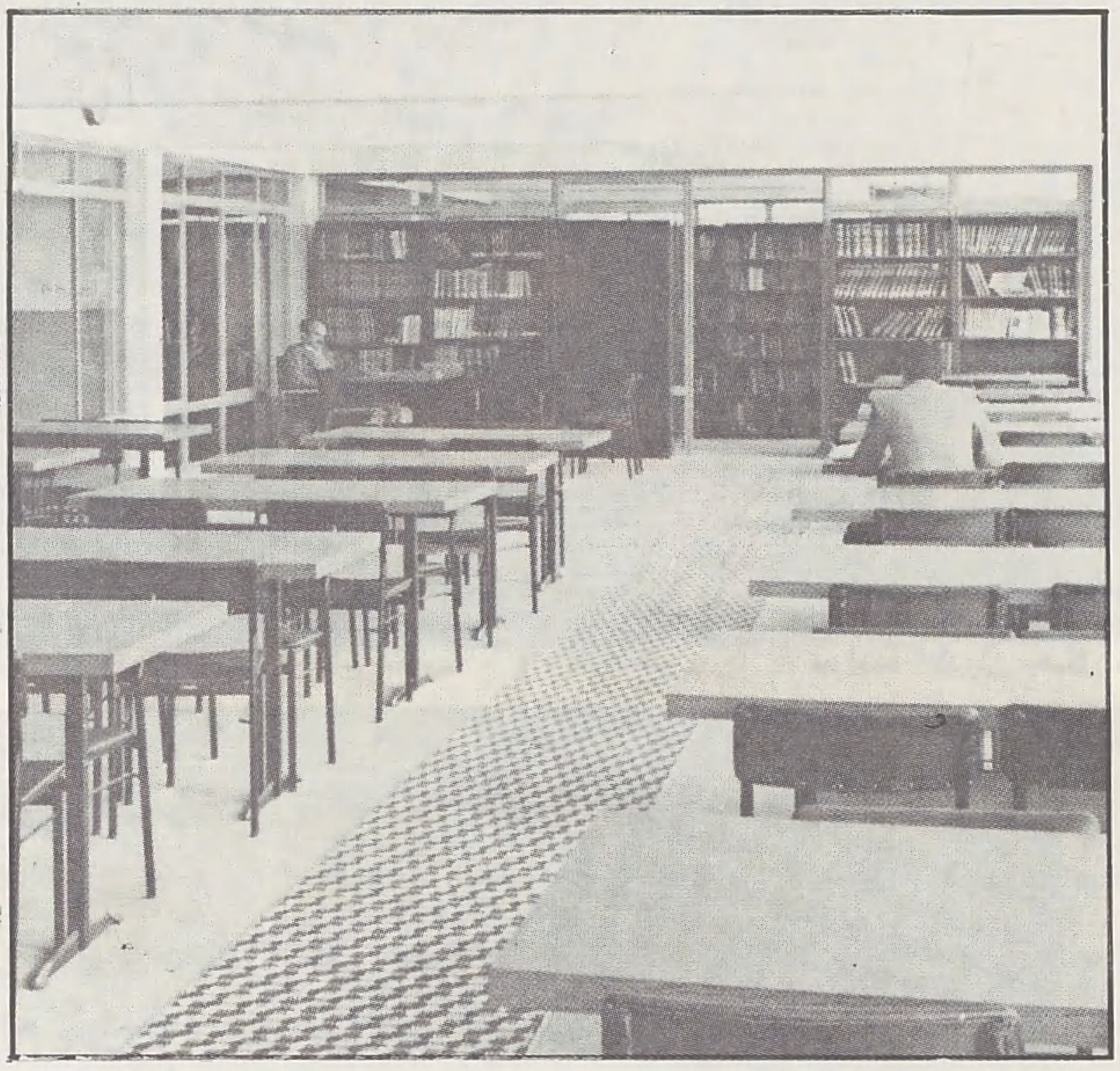

■ قاعة المطالعة بمكتبة كلية الإلهيات في استانبول - التي تضم (٣٥) ألف مجلَّد . ■

ودورها التربوي بين الطلاب والطالبات ، وأثرها في المجتمع التركي ، والنشاط الذي تقوم به في مجال التبادل الثقافي مع المؤسسات التعليمية المشابهة - في لقاء ضم الدكتور **طلعت كوطشيد** « عميد الكلية » ، وعدد من أعضاء هيئة التدريس بها : الدكتور إسماعيل زاده - رئيس قسم التفسير ، والدكتور صلاح الدين أروغلي - أستاذ مساعد مادة الفقه ، والدكتور علي يلماز ، والدكتور علي محمد قوش المعيدين بقسم الأدب الإسلامي ، والأستاذ رمضان شمشك - مدرس اللغة العربية .. والحقيقة ، يمكن أن يكون هذا الحوار أقرب في طبيعته إلى الندوة ..

●● يقول الدكتور كوطشيد :

— كانت مدة الدراسة بالكلية أربع سنوات في أول الأمر ، حتى سنة ١٩٨١م حينما جاءت الحكومة العسكرية وأعادت تنظيم الكلية من جديد ، وشكلت الهيئة العليا للدراسات العالية ، وأضافت سنة دراسية أخرى ، فأصبحت خمس سنوات على أن يكون الصف الأول صفاً تحضيرياً ..

■■ هل أضيفت هذه السنة التحضيرية إلى سنوات الدراسة بكليات الجامعة كلها أم إلى كلية الإلهيات فقط ؟

— هذه السنة التمهيدية ليست عامة لجميع الكليات ، لكنها خاصة بكلية الإلهيات لدراسة اللغة العربية والقرآن الكريم ..

■■ وهل يقتصر تدريس اللغة العربية على السنة الأولى فقط ، أم يستمر خلال سنوات الدراسة الأخرى ؟ وكم عدد الساعات في كل سنة ؟ ولعلَّكم تدركون السبب من وراء طرح هذا السؤال ، وهو أن العلوم الشرعية خاصة ، لا تدرك تماماً ولا يمكن الانتفاع بمراجعها ومصادرها للطالب إلَّا إذا كان يعرف اللغة العربية ولا ينقطع عن دراستها ..

— تستمر اللغة العربية طوال سنوات الدراسة حتى الصف الرابع ، وهي سنة التخصص في أحد أقسام الكلية ، وتتفاوت ساعات الدراسة ، ففي السنة التمهيدية تكون الدراسة لمدة عشرين ساعة اسبوعياً ، وفي السنة الثانية ست ساعات وفي الثالثة أربع ساعات ..

■■ وماذا عن دراسة القرآن الكريم ضمن السنة التمهيدية وفي السنوات التالية ؟

— في الصف التمهيدي ، يتعلم الطالب تلاوة القرآن الكريم بشكل مجوَّد ، وفي الصف الأول يدرس لمدة ساعتين ، وفي الصف الثاني ساعة واحدة ..

■■ وهل يشترط المنهج الدراسي أن يحفظ الطالب قدراً معيناً من القرآن الكريم ؟

— نعم ، حيث يطلب أستاذ المادة من الطالب حفظ بعض قصار السور ..

■■ هل يرتبط الأمر بما يراه المدرس أم أن الكلية هي التي تحدد ذلك ؟ لأن الاكتفاء بقصار السور بالنسبة للمتخصص بالعلوم الشرعية أمر مستغرب .

— الأمر في الحقيقة متروك لمدرس القرآن الكريم ، يختار هو السور القصار التي ينبغي على الطالب أن يحفظها ..

■■ ما هي مجالات التخصص الدراسي التي يتضمنها المنهج ابتداءً من السنة الرابعة ؟

وهل الأمر متروك لرغبة الطالب وميوله في الاختيار أم يشترط لذلك تحصيل علامات معينة في بعض المواد بالسنوات السابقة على سنة التخصص ؟

— في الحقيقة ، الأمر متروك لرغبة الطالب واختياره ، حيث يقدم طلباً برغبته في التخصص - بعد نجاحه في السنة الثالثة : إما في دراسة علوم التفسير والحديث وإما في دراسة الفلسفة الإسلامية والتاريخ الإسلامي وعلم الكلام .

■■ ما هي المواد التي يتضمنها المنهج لدراسة علوم التفسير والحديث ، وهل يمكن أن نتعرف على بعض المراجع التي تعتمدونها في الدراسة ؟

— إنَّ أستاذ المادة هو الذي يختار الكتب والمراجع والمصادر المختلفة التي يدرسها ، وذلك ضمن المنهج الرسمي المحدد من قبل الكلية ، ويمكن للأستاذ إسماعيل زادة أن يوضح الأمر فيما يتعلق بالمادة التي يقوم بتدريسها وهي التفسير ..

... كلية الإلهيات لا تحدد كتاباً معيناً لتدريس مادة التفسير أو أية مادة أخرى ، وبالنسبة لمادة التفسير فقد اخترت مجموعة من المراجع ، منها كتاب

كليّات الإلٰهيّات في تركيا

استطلاع

« البرهان في علوم القرآن » للزركشي وكتاب « الإتقان في علوم القرآن » للسيوطي ، و « مقدمة في أصول التفسير » لابن تيمية ، و « التفسير والمفسرون » للشيخ محمد حسين الذهبي .

●● وعن مراحل دراسة مادة التفسير : يقول الدكتور زاده :

... يدرس الطالب في السنة الأولى أصول التفسير ، وبعد ذلك يبدأ في تعلم التفسير من مراجعه - ابتداءً من الصف الثاني حتى يتخرج - وبهذا فإنه لا ينقطع عن دراسة مادة التفسير .

■■ وماذا عن دراسة مصطلح الحديث ؟

- مادة الحديث يقوم بتدريسها الدكتور كوطشيد عميد الكلية ، ويمكن أن يوضح الأمر بشأنها .. بالنسبة لعلم « **مصطلح الحديث** » فإننا نعتمد له كتاب « **الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث** » للحافظ ابن كثير ..

■■ ما هي المواد الأخرى التي يتضمنها المنهج في قسم التفسير والحديث ؟

- يتضمن المنهج أيضاً مواد : العقيدة ، والتاريخ الإسلامي ، الذي يدرس في السنة الثانية ويشمل المرحلة من العصر الجاهلي حتى عصر الخلفاء الراشدين ، وفي السنة الثالثة تحل مادة « **تاريخ المؤسسات الإسلامية** » أو « **تاريخ الحضارة الإسلامية** » بدل « **التاريخ الإسلامي** » - وكذلك دراسة الأديان بشكل مقارن ..

■■ هل يدخل في الدراسة المقارنة للأديان شيء من تاريخ الفرق الإسلامية ومقارنتها ؟

- لا يدخل في الدراسة المقارنة للأديان شيء من تاريخ الفرق الإسلامية حيث نخصص لها منهجاً محدداً ضمن مادة الثقافة الإسلامية للصف الأول .. هذا ؛ إلى جانب أن مادة العقيدة تتناول ضمنياً جميع آراء الفرق بشكل موسع ، وتبدأ دراستها في الصف الثاني وتستمر في الصفين الثالث والرابع ...

وهناك أيضاً - ضمن المنهج - مواد « **المنطق** » ، و « **الفقه الإسلامي** » أو « **التشريع الإسلامي** » وهذه المادة الأخيرة تتطور لتتناول مضمون مادة « **أصول الفقه** » في السنوات النهائية للدراسة .. وبصفة عامة فإن دراسة مادة الفقه تتم بصورة مقارنة .. وهناك بعض المواد الأخرى التي تؤهل الطالب لأن يكون معلماً في الثانويات بعد تخرجه ، حيث يعتبر التدريس هو المجال الأول للعمل أمام الخريجين ، ويمكن كذلك للطالب أن يتابع الدراسة بالكلية إلى مرحلة الدكتوراه ، التي تمنحها الكلية للدارس بعد دراسة عليا لمدة سنة واحدة ، يتم بعدها إعداد أطروحة البحث ، التي يتقدم بها لنيل هذه الدرجة العلمية الرفيعة ...

■■ إلى أي مدىً يتم التعاون فيما بين كليات الإلهيات الموجودة في تركيا ؟ وهل يوجد مجلس أعلى لهذه الكليات ينظر في برامجها وينسق بينها ؟

- إنَّ جميع المواد التي تدرس في الكليات الثماني مقررة من الهيئة العليا للتعليم التي أسستها الحكومة العسكرية ، وهي التي تنظر في برامجها وتتولى تنظيم أمور هذه الكليات .. وقد قامت هذه الكلية - باعتبارها أقدم الكليات - بتزويد الكليات الجديدة التي نشأت بعدها بعدد من الأساتذة .

اللغة العربية وشروط القبول

وفي استانبول ، يعتبر المعهد الإسلامي العالي (١٩٥٩م) نواة كلية الشريعة أو كلية الإلهيات ، الذي كان قد تأسس لمنح الخريجين في الثانويات الشرعية فرصة مواصلة تعليمهم العالي ، ثم تحوَّل - في يوليو [تموز] ١٩٨٢م - إلى كلية تابعة لجامعة مرمرة - التي تأسست في هذا التاريخ - وكانت قبل ذلك عبارة عن معهد يحمل اسم « **مدرسة التجارة العالية الحميدية** » باستانبول منذ عام ١٨٨٣م ، ثم عرفت - في عهد الجمهورية - باسم « **مدرسة**

■ الدكتور طلعت كوطشيد عميد كلية الإلهيات - جامعة أنقرة . ■

■ الدكتور علي محمد توش والدكتور علي يلماز - معيدان بقسم الأدب الإسلامي بكلية الإلهيات - جامعة أنقرة . ■

■ ندوة الحوار مع عميد كلية الإلهيات جامعة أنقرة وهيئة التدريس بالكلية . ■

الاقتصاد والتجارة المالية » ، وفي سنة ١٩٥٩م أصبحت « أكاديمية العلوم الاقتصادية والتجارة » ، قبل أن تتحول إلى « جامعة مرمرة » وتضم أربع عشرة مؤسسة تعليمية هي : ثلاثة معاهد ومدرستان عاليتان وتسع كليات .. إحداها « **كلية الإلهيات** » باستانبول ..

■■ وعن أقسام الكلية والدراسة فيها ، يقول الدكتور صالح طوغ أول عميد لها :

ـــ تتكون الكلية من ثلاثة أقسام أكاديمية هي : قسم التفسير والحديث ، وقسم علم الكلام والفلسفة الإسلامية ، وقسم الحضارة الإسلامية والعلوم الاجتماعية .. وتضم الكلية حوالي (١٧٠٠) طالب ، تجري مهمة تعليمهم على فترتين مدة كل منها سبع ساعات ، فترة نهارية (١٤٣٠ طالباً) ، تبدأ من الساعة التاسعة صباحاً حتى الرابعة مساءً ، وفترة مسائية (٢١٩ طالباً) تبدأ في الرابعة وتستمر حتى التاسعة مساءً ، أمّا مدة التعليم في الكلية فهي أربع سنوات ، وتجرى امتحانات قبول في اللغة العربية للمتقدمين إليها ويتم قبول الناجحين فقط ، أما الراسبون في هذه المادة الهامة ، فيقام لهم صف تمهيدي لمدة سنة واحدة ، يتلقون فيه دروساً في العربية والقرآن الكريم خمساً وعشرين ساعة في الأسبوع ، للغة العربية عشرون ساعة وللقرآن الكريم خمس ساعات .. وتقوم الكلية بمزاولة نشاطاتها التعليمية في أربعة مبان رئيسة تقوم على مساحة (٢٨) دونماً ، تضم إلى جانب الفصول الدراسية وحجرات هيئة التدريس والمرافق ـ مختبراً لتعليم اللغات ، وقاعة مؤتمرات ومكتبة تحتوي على (٣٥) ألف مجلد ، وتتألف من قسم عام وقسمين للتخصص ، أهدى أحدهما للكلية العالم الواعظ جمال أوغت ـ رحمه الله ـ . والآخر أسسته السيدة سهيلاء هانم ، وهذه المكتبة فيها قاعة للمطالعة تستوعب (١٣٠) قارئاً ...

الطالبة .. والقدوة السلوكية

■■ وحول الدور التربوي الذي يمكن أن تقوم به كليات الإلهيات كمؤسسات تعليمية طرحنا هذا السؤال :

■ طالبات في كلية الإلهيات جامعة أنقرة . ■

هل يقتصر دور كلية الإلهيات على القضية التعليمية الأكاديمية فقط أم انها تتجاوز ذلك إلى الدور التربوي والتوعية الدينية ؟

يقول الدكتور كوطشيد عميد كلية الإلهيات بجامعة أنقرة :

ـــ للكلية دور هام في هذا .. في مجال التوعية الإسلامية ، فهناك محاضرات تلقى داخل الكلية وخارجها ـ على مستوى تركيا ـ ينظمها الأساتذة ، ويعلن عنها في أجهزة الإعلام ، وعلى سبيل المثال ، عقدت الكلية قبل سنوات قليلة مؤتمراً حول التعليم الديني ، على مستوى تركيا ، وفي العام الماضي عقدت ندوة عن « **ابن سينا** » واشترك فيها عدد كبير من أساتذة الجامعة ..

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن تدريس المواد يتم في الكلية بهدف أداء أهداف تربوية معينة ، ونحن نعد الطلاب من خلال دراستهم للوصول إلى هذه الأهداف ، فالدراسة ليست جامدة أو بعيدة عن التطبيق الواقعي ..

●● وكنّا قد لاحظنا عند دخولنا الحرم الجامعي أن بعض الطالبات في مبنى الكلية لا يلتزمن اللباس الإسلامي ، ونظراً لأن هؤلاء الطالبات سوف يكنّ قدوة في عملهن بالتدريس بعد تخرجهن ، وأن معرفة الأحكام لا تكفي دون أن تتوفر القدوة السلوكية والقدرة على القيام بدور المربي الذي ينقل التعليم إلى سلوك ، فقد تناولنا في الحوار هذه الملاحظة .. وكان رد العميد :

ـــ هؤلاء الطالبات لَسْنَ من كلية الإلهيات ـ حيث إننا في موسم امتحانات هذه الأيام ، وجميع الطلبة والطالبات ينتقلون بين الكليات على مستوى الجامعة ، ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نقول للفتاة مكشوفة الرأس : استري رأسك ، إننا لا نتدخل في السياسة (!!) ، وهي تقرأ الآية الثالثة من سورة النور وتعرف ما هو الحلال وما هو الحرام ..

■■ أما عن الدور التربوي لكلية الإلهيات باستانبول ، يقول العميد الدكتور صالح طوغ :

ـــ لقد قامت الكلية بتنظيم دورات لتعليم اللغة العربية ، أما في مجال النشاط الخاص بالمحاضرات الاجتماعية والثقافية فإن المستوى أقل مما نرغب فيه

كليّات الإلٰهيّات في تركيا

استطلاع

وذلك بسبب ضيق المكان ، فالقاعات حالياً لا تتسع لهذه النشاطات ، وقد نستطيع أن نمارسها عندما نستكمل مشروع بناء المركز الثقافي للكلية .. غير أن أساتذة الكلية يسهمون بمحاضرات في أجهزة الإعلام ويكتبون مقالات في الصحف والمجلات ، كما يشترك الطلاب في الاحتفالات التي تقام في المواسم الدينية في المساجد ، بتلاوة القرآن الكريم وإلقاء محاضرات الوعظ وقراءة فصول من السيرة النبوية ..

وقد كانت هناك أماكن مخصصة لهذه الأنشطة قبل عدة سنوات في بعض المناطق باستانبول ، ولكن انتهت هذه الأنشطة على إثر بعض الاضطرابات التي شهدتها تركيا ، واليوم تتم الممارسة داخل الجامعة وفي نطاق الكليات وعلى صعيد ضيق وأقل من ذي قبل ..

تبادل الخبرات

●● ... وقد جرى الحوار بعد ذلك حول قضية التنسيق بين كليات الإلٰهيات في تركيا ، ومدى الاستفادة من التجارب المشتركة بينها ـ من ناحية ـ وتجارب كليات الشريعة في العالم الإسلامي والاطلاع على مناهجها ـ من ناحية أخرى ـ وأهمية تخطيط برامج للتبادل الثقافي واستدعاء الأساتذة الزوَّار من المؤسسات التعليمية الإسلامية ، وتبادل الكتب والمؤلفات .

●● **يقول الدكتور طلعت :**

ـ لا يتم استضافة أو استدعاء أساتذة من داخل تركيا ، ولا تجرى عملية تبادل بين الكليات ، أما من خارج تركيا ، فيوجد بيننا أستاذان زائران ، زوّدتنا بهما المملكة العربية السعودية ، ولكن لا يوجد تنسيق كامل بيننا وبين الكليات المماثلة في العالم الإسلامي .

■■ **الا ترون انه من الضروري أن تتم زيارات من أعضاء هيئة التدريس بالكلية إلى كليات الشريعة بالعالم العربي والإسلامي كنوع من التبادل الثقافي ، لتستفيد كل كلية من خبرة الكليات الأخرى ، وتطَّلع على ما وصلت إليه تجربتها ؟**

ـ نعم ، ولكن هذه مسؤولية الحكومات .. وقد قدمنا بعض المقترحات في هذا الشأن ، ولكن لم تسفر عن شيء حتى الآن ، ولعلَّ شيئاً يتحقق في هذا المجال بإذن الله في القريب ..

■■ **هناك سؤال فيما وراء الخطة التعليمية نود أن نطرحه حول مدى الإقبال في تركيا اليوم على الدراسة في كليات الإلٰهيات من الشباب المتخرج في الثانويات ؟**

ـ إن المؤسسة العامة للامتحانات في تركيا هي التي تقوم بتوزيع الطلاب على الكليات ، وهي ترسل إلينا مائتين وخمسين طالباً كل عام .. وهي على علم بالإمكانات المتاحة في الكلية ، ولا يمكن أن نحدد نسبة الشباب الذين يتخرجون في الثانوية ويرغبون في الالتحاق بالكلية ..

●● **ويقول الدكتور صالح :**

ـ نحن على اتصال مع بعض الجامعات في بلاد الإسلام ، حيث يقوم مع جامعة الأزهر اتصال ، سيسفر عن استقدام بعض الأساتذة من هذه الجامعة الإسلامية العريقة في وقت قريب ، كما أن مجموعة من الأساتذة كانت قد جاءت من الأزهر من قبل وألقت عدة محاضرات قيمة ومفيدة .. وهناك أيضاً أساتذة زارونا من المملكة العربية السعودية ومن بعض البلدان الإسلامية الأخرى ... ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه قد سبق أن نظمنا سفر اثني عشر أستاذاً ، وثمانية وثلاثين طالباً كمبعوثين في رحلة جامعية علمية لمدة شهر ، زاروا خلاله جامعات العراق والكويت والسودان والمملكة العربية السعودية : مثل جامعة محمد بن سعود الإسلامية وجامعة أم درمان الإسلامية .. أما عن تبادل الكتب والمؤلفات فنحن نسعى إلى ذلك على الرغم من أن الكتب عندنا باللغة التركية ، ونحن نطلب حتى الآن الكتب العامة فقط ، وقد وصلنا مؤخراً مجلد المجمع العلمي العراقي ..

●● **وتعقيباً على هذه النقطة من الحوار ، أشرنا إلى انه توجد نشرات ومؤلفات ومطبوعات تصدر عن مراكز البحوث التابعة للمؤسسات التعليمية الإسلامية ، وأن كليات الإلٰهيات سوف تكون لها الأفضلية في الحصول عليها بمجرد طلبها رسمياً ، واوضحنا أيضاً ملاحظة حول قضية تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، وهي انه توجد كتب مفيدة وناجحة في المؤسسات التعليمية والثقافية بدمشق والقاهرة وبغداد ، يمكن الاستفادة بها لتطعيم الخطة التعليمية في كليات الإلٰهيات ، الأمر الذي يؤدي ـ بإذن الله ـ إلى وحدة ثقافية وعلمية أكاديمية بين المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي ، تمهيداً لوضع خطة تعليمية وثقافية في إطار التصور العام للفلسفة التربوية الإسلامية ـ توضع بين أيدي المربين والمعلمين ومؤلفي الكتب لمراعاتها في الواقع العملي ...**

دورات حرة لتعليم العربية

وعند هذه المرحلة من الحوار ، لا بد أن نتوقف عند المؤسسة المعاونة « **وقف كلية الإلٰهيات باستانبول** » بالنظر إلى الدور الهام الذي يضطلع به هذا الوقف ، وكان قد تأسس في البداية لحل المشكلات التي يواجهها « **المعهد العالي الإسلامي** » **باستانبول ولا سيما المادية منها ، وقام بتأسيسه عدد من خريجي المعهد وأعضاء هيئة التدريس به في عام ١٩٧٤م .. ثم تابع أعماله في ظل كليات الإلهيات .. وذلك لتحقيق عدة أهداف موضحة في وثيقة تأسيسه على هذا النحو :**

* **صيانة المباني والمنشآت الخاصة بالكلية** والحفاظ عليها وتطويرها ، وإقامة منشآت

● الالهيات أو اللاهوت .. مصطلح خاص بالنصرانية ظهر بديلاً عن العلوم الشرعية عام ١٩٢٤ ولعل هذه التسمية جاءت ترجمة وصدى لأقسام الدراسات الدينية في أوربا بعد تبني تركيا المذهب العلماني ●

جديدة حسب مقتضيات النشاطات التعليمية ، وإقامة مساكن للطلبة ولأعضاء هيئة التدريس وللعاملين بالكلية ، وإعداد وجبات غذائية لهم باسعار رمزية ، وبناء المساجد .

* **تخصيص المنح الدراسية للطلبة ، ودعم اعضاء هيئة التدريس في نشاطاتهم العلمية مادياً ومعنوياً ، ومنح قروض بلا فوائد .**
* **تشجيع ودعم حركة التاليف والتصنيف في مجال الكتب الإسلامية والعلمية والفكرية والادبية ، وإجراء الأبحاث ونشرها ، وتامين الكتب اللازمة والمفيدة باسعار مخفضة وتوزيعها ، وتاسيس مطابع ومكتبات تجارية ، ونشر الكتب والصحف والمجلات التي تتفق مع اهداف الوقف .**

■■ **يقول الدكتور علي أوزك رئيس الوقف :**

ـ لقد أصبح هذا الوقف مؤسسة كبيرة بعد أن أتم تنظيمه وانطلق نحو تنفيذ أهدافه ومشاريعه ، وأهمها بناء مسجد الكلية ، الذي وضعنا حجر الأساس له في عام ١٩٨٠م ، وهو من تصميم المعماري **عمر كراز أوغلو** عضو هيئة التدريس السابق في المعهد الإسلامي ، ويقوم المسجد على مساحة (١٨٠٠) متر مربع ، ويتجلى فيه الطراز المعماري العثماني في نسق حديث يتفق مع متطلبات العصر .. ويحتل المسجد الطابق العلوي من البناء ، وتحته طابق أرضي يشمل قاعتين تتسعان لأربعمائة شخص ، ويضم غرفاً لإدارة الوقف ومكتبة وقاعة مطالعة .. وقد بلغت نفقات المشروع حتى الآن مائة وخمسين مليون ليرة تركية ، ونأمل أن يتم العمل فيه ويفتتح قريباً بإذن الله .. أما عن المشروعات التي يباشرها الوقف حالياً فقد انعقدت مؤخراً دورات لتعليم اللغة العربية ، في إطار كلية الإلهيات وبتمويل من الوقف ، وقد شجعنا على ذلك صدور قرار من الحكومة بتعميم تدريس اللغة العربية ...

... **حصلنا على نص القرار الذي يقول :**

[من أجل تمكين العلاقات بين تركيا والدول الإسلامية في الجوانب الاقتصادية والثقافية ، ولتسهيل هذه العلاقات وتطويرها ، خاصة في مجال التعاون الفني والأعمال العامة والانفتاح على البلاد العربية : فإن الجمهورية التركية بحاجة إلى تعليم اللغة العربية ، وإن رئاسة الدراسات العليا في جامعة مرمرة طلبت ذلك من الدولة ، وردّت الدولة بالموافقة ، ويحقّق هذا الأمر بإقامة دورات تعليم اللغة العربية بالتعاون مع جامعة أنقرة (كلية الإلهيات) .] ..

●● **ويضيف الدكتـــور أوزك :**

... لقد بدأ التعليم فعلاً في مايو [أيار] ١٩٨٣م ، ونحن نطلب من إخواننا المسلمين في البلاد العربية أن يساعدونا في القيام بهذه المهمة لأن تعميم اللغة العربية أمر غاية في الأهمية وفرصة لكي نخدم لغة القرآن الكريم ... وهذه الدورات مفتوحة للجميع ، ينتسب إليها كل من يرغب في تعلم العربية من شيوخ وشباب من مختلف المستويات والمهن من الجنسين ، ويشترك حالياً الطبيب والمهندس والمحامي والتاجر ... وغيرهم .

والمنتسبون إليها ينقسمون إلى مجموعتين : **المجموعة الأولى تدرس أربع دورات ، كل دورة لمدة ثلاثة أشهر ، ثلاثة أيام في الأسبوع وفي كل يوم ثلاث ساعات ، والمجموعة الثانية تدرس في ست دورات ، كل دورة منها ثلاثة أشهر أيضاً ، وفي كل أسبوع يومان ، وفي كل يوم ثلاث ساعات .. ومجموع ساعات الدراسة في كلتا المجموعتين (٤٦٨) ساعة .. وعدد الدارسين في الدورة الحالية (١٤٥) دارساً .**

أنشطـــة متصلــــة

■■ **هل تم اعتماد بعض الكتب الخاصة بتعليم العربية لغير الناطقين بها ، التي تتوفر فيها الشروط اللازمة لهذا النوع من الدراسة ؟**

ـ لقد قمت برحلة لهذا الغرض قبل فترة قصيرة ، زرت خلالها العراق والعربية السعودية والكويت ومصر ، وجمعت بعض الكتب المؤلفة لهذا الغرض ، ويقوم أساتذة الدورات حالياً باستخراج المواد اللازمة منها ووضعها في المنهج المناسب ..

●● **ويضيف الدكتـــور أوزك :**

... إن هذا النشاط يتصل بمجال آخر من نشاطات الوقف وهو مجال النشر ، وقد بدأ هذا العام بإقامة ثلاث وحدات في الدور الأول من مشروع مسجد الكلية ، وحدة بيع الكتب ، التي تقوم بتوفير الكتب الدراسية التي يوصي بها المدرسون في الكلية وكذا كتب الثقافة الإسلامية ، وتباع للطلبة بخصم كبير يصل إلى ٣٥٪ ، كما تباع بالتقسيط لتسهيل فرص اقتنائها .. والوحدة الثانية هي : مكتب تصوير الوثائق الذي أصبح من أهم وسائل التربية الحديثة ، حيث يساعد الطلاب في الحصول على المعلومات التي يحتاجونها بأسهل الطرق وأسرعها ، وقد تم إخراج (٢٥٠) ألف نسخة خلال هذا العام ، والوحدة الثالثة خاصة بنشر الكتب ، وقد تم نشر كتابين من الكتب المقررة للتعليم خلال العام الحالي ، ويعمل الوقف لتطوير نشاطه في هذا المجال بنشر الكتب القيمة وعرضها للاستفادة منها ..

■■ **وماذا عن مشروع المركز الثقافي الإسلامي ، الذي جاء ذكره خلال حوارنا مع عميد الكلية ؟**

ـ منذ سنة تقريباً ، يعمل الوقف لإعداد مشروع يهدف إلى إقامة مركز ثقافي إسلامي ، وتجري المحاولات حالياً لامتلاك بعض الأراضي المجاورة للكلية لهذا الغرض .. وقد تم وضع الرسومات الهندسية للمشروع بحيث يتألف من ثلاثة أبنية رئيسة وملحق لها :

* **الأول** : **سيكون عبارة عن مكتبة تضم (٤٠٠) الف مجلد من مختلف الكتب ويشمل قاعات للمطالعة وأخرى للبحوث والدراسات الفردية والجماعية ، مجهزة بالآلات الكاتبة والناسخة والتصويرية ومعامل للتصوير ولطبع الأفلام ..**
* **الثاني** : **يضم قاعة مؤتمرات تتسع لألف وخمسمائة شخص ..**
* **الثالث** : **لإدارة المركز ويضم أيضاً مختبراً للغات وقاعات للاستقبال .**
* **أما المبنى الرابع فيصل بين الوحدات الثلاث ويشمل قاعات لعرض الفنون والآثار الإسلامية ..**

وبعـــد .. فلعلَّ ما هو مطلوب اليوم : أن يتم التعاون بين المسلمين على إيجاد معادلة عملية مرنة لتنسيق جهود هذه المؤسسات وغيرها .. بحيث تأتي مخططاتها وممارساتها العملية مستمدة من القيم الإسلامية .. وفي إطار الفكر الإسلامي السليم ..

نشيد عسكري إسلامي

●● انفعالات أثارها في نفسي نشيد تركي قديم سمعت موسيقاه العسكرية فهاجت عاطفتي على الرَّغم من أني لم أفهم من كلماته سوى « الله أكبر » وسوى « دايم مظفر » .

فتخيلت الجيش الإسلامي العظيم يجاهد في سبيل الله فيعود غانماً مظفراً ليشكر ربه على نعمه وليفخر بأنَّه ما قاتل إلّا لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السُّفلى .

وهنا تمنيْتُ - وليس ذلك على الله بعزيز - أن يعود إلى الأمة الإسلامية جيشها المظفر ، وأن تجد نفسها في القمة بعد ضياع …

ولِمَ لا ؟! أليس في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف : ٨٧) تباشير أمل حلو ورجاء منه عز وجلّ أن يهيىء للمسلمين أسباب الألفة وأن يردّهم إلى شرعه رداً جميلاً ؟ فخطر في بالي أن أضع كلمات بلغة القرآن الكريم على غرار موسيقى ذلك النشيد التركي العسكريّ ، مستوحياً من موسيقاه المثيرة الرائعة مشاعر الجهاد وأحاسيس الإيمان بالنصر . ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ . ●●

يَـا مُسْلِمـونـا هَيَّـا لِنَنْفِرْ يُـعْلي لِـوانـا زَيْدُ وَجَـعْفَرْ
القُدْسُ تَبْكي الأقْصىٰ تَـدَمَّـرْ والنَّاسُ صَاحَتْ اللَّـهُ أكْبَـرْ
اللَّـهُ أكْبَـرْ اللَّـهُ أكْبَـرْ
يَـا مُسْلِمـونـا اللَّـهُ أكْبَـرْ

يَـا مُسْلِمـونـا حَتَّـامَ نَصْبِرْ ؟ إنْ نَحْنُ سِرْنـا فَـالأرْضُ تَخْضَرْ
وَالكَـوْنُ فينـا يَـزْهو وَيَفْخَـرْ صيحـوا جَميعاً اللَّـهُ أكْبَـرْ
اللَّـهُ أكْبَـرْ اللَّـهُ أكْبَـرْ
يَـا مُسْلِمـونـا اللَّـهُ أكْبَـرْ

اللَّيْلُ وَلَّـىٰ وَالصُّبْحُ أَسْفَرْ سِيـروا بِجُنْدٍ كـالأسْدِ تَـزْأَرْ
لَيْسـوا بِنُكْسٍ لَيْسـوا بِخُـوَّرْ الكُـلُّ يَـدْعـو اللَّـهُ أكْبَـرْ
اللَّـهُ أكْبَـرْ اللَّـهُ أكْبَـرْ
يَـا مُسْلِمـونـا اللَّـهُ أكْبَـرْ

يَا صاحِ جاهِدْ في اللَّـهِ تُؤْجَـرْ طَـهِّـرْ بِلادي مِنْ كُـلِّ مُنْكَـرْ
وَاجْعَـلْ سَوادي في الحَرْبِ أَحْمَرْ وَاصْـرِخْ بِعُنْفٍ اللَّـهُ أكْبَـرْ
اللَّـهُ أكْبَـرْ اللَّـهُ أكْبَـرْ
يَـا مُسْلِمـونـا اللَّـهُ أكْبَـرْ

يَـا رَبِّ صُنَّـا مِنْ كُلِّ ذي شَرّ أَسْبِـغْ عَلَيْنـا نَصْـراً مُـؤَزَّرْ
يَـا قَـوْمِ إنَّـا بِـاللَّـهِ نُنْصَـرْ عُـودوا إلَيْـهِ فَـاللَّـهُ أكْبَـرْ
اللَّـهُ أكْبَـرْ اللَّـهُ أكْبَـرْ
يَـا مُسْلِمـونـا اللَّـهُ أكْبَـرْ

شعر : مصطفى حيدر زيد الكيلاني

البناء العلمي والمواجهة الثقافية

■■ لم تكن المواجهة بين الجزائر وفرنسا منذ الاحتلال في عام ١٨٣٠م ، صراعاً أو نزاعاً حول أرض يعتقد الفرنسيون أنها جزء من امبراطوريتهم اقتطعها العرب إبان الفتوحات الإسلامية ـ فقط ـ وإنما هي مواجهة شاملة وعلى أكثر من مستوى ؛ بين مستعمِر يسخّر أدواته كلها لمحاربة الإسلام والقضاء على لغة القرآن ، وتشويه التاريخ وإخضاعه كما أخضعت الأرض ؛ وبين مستعمَر يقف بصلابة يدافع عن هويته العربية الإسلامية ، ويدافع عن الإسلام عقيدة والعربية لغة ؛ ويرفض الذوبان والتخلي عن تقاليده الوطنية .

ولم تكن المواجهة العسكرية التي سقط فيها أكثر من مليون شهيد العامل الوحيد الذي اعتمده الشعب الجزائري ؛ ذلك أن طبيعة المواجهة كانت تقتضي أن يكون العامل الثقافي أكثر العوامل حسماً وتأثيراً ، وأن يكون الإسلام الدافع والمحرك لتلك المواجهات العسكرية .. وكانت كتاتيب القرآن ومعاهد التعليم الإسلامي ، في المساجد والزوايا ، تمثل المحاضن الخصبة لرعاية الوعي وتنامي الصمود الثقافي والثغور الصلدة التي تقف عليها وتنطلق منها كتائب الجهاد وقوافل الشهداء .

ولا شك أن المواجهة بين الجزائر التي كانت تقف على خط الدفاع الأوَّل بالنسبة للعالم الإسلامي أمام الاستعمار الحديث ، وبين فرنسا على الجبهة الثقافية كانت من أشرس المواجهات ، حتى ليمكن القول : إن الصراع في جملته صراع ديني ثقافي حضاري ..

ورغم الحصار الذي فرضه المستعمر على معاهد التعليم الإسلامي وكتاتيب القرآن ، إلَّا أنها لم تتوقف يوماً عن أداء رسالتها ولم تنقطع أبداً عن مواصلة عطائها الحضاري .. والأمل معقود الآن في الجزائر وخارجها أن تكون « جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية » بقسنطينة ، والتي بدأت الدراسة بها في المحرم ١٤٠٥هـ ، امتداداً تاريخياً وعلمياً ونفسياً لتلك الكتاتيب والمعاهد وأن توفق لتقديم وتخريج قيادات علمية وفكرية قادرة على العطاء والإبداع ، وحمل أمانة السلف ومواصلة مسيرة الجهاد ، والوفاء للمعاني والقيم التي قدمت من أجلها الجزائر الشقيقة المليون شهيد .. لقد دفعت الجزائر الثمن غالياً للحفاظ على إسلامها وعربيتها ، ولسوف يكون من المستحيل إخراجها عمّا آمنت به وقدمت له كل هذه التضحيات ■■

في حوار مع :

مدير جامعة الأمير عبد القادر الإسلاميَّة

أول جامعة إسلامية

وإدراكاً من « **الأمة** » لأهمية هذه الجامعة التي تعتبر أوَّل جامعة إسلامية في الجزائر ، ولخطورة الرسالة المناطة بها ، ليس على مستوى الجزائر فحسب وإنما على مستوى البلاد الأفريقية المجاورة ـ نلتقي بالدكتور **عمَّار طالبي** مدير الجامعة في حوار جديد نستكمل به ما سبق ونشرناه بالعدد التاسع والأربعين [المحرم ١٤٠٥هـ] ..

أربع كليات

●● يقول الدكتور **عمَّار** في مستهل الحوار :

ـ تتكون جامعة « **الأمير عبد القادر الإسلامية** » من أربع كليات رئيسة هي : كلية أصول الدين ، وكلية الشريعة ، وكلية اللغة العربية والحضارة الإسلامية ، وكلية علوم القرآن وعلوم الحديث .

وقد أفردنا لعلوم القرآن وعلوم الحديث كلية قائمة بذاتها ، بالرغم من أن هذه الدراسات تقع في إطار كلية أصول الدين في جامعات أخرىٰ ، وذلك إدراكاً منَّا لأهمية هذه العلوم ، ولإهمال المسلمين لها أيضاً ولعدم وجود متخصصين يمكن أن يغطوا حاجة العالم الإسلامي خاصة في مجال علم الحديث الذي لا نغفل أهميته في حياتنا الاجتماعية والثقافية اليومية ..

ويبدأ الطالب دراسته بإحدىٰ هذه الكليات بعد أن يجتاز السنة الأولى التي جعلناها سنة مشتركة لجميع الطلاب يتلقون فيها المواد الأساسية التي تؤهلهم لدراسة العلوم الإسلامية واستيعابها ..

وقد يكون من المفيد هنا أن نشير إلى « الشعبة الإسلامية » التي أنشئت مؤخراً بالمدارس الثانوية إلى جانب « **الشعبة العلمية** » و « **الشعبة الأدبية** » ، وهي عبارة عن شعبة علمية مضافاً إليها بعض المواد

البناء العلمي والمواجهة الثقافية

في حوار مع: مدير جامعة الأمير عبد القادر الإسلاميّة

الإسلامية بحيث يكون الطالب بعد إكماله المرحلة الثانوية وحصوله على الشهادة الثانوية « **البكالوريا** » مخيراً بين الالتحاق بالكليات العلمية بالجامعات الجزائرية أو أن يواصل دراساته الإسلامية « **بجامعة الأمير عبد القادر** » . وقد لوحظ أن « **الشعبة الإسلامية** » تجد قبولاً كبيراً لدى الطلاب ؛ وذلك بالرغم من أنها تتطلب جهداً إضافياً ينصرف لدراسة المواد الإسلامية ..

السويَّة المطلوبة

●● **هل تعتقد أن الجامعة بذلك يمكن أن تضمن سويَّة معينة من الطلاب المتفوقين لا يبلغها الطلاب العاجزون ؟**

ــ العاجزون لا يستطيعون السير مع هذه الجامعة .. فطلابها يبذلون جهداً كبيراً ليكونوا من الناجحين ؛ ذلك أنَّ الرسوب في أيّ سنة دراسية يعني انقطاع الصلة بين الطالب والجامعة ..

ولمزيد من ضمان الحصول على الطلبة المتفوقين ، لا نكتفي بمجرد حصول الطالب على الشهادة الثانوية « **البكالوريا** » بل يضاف إلى ذلك اختبار لدخول الجامعة نقيس من خلاله مدى استعداد الطالب لمتابعة هذا النوع من الدراسة الإسلامية .. وفي العام الماضي تقدم لنا خمسمائة طالب استوعبنا منهم ثلاثمائة فقط ، بينهم خمس وستون طالبة خضعن للشروط نفسها التي خضع لها الطلاب .. كما استوعبنا أيضاً مجموعة من الطلاب الأفارقة ..

الاهتمام بالطلاب الأفارقة

●● **لا شك أن تبني الجامعة لدورها في القارة الأفريقية والاهتمام بالطلبة الأفارقة يعني انها تنوي القيام بدور عظيم جداً .. فقبول هؤلاء الطلاب وتاهيلهم علمياً من الناحية الشرعية السليمة لينطلقوا من بعد إلى بلادهم ، يخدم قضية اللغة العربية وقضية العلوم الشرعية على شكل صحيح سليم في افريقيا ، في وقت هي احوج ما تكون إلى ذلك .**

ــ هذا ما نعمل له .. وقد وجهني السيد وزير التعليم العالي بتشجيع من السيد رئيس الجمهورية أن نهتم بكل طلب التحاق يقدم لنا من الطلاب الأفارقة .. ولذلك ، فكل الطلبة الذين بعثوا لنا بطلبات التحاق في العام المنصرم استجبنا لهم وقبلناهم بالجامعة باستثناء بعض من وصلنا طلبه متأخراً .. وتعطي الجامعة الطالب منحة تضمن له بها المسكن والمأكل ..

الفقيه العالم

●● **ما هي الملامح العامة للمنهاج الدراسي والمعالم الأساسية للبناء التعليمي والثقافي في مناهج الجامعة ؟**

ــ بعد أن اكتملت السنة الدراسية الأولى من عمر الجامعة وهي السنة التحضيرية ، فإن العام الدراسي المقبل سيشهد بداية الدراسة بكليتي الشريعة وأصول الدين ، وتمتد الدراسة فيهما إلى ثلاث سنوات .. وقد أعددنا منهجاً أردنا منه أن يكون الطالب عند تخرجه مسلماً عالماً يفقه عصره ويعرف الوقائع والظواهر والعلاقات بين الناس حتى يمكنه الاجتهاد فيما يعرض عليه عن معرفة وفهم وإدراك ..

وبطبيعة الحال فإن أغلب مواد المنهج ، إسلامية تتوزع بين التفسير ، والحديث ، والفقه ، وأصول الفقه ، والسيرة النبوية ، والحضارة الإسلامية وغيرها .. ولكن هناك مواد أخرى رأينا أن إدخالها في المنهج يجعل الطالب على معرفة ببعض أساسيات الثقافة المعاصرة ، ففي مجال العلوم الاجتماعية ادخلنا بعض المواد مثل : علم النفس والتربية والاقتصاد ... وكذلك مدخل العلوم القانونية الوضعي ؛ ليعرف الطالب الأسس التي بني عليها القانون الوضعي وليدرك القيمة القانونية للفقه الإسلامي ..

يضاف إلى ذلك بعض المواد العلمية ، مثل : علم الأحياء ، فمعرفة الخلية أمر مهم جداً لمن يتحدث عن مخلوقات الله في إطار تفسيره للقرآن .. وهناك مادة الفيزياء التي أردنا منها أن يكون الطالب مطَّلعاً على القوانين والسنن الأساسية التي يتحرك بموجبها الكون .. وإلى جانب مادة الفيزياء يتضمن المنهج برامج عن علم الفلك من خلال القرآن الكريم الذي تحدث كثيراً عن السمٰوات والنجوم والكواكب والشمس والقمر وغير ذلك ...

●● **وماذا عن اللغات ؟**

ــ اللغة العربية هي لغة التدريس بالجامعة .. يضاف إلى ذلك أنها تدرس كمادة على مدى السنوات الأربع وبمعدل ثلاث ساعات اسبوعياً .. ويصل هذا المعدل في السنة الأولى إلى أربع ساعات .. كما تدرس اللغة الإنجليزية كلغة ثانية ، وهي اللغة التي يدرسها الطلاب في المرحلة الثانوية .. وربما يدرسون غيرها كالألمانية والإسبانية .. ونحن نخيِّر الطالب الذي يلتحق بالجامعة بين أن يواصل معنا دراسة اللغة الإنجليزية وبين أن يتابع دراسة الألمانية أو الإسبانية في جامعة أخرىٰ فيها أقسام لهذه اللغة ، هذا إن لم يكن يرغب في مواصلة دراسة الإنجليزية ..

وحرصنا على دراسة الطالب للّغات الأجنبية ينبع من حاجتنا لوجود مسلمين جادين يجيدون تلك اللغات ؛ خاصة وأنَّ هناك دراسات إسلامية عديدة أعدها مستشرقون باللغات الإنجليزية والألمانية والإسبانية ، وهي تشكل مصادر الدراسات عن الإسلام بالنسبة للغرب ، ونحن نريد أن يكون العالم المسلم على اطِّلاع عليها وقدرة على نقدها ..

ويحدونا أمل كبير أن نتمكن من تدريس بعض اللغات الأفريقية كالهَوْسَا والسواحلية ، مساهمة منَّا في نشر الإسلام في أفريقيا بلغات أهلها .

الثقافة الإسلامية

●● **فيما وراء العلوم الأصلية ، هل تدرس الجامعة بعض المواد التي يمكن تصنيفها في إطار ما يعرف بالثقافة الإسلامية ؟**

■ كانت ثورة الجزائر جهاداً من أجل المبادىء والقيم الإسلامية .. والشعب يدرك أنها لو قامت على غير ذلك لفشلت .. ■

– يتضمن المنهج دراسة الفكر الإسلامي المعاصر بجميع جوانبه ، الاجتماعية والأخلاقية والأصولية و السياسية وبعض المحاولات الاقتصادية والتربوية والجوانب الهامة التي تناولها المصلحون المسلمون في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ..

هذا إلى جانب دراسة المذاهب الفلسفية والعلمية والاجتماعية والسياسية المعاصرة .. وهذه ندرسها دراسة نقدية ومن وجهة نظر إسلامية ..

هيئـة التدريس

●● لا شك أنَّ الجامعة إذا بدات قوية واحسنت اختيار هيئتها التدريسية ومجلسها العلمي فستستمر قوية وتتمكن من اداء رسالتها ، ودور المدرس في ذلك اساسي .: فهل استطاعت « جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية » ان تتعاقد مع مدرسين مؤهلين للقيام باداء رسالتها ؟

– تلك اكبر مشكلة تواجهنا .. ذلك أن الجامعة تقوم على أساس جوهري هو المعلم ، فليست العبرة بوجود المباني والطلاب وإنما بمن يقوم بعبء التوجيه والتصويب والتسديد ..

ولقد بذلنا قصارىٰ جهدنا للحصول على أساتذة من ذوي الخبرة والكفاءة .. ونحمد الله كثيراً على أن يكون الشيخ **محمد الغزالي** بما له من تجربة وخبرات سابقة هو الذي يرأس المجلس العلمي للجامعة ، وفي مقدمة من يقومون بجهود كبيرة في توجيه الطلبة إلى جوهر الإسلام ..

وتعاقدنا كذلك مع أساتذة آخرين من بعض الجامعات العربية ، ونأمل أن نوفق لاختيار الفئة المؤهلة لهذا النوع من الدراسات الإسلامية ..

وقد استطعنا أن نوفر للأساتذة شروط خدمة لا نقول بأنها كافية ، ولكن على الأقل مناسبة .. وهي تعادل شروط الخدمة المعمول بها في جامعات الخليج العربي ، وذلك ما تمتاز به جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية على الجامعات الجزائرية الأخرىٰ ..

وفي اعتقادي أن الحل الجذري للحصول على أساتذة كما نتصور لا يكون إلَّا بتكوين أساتذة في الدراسات العليا بحيث نتولى عبء توفير الأساتذة الأكفياء الذين يقومون بواجب الإشراف والتوجيه ..

أساتـذة المستقبـل

●● قد تقتضي الخطة في المستقبل استيعاب بعض الخريجين كمعيدين ، وإيفادهم إلى جامعات العالم الإسلامي او إلى جامعات في الجزائر إن امكن ذلك ، ليكونوا اساتذة في المستقبل ، فكما يُفكَّر بالمباني وبالطلبة وامتدادهم ، لا بد وان يُفكَّر ايضاً بإيجاد مدرسين للجامعة من ابناء الوطن الجزائري نفسه .. وهذا ما يحقق للجامعة الاستقرار العلمي والخطة الثابتة والأداء المستمر ..

– هذه مسألة مهمة جداً .. خاصة وأن الأساتذة في الجامعات العربية قوم رُحَّل .. لا يقر لهم قرار .. كل يوم في جامعة .. وربما يُفرض على أحدهم تدريس مادة لا تدخل في نطاق تخصصه فيضطر إلى البحث فيها كما يبحث الطالب .. بينما الأستاذ في الجامعات الغربية يمتاز بالاستقرار ، ومن ثَمَّ القدرة على البحث العلمي والمتابعة والعطاء ..

ولكي نواجه ظاهرة الترحل المنتشرة بين الجامعات العربية ، لا بد من تكوين أساتذة لهم صفة الاستقرار .. ولدينا الآن بعض طلاب الدراسات العليا بالمعهد العالي للعلوم الإسلامية نفكر في ابتعاث المتفوقين منهم إلى جامعات أخرىٰ لاستكمال بحوثهم للحصول على شهادة الدكتوراه ..

وسنهتم بالأمر في السنوات القادمة إن شاء الله حين تبدأ الجامعة بتخريج طلابها ..

الأساتـذة الزائـرون

●● هل فكرتم باستدراك بعض النقص مستقبلاً بالتعاقد مع بعض الأساتذة الزائرين من بعض جامعات العالم الإسلامي .. فإن لم يكن بالإمكان الاستفادة منهم بشكل كامل فلا تفوت الفائدة منهم في مواسم تعليمية تدريسية ، سواء اكان الاستقدام بتعويض مادي من الجزائر نفسها ، ام كان على حساب الجامعات كمساعدة للجامعة الناشئة ؟

– لا شك أن الأساتذة الزائرين يفيدون الطلبة كثيراً ويضيفون إليهم الجديد .. ولدينا قائمة بالأساتذة الذين يزوروننا هذا العام لتدارك بعض النقص ، ونأمل أن نوفق لإعداد برنامج سنوي بالزيارات ..

نـواة المكتبـة

●● هل تحتوي الجامعة على مكتبة تضم المراجع والكتب التي يتطلبها المنهج ؟

– تعتبر المكتبة أداة العمل الأساسية في الجامعة ، وتشكل إلى جانب الأستاذ والطالب الدعامة الرئيسة التي يقوم عليها الكيان الجامعي .. وقد وضعنا نواة لمكتبة تضم المراجع الأساسية في العلوم الإسلامية وبعض المخطوطات ؛ خاصة ما يأتينا على سبيل الإهداء من بعض العلماء الشيوخ الذين يُوصون بذلك .. وقد أُهديت إلى الجامعة مكتبتان تضمان مجموعة قيمة من المخطوطات والكتب ..

وهذا لا يكفي .. ونحن نتطلع لأن تكون لنا مكتبة شاملة تضم جميع المراجع والدراسات ذات الصلة بالإسلام وبمختلف اللغات .. وتضم كذلك كل ما كتب عن الإسلام في الغرب ، لنأخذ منه ما يمكن أخذه وننقد ما يتعارض مع الحقيقة ..

البناء العلمي والمواجهة الثقافية

في حـوار مـع :
مدير جامعة الأمير عبد القادر الإسلاميَّة

الارتبـــاط بالمجتمع

●● لا شك أنَّ جامعة « الامير عبد القادر الإسلامية » ينبغي ان تكون متميزة وذات فـاعلية وارتباط أكثر بـالمجتمع من الجامعات الأخرى .. هـل في برنـامج الجـامعـة الاتصال والارتباط والقيام بـانشطة في المجتمع الجزائري بشكل عام ومجتمع قسنطينة بشكل خاص ، ليكون المجتمع مركزاً ميـدانيـاً للتدريب في قضايا الـدعـوة ومخالطة الناس والتعرف على مشكلاتهم وتعريفهم على الإسلام بشكل علمي صحيح ؟

— إن الجامعة التي لا تقوم بأداء دور في المجتمع لهي جامعة فاشلة .. وبالرغم من أن جامعتنا لا تزال في مرحلة البناء إلَّا أننا نقوم بجهود متواضعة في إطار المجتمع حيث نكلف الأساتذة في مناسبات معينة بإلقاء محاضرات عامة في قسنطينة وخارجها .. وفي يوم الجمعة يسـاهم الأسـاتـذة أيضاً بـإلقاء دروس في المساجد .. وهناك بعض البرامج التي نشترك في تنفيذها مع إخوة آخرين في الولايات المختلفة .

وللطـلاب نشاطهم أيضـاً ، خـاصـة في المناسبات الدينية .. وفي الاحتفـال الآخير بذكرىٰ مولد النبي عليه الصلاة والسلام قام الطلاب بنشاط رياضي وثقافي مفتوح وقدموا عروضاً مسرحية حظيت بالقبول لدى الجمهور .

والآن نعد العدَّة لإقامة معـرض للكتاب الإسلامي ولوثائق علماء الجزائر خلال حرب التحرير وما قبلها ، وذلك بالتعاون مع مركز الوثائق بولاية قسنطينة .. تلك بدايات نرجوا الله ان يوفقنا لتوسيعها ..

■ جامع كتشاوة : (أبرز صور المواجهة الثقافية) :
وضع عليه الكونت « دوبورمون » القائد العام لجيش الاحتلال الصليبَ (سنة ١٨٣٠م) إيذاناً بتحويله إلى كاتدرائية ، في الوقت نفسه الذي رفع فيه العلم الفرنسي على دار الحكومة في العاصمة .. ■

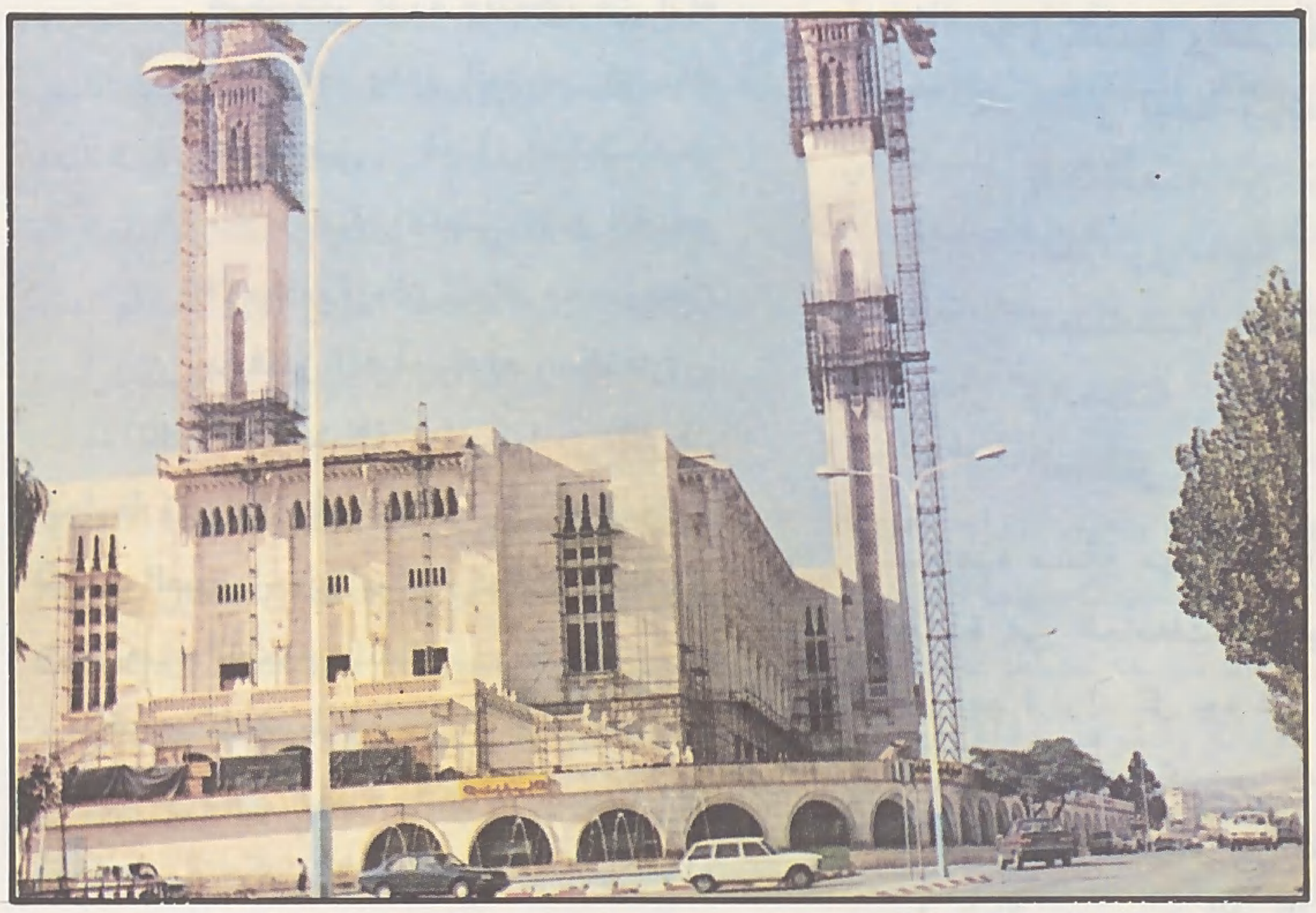

■ مباني « جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية » : الأمل المعقود ■

■ الشيـخ محمد الغـزالي
رئيس المجلس العلمي :
اجتمـاع الخبـرة والكفـاءة لتصـويب المسار العلمي للجامعة . ■

■ الدكتور عمار طالبي :
ليست العبرة بوجود المباني والطلاب .. وإنما بمن يقوم بعبء التوجيه والتصويب والتنبيه . ■

الدكتور عمَّار جمعي طالبي

- من مواليد عام ١٩٣٤م بمنطقة الاوراس في الجزائر .
- تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بالجزائر ، ثم استكمله في جامع الزيتونة بتونس ؛ حيث حصل على ما يسمى بشهادة التحصيل .. وكان ذلك إبان الثورة .
- بعد تكوين الحكومة الوطنية للثورة ابتعث إلى مصر فالتحق بكلية الآداب ، جامعة القاهرة وفيها حصل على شهادة الليسانس في الفلسفة .
- عاد إلى الجزائر بعد نيلها الاستقلال فعمل بمدرسة تكوين الأساتذة ، ثم اختير معيداً بجامعة الجزائر
- حصل على شهادة الماجستير من جامعة الإسكندرية ، وكذلك شهادة الدكتوراه .
- تولى رئاسة قسم الفلسفة بجامعة الجزائر .. ثم عمل استاذاً مساعداً فاستاذاً .
- يعمل الآن مديراً لمعهد العلوم الإسلامية التابع لجامعة الجزائر ، ومديراً لجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة .
- له مؤلفات عديدة وكتب محققة ، ومن اشهر الكتب التي حققها كتاب « العواصم من القواصم » ، للقاضي ابي بكر بن العربي ، في مجلدين ، نشر دار الغرب الإسلامي ..

مشكلات خارج الأسوار

●● لا شك أن المستعمر الفرنسي ترك رواسب بعد هذه السنوات الطويلة من الاستعمار ومحاولات تذويب المجتمع الجزائري .. فهل تجد الجامعة صعوبات في المواجهة الثقافية خارج أسوارها ؟

ـــ اهتمت الدولة ممثلة في رئيسها ، بهذه الجامعة .. والشعب بطبيعته الإسلامية وانتمائه الإسلامي ، وجهاده من أجل الإسلام ، اعتبر الجامعة من مكاسبه وأنها من الإنجازات الهامة في هذا العصر ويعقد عليها آمالاً كباراً .. ولكن ذلك لا ينفي وجود أناس لا يرضيهم تأسيسها ووجودها ، ولو استطاعوا وضع صعوبات في طريقها لفعلوا .. ولكن نحن لا نعتبر هذه الفئة تنتمي إلى المجتمع الجزائري المسلم ولا تمثل هذا المجتمع الذي يرتبط بكل ما يخدم الإسلام في هذه البلاد ويشجعه ويدعمه ، بل إن ثورته كانت جهاداً من أجل المبادىء والقيم الإسلامية ، وهو يدرك أنها لو قامت على غير ذلك لفشلت .. ولكن بما أنها قامت على فكرة الجهاد ، نجحت بحمد الله .. ونرجوا أن يؤتي هذا النجاح ثماره في العودة إلى الإسلام الحقيقي في أصوله .. وتلك هي مهمة الجامعة .

كلمة أخيرة

●● وفي كلمة أخيرة يلخص الدكتور عمَّار طالبي مشكلات التعليم الجامعي على مستوى العالم الإسلامي ويطرح من خلال ذلك ما يراه حلولاً مناسبة ، فيقول :

ـــ تعاني الجامعات الإسلامية كلها نقصاً في الأساتذة والباحثين ، وتلك مصيبة كبيرة أن تفقد الأمة الإسلامية بعض خصائصها الأولى .. وخسارة أكبر حين نفقد أشياء ضرورية تتعلق بحياتنا الخاصة كمسلمين وهي الدراسات الإسلامية .. وبالطبع لا يمكننا أن نتوقع أن يأتي غيرنا ليعلمنا ما هو خاصّ بنا .. ولذلك أرجو أن يهتم المسؤولون في الجامعات الإسلامية بالدراسات العليا وتوفير المراجع والأساتذة المشرفين وكل الإمكانات المادية والمعنوية اللازمة لإعداد أساتذة علماء ذوي رسالة ، يستشعرون واجبهم تجاه أمتهم ، ويجتهدون في قضايا العصر عن معرفة ، ولا يحصرون أنفسهم في قراءة الكتب وإنما يتجاوزون ذلك إلى قراءة المجتمع الإسلامي بمختلف مظاهره .. فنحن إلى الآن لم نهتم بعد بالدراسات في المجال الاجتماعي والمجال النفسي بما هو واقع في مجتمعاتنا ، وإنما اكتفينا بدراسات الغربيين وبما كتبوه عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ونقلناه بحروف عربية .

إنَّ استخلاص نتائج أبحاث الغربيين وتطبيقها على المجتمعات الإسلامية لهو من أكبر الأخطاء التي نرتكبها .. إن النظريات الاجتماعية والنفسية الغربية نظريات نبتت في مجتمعات تختلف عن مجتمعاتنا ..

نحن مطالبون بأن نعرف حقيقة أنفسنا وأن نرىٰ أنفسنا ، بمنظارنا لا بمناظير غيرنا .. ولكن هذا لا يعني ألَّا نهتم بمعرفة غيرنا في هذا العصر الذي تقارب فيه الزمان والمكان .. وتلك أساسيات لا بد من أخذها بعين الاعتبار ونحن نقوم بأيِّ عمل على مستوى عالمي وإلَّا كان عملنا مخطئاً لا يؤدي إلى نتيجة ..

ولذلك فأنا أحرص على توجيه طلابي لأن يدرسوا في مجال الدراسات الاجتماعية والنفسية الوقائع التي نعيشها والتي تقوم على خصائصنا النفسية والاجتماعية وضميرنا الذي تكوَّن عبر التاريخ ..

ولست مع من يقول بأن مشكلتنا مشكلة إمكانات .. الإمكانات لا تنقصنا ولكن ينقصنا توجيه هذه الإمكانات وحسن التصرف فيها ..

وهو شرط لا بد من الأخذ به لكي نحقق ونوفر للجامعات الإسلامية وسائلها الأساسية وهي الأساتذة الباحثون الذين يمثلون جوهر التعليم الجامعي ..

الالتزام بالواقعية

■■ إن الواقعية من أهم خصائص الإسلام عقيدة وفكراً وشريعة ؛ ولعلَّ هذه الواقعية هي التي مكّنت الشريعة الإسلامية من الخلود ومن صلاحيتها للتطبيق في كل زمان ومكان ، ومن استقطاب أعداد غفيرة من الناس في كل عصر ومصر .. ذلك أن كل حركة تبغي التغيير والسير نحو الأفضل لا تحترم هذه الخاصية - الواقعية - في برامجها وأعمالها ، هي حركة محكوم عليها بالفشل مهما جنَّدت من إمكانات وطاقات .. ■■

بقلم : محمد الصالح عزيز

وغيّبت هذه الحقيقة عن أعمال بعض الجماعات الإسلامية قديماً وحديثاً ، فحلّقت بأبنائها في أجواء من المثالية عالية ، ووعدتهم بمدن خيالية لا ظلم فيها ولا كراهية ولا خطايا ؛ حتى إذا ارتطموا بالواقع وما يزخر به من متناقضات كانت الصدمة قويّة ، فكان التّكفير ، وكان الهروب من مواجهة المجتمع ، والاكتفاء بمعالجة قضاياه على الورق ، وكانت عند بعضهم الآخر الردّة والياس من نجاح الإسلام جملة في قيادة المجتمع الحالي ، فارتموا في احضان فلسفات اخرى يرون انها اقدر من الإسلام على الإمساك بزمام الأمور والسير بهم نحو الأفضل ..

في الجملة ، عجزت هذه الجماعات عن أن تربي أبناءها تربية متكاملة ليرتفعوا بواقعهم على ما هو عليه من خير وشرّ إلى أفق أعلى ، لكنه يبقى دائماً افقاً بشرياً تقع فيه الخطيئة ، ويتصارع فيه الخير والشر .

وتبدو الواقعية ، او الالتزام بالواقع ، اكثر ضرورة في الأمور التشريعية لأنها ألصق بحياة الناس اليومية ، وأي تجاهل لهذه الحقيقة إنَّما يتسبب في عزل الإسلام عن دنيا الناس لتحل محله الأنظمة العلمانية بأصنافها ..

ولو تدبرنا الفترة التي كان يتنزل فيها الوحي على رسول الله ﷺ لرأينا صفة الواقعية تلازم الحالات كلها التي عالجها الوحي ليُخْرِج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام ، ولعرفنا أن الإسلام لا يُبْنَى على فراغ ، إنما ينطلق من الواقع بمتناقضاته ليغيره نحو الأفضل في يسر وسماحة . فقد كان الوحي ينزل منجماً على رسول الله ﷺ على امتداد ثلاثة وعشرين عاماً ، ليراعي هذه الخاصية في ارتفاعه بعرب الجزيرة من درك الجاهلية إلى نور الإسلام .. كان بإمكانه سبحانه وتعالى ان ينزِّل القرآن بأحكامه وتشريعاته وتصوراته دفعة واحدة ، لكنه يعلم ان ذلك أمرٌ فوق طاقة البشر .. إنه لا بدَّ - للارتفاع بهم نحو الأفضل - أن يتدرج بهم شيئاً فشيئاً ليكونوا في مستوى الرسالة ، ولا بدّ لكي تجد تشريعات الرّجم وقطع اليد والجلد طريقها في المجتمع الإسلامي ، أن تسبقها الإجراءات اللازمة من تطهير النفوس والأبدان والمجتمع من التفسخ والانحلال والأنانية وحب الذات ؛ والمجتمع المسلم المتطهر ليس مجتمعاً ملائكياً ، وإلَّا لما وُجدت هذه التشريعات التي إنما أنزلت لتطبق في عالم المسلمين وليس في غيرهم .. إنها الواقعية المطلقة التي لا تنكر حقيقة الإنسان ومقدرته وإمكاناته ..

ولو تدبرنا سيرة رسول الله ﷺ ، للمسنا صفة الواقعية في كل إجراءاته وقراراته .. فقد كان يدعو الناس إلى الإيمان بالله الواحد الأحد ، ويصلح تصوّراتهم بينما ديارهم تعج بالأصنام التي لا يزالون يسجدون لها ، ولو بدأ بدعوتهم إلى تحطيم هذه الأصنام لأعرض عنه من كان اكبر سنٍ له في دعوته .. ولمَّا جاء أصحابه يشكون إليه حالة صاحبهم الذي لا يزال يشرب الخمر واستأذنوه لقتله ، قال لهم في ثقة : دعوه فإن صلاته ستنهاه ..

ولمَّا فكر في إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام تراجع فوراً ، وقال مخاطباً السيدة عائشة رضي الله عنها : « لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لبنيْتُ الكعبة على قواعد إبراهيم » . وتتوالى الأمثلة للتدليل على التزام الرسول الأعظم ﷺ بالاهتمام بالواقع والانطلاق منه في كل تشريعاته ..

وعلى دربه سار الخلفاء الراشدون والسلف الصالح من مجتهدي هذه الأمة فجعلوا معرفة الواقع شرطاً من شروط الاجتهاد ، وقالوا : (لا بدَّ أن يكون المجتهد قويّ الذكاء دقيق الفهم ، قد مرن عقله بمعالجة ضروب المعارف الإنسانية ، ونفذ إلى أوضاع عصره ، فادرك غورها وابعادها ، إذ بدون هذا الامتياز الفكري والتجربة الحيَّة لشؤون عصره لا يستطيع ان يتبيَّن ما يصلح الناس ، وما يترتب على فتواه في العاجل والآجل)[1] .

ويتجلى التزام فقهاء المسلمين بمراعاة الواقع في الأصول التي اعتمدها كل منهم في منحاه الاجتهادي .. فنجد كلًّا من مالك وابي حنيفة والشافعي وابن تيمية وابن القيم يتخذون القياس أصلاً من اصولهم الاجتهادية ، والقياس يعني أن المجتهد يستنبط مما بين يديه من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية عِلَلًا عامة للأحكام ويفرّع عليها الفروع ، ويعتبر تلك العلل قواعد يعرض عليها كل ما يرد من اقضية لم يجد فيها نصّاً ويحكم بمقتضاها ، مستعيناً في ذلك بدقة نظره ، وسرعة خاطره في إدراك ما بين الأشياء من فروق وموافقات ... وبذلك اصبحت في متناول المجتهدين حلول لكل كا يعرض لهم من شؤون العبادات والمعاملات انطلاقاً ممَّا يزخر به واقعهم المعاش .. وكذلك اتخذ مالك وابو حنيفة العرف أصلاً من أصول الاجتهاد عندهما ، وهو الأخذ بما يتعامل به المسلمون دون معارضة لنص من كتاب أو سنَّة او إجماع او قياس . كذلك كان شان مالك وابن تيمية ، اتخذا المصالح المرسلة أصلاً من اصول الاجتهاد عندهما ، وهي المصالح التي لم يرد في الشريعة نص معين يدعو إلى اعتبارها او إلغائها ، ولكن اعتبارها يجلب نفعاً أو يدفع ضرراً .

وهذه كلها : المصالح المرسلة ، العرف ، القياس ، ومثلها الاستحسان ، وهو عدول المجتهد عن استخدام القياس الجلي لظهور دليل آخر اقوى منه في نظره ، إنَّما يدلّ على شعور الأئمة الكرام بأهمية مراعاة الواقع للبحث عن حلول لكل ما يرد عليهم من قضايا ، وهو ما يفسر ازدهار الفقه الإسلامي في تلك العصور الزاهية .

في العمل الإسلامي

ومما يعرف عن الإمام الشافعي رحمه الله ، انه كان يقول رأيين او اكثر في مسالة واحدة دون ان يرجّح رأياً منها لعدم ظهور المرجّح عنده ، وانه كان يقول بالراي ثم يتبيّن له ان الحق في غيره فيتحوّل عن رايه الأول ، وتبدو مراعاته للواقع الذي يعمل فيه جلياً في موقفه من الفتاوىٰ والأحكام التي اصدرها عندما كان بالعراق ، ليُقرّ بعضها ويتحوّل عن بعضها الآخر عندما تحوّل إلى مصر ، وخالط علماءها ، وشاهد حالات اجتماعية غير التي عرفها في الحجاز والعراق .

وبهذا يتبيّن جلياً ان فقه المجتهدين وتشريعاتهم الفقهية كانت تلبية لحاجات زمانهم الواقعية ، واستيحاء لأوضاع جيلهم الذي عاشوا فيه ، « وحتى الفروض النظرية التي افترضوها واجابوا عليها لم تكن إلّا من وحي هذه الحاجات ، او من وحي منطق البيئة التي احاطت بهم ، والعصر الذي عاشوا فيه ، والعلاقات والارتباطات الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك البيئة وفي هذا العصر . »[٢] .

بهذه الخاصية نال فقهاؤنا الكرام احترام الكبير والصغير ، ولم يُصب الفقه الإسلامي بالجمود والتضييق إلّا حين ابتعد الفقهاء عن الاهتمام بالواقع فراحوا يعالجون مشاكل حاضرة بحلول وجدت في غير عصرها وفي غير موطنها ، او انصرفوا عن معالجة هذه المشاكل إلى قضايا افتراضية لا اساس لها في واقع الناس ...

وإننا اليوم ، ونحن نرىٰ بحمد الله العودة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في بعض البلدان الإسلامية ، في حاجة أكثر من اي وقت آخر إلى الانطلاق من واقعنا المعقّد لتربية الجيل المسلم ، ومساعدته على حلّ مشكلاته اليومية ، فنحذر ان نحلق به عالياً في عوالم مثالية ، فينشا منبتّاً عن واقعه ، وفي ذلك وبال كبير .. والّا نطرح من الاعتبار اننا شعب مسلم ، وان ما يطفو على السطح من انحراف في السلوك ، ما هو إلّا مظهر لانحرافات عقيدية كانت وليدة عهود الانحطاط الطويلة ، من السّهل معالجتها إذا التزمنا الواقعية والتدرّج المدروس .. ونحذر كذلك مما وقع فيه سلفنا في عهود الانحطاط من إسقاط فتاوىٰ الفقهاء على قضايا تختلف في الزمان والمكان ، ولنعلم أن لكلّ مصر مشاكله وقضاياه ، وبالتالي يجب ان تكون فتاواه منبثقة من واقعه وظروفه الخاصة ، ونحذر أخيراً ألّا تكون هذه الاختلافات في الرؤية والأحكام طريقاً إلى الخلافات المريرة التي حفل بها تاريخنا الإسلامي .

الواقعية في حدود الشريعة

والاهتمام بالواقع لا يعني إخضاع الشريعة إلى الواقع الذي يعيشه مجتمعنا اليوم بمظاهره المادية ومؤسساته الاقتصادية والاجتماعية وما وراء ذلك من تيّارات فكرية واتجاهات نفسية اكثرها يخالف وجهة الإسلام وشريعته .. ولا يعني ان نُقرّ « النظرية التبريرية التي تجعل اكبر همّها ان تبرر الواقع على ما فيه من فساد وانحراف عن الصراط المستقيم ، وتمنح هذا الواقع الأعوج سنداً من الدين يضفي عليه الشرع والقبول في العقول والأنفس ، وفي ذلك تُطَوَّعُ النصوص المحكمة ، وتُغَيَّر الأصول الثابتة ، وتصدر الفتاوىٰ المبتَسَرة لتجويز وضع غير جائز ، وتسويغ غير سائغ »[٣] .. بل إن التشريع في المجتمع الإسلامي محكوم باصل ثابت هو الشريعة الإسلامية ، والفقه الإسلامي ، وإن كان تلبية مستمرة لبروز الحاجات في المجتمع وتجدّد الارتباطات ، إلّا انه ليس طليقاً ، لانه مشدود دائماً إلى ذلك الاصل الثابت « وما جعل الله الدين إلّا ليمسك البشرية ان تتدحرج وتنقلب على عقبيها ، لهذا وجب ان يكون الدِّين هو الميزان الثابت الذي يحتكم إليه الناس إذا اختلفوا ، ويرجعون إليه إذا انحرفوا ، اما ان يصبح الدين خاضعاً لتقلبات الحياة وظروفها ، يستقيم إذا استقامت ، ويعوج إذا اعوجت ، فإنه بذلك يفقد وظيفته في حياة الإنسان »[٤] .

إن احترام الواقع يعني الارتفاع بالواقع إلى أفق الشرع لا ان يهبط بالشرع إلى حضيض الواقع ، ويعني إخضاع واقع الناس لشريعة الله ، وتعويد الناس على تكييف سلوكهم واعمالهم تبعاً لها ، على ان يتم ذلك كله في يسرٍ وسماحة وتدرّج كما تم ذلك من قبل ..

بذلك وحده نضمن ـ لمن شاء الله ـ سلامة الطريق ، ونامن التطرّف اخطر أمراض العصر .. والله الموفق إلى الصواب .

■ لا بد أن يكون المجتهد قوي الذكاء دقيق الفهم ، قد مرَّن عقله بمعالجة ضروب المعارف الإنسانية ونفذ إلى أوضاع عصره فأدرك غورها وأبعادها إذ بدون ذلك لا يستطيع أن يتبين ما يصلح الناس . ■

---

(١) الاجتهاد والتجديد في التشريع الإسلامي : مجموعة من الأساتذة .

(٢) نحو مجتمع مسلم : سيد قطب .

(٣) شريعة الإسلام : خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان : يوسف القرضاوي .

(٤) مجلة الأمة : ربيع الآخر ١٤٠٢هـ من مقال يوسف القرضاوي : أيسلم التطور أم يتطور الإسلام .

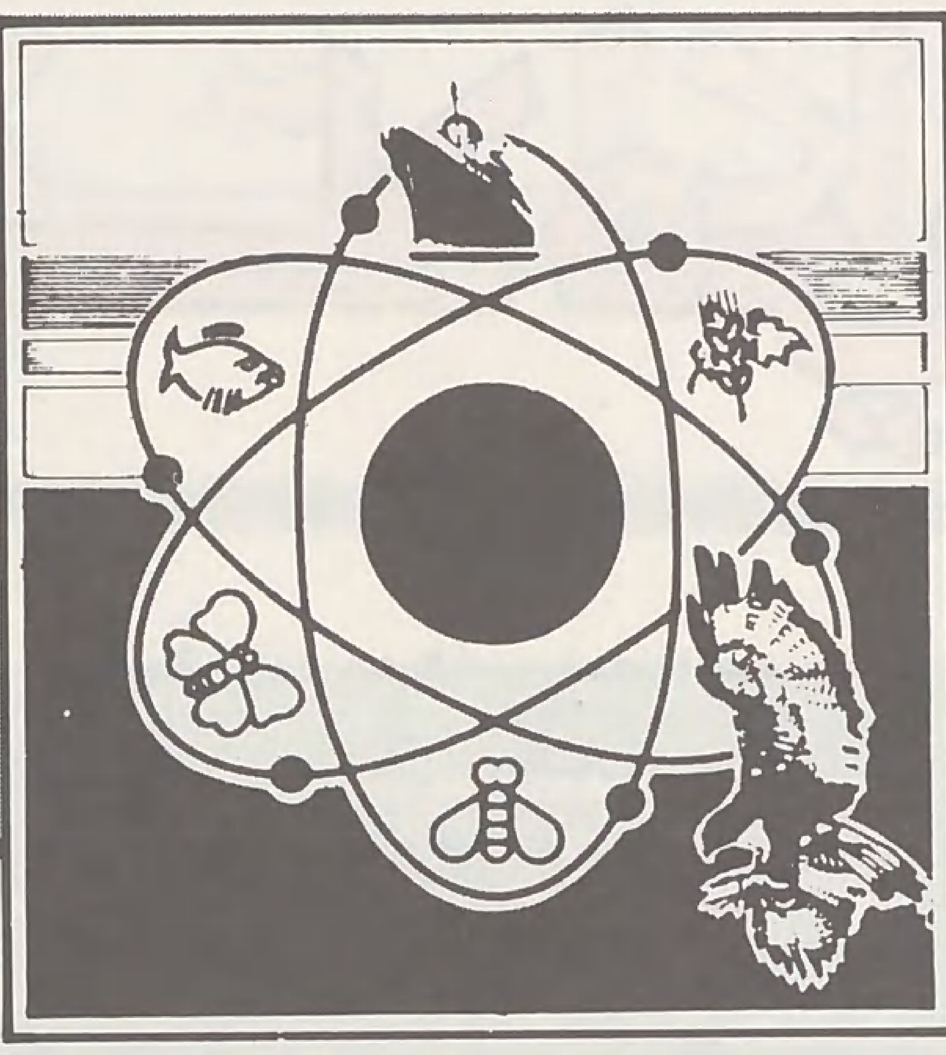

تكاثر الطيور الجارحة

■■ نعرف عن « بيولوجيا التكاثر » لدى الطيور الجارحة أكثر مما نعرف عن أي جانب آخر من جوانب حياتها ، لسبب بسيط وهو أن الحاجة إلى العودة للعش لحضانة البيض ، أو العناية بالصغار ، تجعل الطائر مرتبطاً بمكان معين ، مما يتيح الفرصة لملاحظته بانتظام . وهناك جوانب أخرى من حياة الجوارح عرفت من خلال دراسة تكاثرها .. ■■

هناك اختلافات بين الجوارح ، فيما يتعلق بهذا النشاط . هناك نسور العالم الجديد التي لا تبني أعشاشاً ، بل تلقي بيضها على الأرض ، أو في الكهوف ، أو على الصخور ، أو في تجاويف الشجر ، أو على أعمدة الكهرباء ... وهناك جوارح أخرى تبني أعشاشاً كل عام ، وجوارح تبني عشاً واحداً تستخدمه لعدة أجيال ، ولكنها تعيد بناءه وترممه سنوياً .. وهناك جوارح تستخدم أعشاش غيرها .

هناك جوارح تضع بيضة واحدة ، وجوارح تضع أكثر من ذلك . لون البيض قد يكون أبيض أو أخضر أو أزرق ، والقشرة في الداخل قد تكون خضراء أو صفراء أو بيضاء .

دورة التكاثر لدى الجوارح متشابهة إلى حد كبير بين مختلف الأنواع ، وبهذا الصدد يمكن رصد المراحل التالية : الاستعراض ، وبناء العش ، ووضع البيض وحضانته ، والتفقيس والتريش .

نبدأ بالتمييز بين استعراض التكاثر واستعراض التهديد . في الحالة الثانية ينتصب ريش الرقبة والرأس والعرف ، وينتفخ الجناحان . وقد يتكىء الطائر على ذيله ليبرز المخالب إلى الأمام ، وقد يصحب ذلك صراخ وهسيس . وعادة ما يتم هذا الاستعراض في العش أو قريباً منه .

أما استعراض التكاثر فيتم عادة في الجو . وهو مثير وجميل . ويبذل الطائر فيه طاقة كبيرة . كما تشمل الطقوس عروضاً على الأرض قرب العش ، حيث يبرز ريش الرقبة والرأس ، وترفرف الأجنحة ، وتحتك المناقير ببعضها .

يتضمن استعراض التكاثر لدى العقاب النسارية Osprey ، ما يلي :

□ يجثم الذكر ، وأحياناً الأنثى ، وينادي .

□ يحلق أحدهما فوق العش وينادي .

□ يقومان بعروض جوية مشتركة تتضمن التحليق والانخفاض . وعادة ما يحلق الذكر فوق الأنثى وينقض عليها .

□ تأخذ الأنثى وضعاً مقلوباً في الجو بحيث تلامس مخالبها مخالب الذكر .

□ يدوران ويدوران حتى يعودا إلى العش .

● بيض العوسق وهو من الصقور

● كلما كبرت الفراخ طال بعد الأم ●

● أنثى النسر تظلل ولدها من الشمس الحارقة ●

● العقاب يبني عشاً كبيراً يستعمله عاماً إثر عام ●

● بيض النسور ●

الصوت مهم جداً لدى جوارح الغابات في استعراض التكاثر ، بينما نجد جوارح أخرى مثل الصقر « الهار » تكون صامتة . أما الطائر الكاتب فيقوم برقصات خاصة ومطاردات على الأرض وأجنحته مفتوحة .

لدى بعض الجوارح يشمل العرض حفلات طعام . يسير الذكر تجاه الأنثى يحمل في فمه فريسته ، ويطعم الأنثى أثناء المداعبة ، وهي ترفع رأسها وتحنيه وتهمهم ببعض الأصوات .

يتبع ذلك الاتصال الجنسي في العش أو قريباً منه . وفي معظم الأنواع يتم ذلك عدة مرات يومياً لفترة قصيرة . وقد يصل إلى سبع مرات قبل وضع البيض . ولكنه يتوقف بعد ذلك . في المناطق الاستوائية لا يرتبط هذا الاتصال بموسم التكاثر .

● أمومة الجوارح ●

العلم والحياة

تكاثر الطيور الجارحة

بنـاء العش

كما أشرنا فهناك جوارح تبني أعشاشها فوق الأشجار أو في شقوق الصخور . قد يكون العش صغيراً جداً ، عبارة عن منصة من الأغصان والأوراق التي تستخدم لفصل أو أكثر . ولكنه قد يكون أكواماً كبيرة من الأغصان . وقد يزيد طوله عن طول الإنسان ، وقد يكون عرضه عرض سرير . كلما كبر حجم الطائر كبر عشه وطالت مدة الإقامة فيه .

توجد الأعشاش الكبيرة في المناخات المعتدلة ربما لأن الأغصان تفسد ببطء أكثر من الحال في المناطق المدارية .

أحياناً يتتابع على العش الواحد أكثر من زوج من الطيور الجارحة . هناك جوارح لها أكثر من عش ، وقد ينتقل بعضها بين (١٤) عشاً ، ولكنه يفضل واحداً منها . الجوارح الاستوائية عادة لها أعشاش أقل من جوارح المناطق المعتدلة ، ربما يرتبط ذلك بسرعة فساد وانهيار الأعشاش في المناطق الاستوائية .

عادة ما يشترك الذكر والأنثى في بناء العش ، ولكن قد يعمل أحدهما أكثر من الآخر . في معظم الأنواع الأنثى تعمل أكثر . في بعض الأنواع يأتي الذكر بمواد البناء وتقوم الأنثى ببناء العش .

قد تستمر عملية بناء العش عدة أشهر ، خاصة في المناطق الاستوائية .

وكلما كان الجو أكثر برودة كانت فترة بناء العش أقل . أحياناً تقوم الجوارح بإصلاح وصيانة الأعشاش ، بدلاً من بناء أعشاش جديدة . وتشمل عملية الصيانة إضافة عصي جديدة أو فرشة خضراء .

المعروف أن الجوارح تنهي عملية بناء العش بوضع الفرشة الخضراء . وهي تأتي بها من بعيد ، وتضعها قرب العش إلى حين الانتهاء من بنائه . وتضغطها الأنثى بصدرها . وقلما يوضع البيض في عش بدون فرشة خضراء .

وضـع البيـض

بيض معظم الجوارح إهليليجي الشكل (بيضاوي) . بيض الصقور عادة أكثر استدارة . يتراوح عدد البيض بين واحدة وأربع بيضات . هناك جوارح تضع أكثر من ذلك . ولكن ثلاثة أرباع الجوارح المعروفة تضع ثلاث بيضات أو أقل .

لا يوضع البيض في يوم واحد أو أيام متتالية ، بل هناك ٣ أو ٤ أيام تفصل بين البيضة الأولى والثانية . في النسور الكبيرة تزن البيضة ٢٫٥ ـ ٧٪ من وزن الطائر .

تعتبر مرحلة وضع البيض إحدى ثلاث مراحل يعتبر نقص الغذاء فيها مشكلة عويصة . وقد يؤدي ذلك في الأنواع الكبيرة إلى الحيلولة دون وضع البيض .

الحضـانة

تبدأ مرحلة الحضانة مع أول بيضة . ولكن الدفء الكامل لا يتم حتى يوضع جميع البيض . في معظم الجوارح التي تمت ملاحظتها ، فإن الأنثى هي التي تجلس فوق البيض معظم ساعات الليل ومعظم النهار . وفترة الحضانة طويلة عموماً ، وقد تصل عند بعض النسور إلى (٦٠) يوماً . والجوارح الاستوائية تطول مدة حضانتها أكثر من جوارح المناطق المعتدلة .

أما الفقس فيتم بالطريقة العادية : الفرخ يكسر القشرة . ويمكن ملاحظة ذلك من خلال حركات الأبوين فوق البيض ، إذ تصبح غير مستقرة ، وتتكرر نظرتهما إلى أسفل منهما . في بعض الأنواع تأخذ عملية الفقس ما بين ٢٤ ـ ٤٨ ساعة .

مرحلة الترييش Fledging Period ، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل فرعية :

* المرحلة الزغبية Downy Period ، حيث يكسو الزغب جسد الطائر .
* فترة الريش التي ينمو فيها الريش من خلال الزغب .
* فترة الريش الكامل عندما يكتسي

الفرخ بالريش ، ويختفي الزغب .

في المرحلة الزغبية يكون الفرخ لا حول له ، عاجزاً عن الوقوف ، مع ضعف في النظر . ونادراً ما يستطيع رفع رأسه الثقيل على رقبته الضعيفة . خلال ٧ ـ ٢١ يوماً من الفقس ينمو زغب آخر اكثف واخشن وادفأ . يصبح الطائر بعدها اكثر حركة . يتحرك حول العش على ساقيه . ومع نهاية هذه المرحلة يتعلم الوقوف والاستناد إلى العش . وأحياناً يستطيع تناول فريسة قريبة . ولكنه يبقى ضعيفاً مهدداً بالموت لو اهمله أبواه أو قتلا .

يبدأ الريش الحقيقي في الظهور من خلال الزغب ، خلال ستة أسابيع . بشكل عام كلما زاد حجم الطائر تاخر ظهور الريش . في البداية يظهر ريش الجناحين والذيل وأحياناً ريش الصدر .

ثم الريش الكفافي أو الخارجي : Contour Feathers . وعادة يظهر هذا الشعر حول جميع أجزاء الجسم والجناحين ، بينما يبقى الرأس أزغب .

بعد أن يكتسي الجسم بالريش ، يبقى الريش الخاص بالطيران ولمّا ينبت ، بل يستمر في النمو حتى بعد الطيران الأول . في هذه المرحلة يستطيع الجارح الصغير إطعام نفسه مما يأتي به أبواه من صيد ، كما يتركه أبواه فترة طويلة قد تستمر أياماً .

يزداد نشاط الصغير فيتسلق الأغصان المجاورة ، ويرفرف أحياناً . مع نهاية هذه المرحلة يخسر شيئاً من وزنه ليساعده ذلك على الطيران . ثم يبدأ ينتقل من شجرة إلى أخرىٰ . وتزداد مسافة طيرانه حتى يكتمل نموه .

تموت بعض الصغار في العش ، إمّا بسبب الجوع أو لأسباب أخرىٰ . في بعض النسور يكون السبب الرئيس النزاع الداخلي بين الصغار ، حيث يهاجم الكبير منها الصغير أو يحاول السيطرة عليه ، ويمنعه من الطعام ، ويطرده من العش . وأحياناً يجرحه ويتركه ينزف ويموت من الجراح .

خلال مرحلة التربيش ، يكون سلوك الأبوين محكوماً إلى درجة كبيرة بمرحلة نمو الصغير . في مرحلة الحضانة يقوم الذكر بإطعام الأنثى في العش ، لأنها تقوم بحضانة البيض . وترتبط إقامته بالعش بإطعامها . عندما تفقس الصغار يزداد معدل صيد الأب في اليوم بمعدل مرتين أو ثلاث مرات ، عن مرحلة الحضانة .

يحتاج الصغار في المرحلة الزغبية الأولى والثانية إلى العناية من أحد الأبوين أو كليهما معظم الوقت . وعادة ما تقوم الأنثى بذلك .

عند بعض الجوارح يموت الصغار لو تعرضت الأم لمكروه ، لأن الأب يأتي بالطعام ، ولكنه لا يطعم الصغار ، حتى لو توسلوا إليه . عند أنواع أخرىٰ لا يقوم الأب بإطعام الصغار إلَّا إذا كانت الأم غير موجودة . باختصار .. الأب يقوم بالصيد والأم تعتني بالعش . والمدة التي تقضيها الأم في العش تقل مع نمو الصغار ، فتبدأ بتركهم ساعات تزداد مع نموهم . وعادة ما تسرع للعش إذا نزلت أمطار أو ارتفعت درجات الحرارة .

في مرحلة التربيش تبقى الأم قريباً من العش لدرء أي خطر يتهدد الصغار ، ولكنها لا تجثم فوق العش ، ومرحلة التربيش هي مرحلة التوتر الثانية في دورة التكاثر لأن الذكر آنئذٍ يغذي نفسه وزوجته وصغاره . لذلك هو مضطر لزيادة كمية الصيد . وكلما كبر الصغار زادت مشاركة الأم في الصيد .

تتراوح مرحلة التربيش من (٢٥) يوماً لدى الصقور إلى (١٢٠) يوماً لدى النسور . المدة أطول في المناطق الاستوائية عنها في المناطق المعتدلة

يبدأ الصغار بمحاولات طيرانهم الأولى في غياب الأبوين . ولا يكون الطيران في البداية قوياً لأن « الريش لا يزال ينمو في الدم » ـ كما يقول المختصون ـ يبقى الطيران حول العش أو قريباً منه . بعد ذلك تبدأ مرحلة ما بعد التربيش ، وحتى في هذه المرحلة يستمر الأبوان في رعاية الصغار .

هكذا نلاحظ ان فترة الرعاية لدى الجوارح طويلة ، مما يجعل تكاثرها قليلاً ، فهي لا تستطيع التكاثر سنوياً .

المركز الدولي لهندسة الوراثة

يبدأ « المركز الدولي لهندسة الوراثة والتكنولوجيا الحيوية » إجراء أبحاث هذا العام في كل من « نيودلهي » و « تريست » بإيطاليا ، بميزانية قدرها (٤٠) مليون دولار للسنوات الخمس القادمة .

وسوف يركز المركز في « تريست » على مشاريع التكنولوجيا الحيوية الصناعية ، مثل تحويل الفضلات الزراعية إلى سماد ووقود ، واستخدام الكائنات الدقيقة في الصناعة ومحاربة التلوث . أما في الهند فسوف تكون الأولوية للأبحاث الزراعية والصحة الحيوانية والإنسانية . وتشمل المشاريع تكاثر الحيوانات ، واللقاحات ، والوراثة ، وخصائص النباتات المختلفة .

جدير بالذكر أنه يشترك في عضوية المركز (٣٦) دولة ، وإيطاليا هي الدولة الصناعية الوحيدة المشتركة فيه .

صورة من قريب

المسلمون في لكسمبرج
الواقع والطموحات

■■ لكسمبرج .. دولة كاثوليكية صغيرة لكنها مركز مالي وسياسي هام .. فهي إحدى العواصم الثلاث للسوق الأوروبية المشتركة (بروكسل ـ ستراسبورج ـ لكسمبرج) ، وتضم السكرتارية العامة للبرلمان الأوروبي ، والمجلس الاقتصادي الأوروبي ، والمحكمة الأوروبية ، والحاسب الآلي (الكمبيوتر) الخاص بالمعلومات عن جميع بلدان السوق الأوروبية المشتركة ، وعن بلدان العالم الثالث .. وهذه المؤسسات أشبه بمنظمات هيئة الأمم المتحدة ولكنها خاصة بالدول الأوروبية العشر ... ليس بها سفارات لدول عربية أو إسلامية ، ويتم تمثيل هذه الدول في لكسمبرج عن طريق سفاراتها في بلجيكا (بروكسل) أو ألمانيا الغربية (بون) أو فرنسا (باريس) ـ وبصفة عامة لا توجد هناك إلا بضع سفارات لا تتجاوز العشر ، للدول الكبرى وبعض الدول ذات العلاقة الخاصة ... وتوجد بها مؤسسات إسلامية مالية واقتصادية هي شركة التكافل الإسلامية ـ إحدى مؤسسات دار المال الإسلامي ـ والمصرف الإسلامي الدولي ، وذلك لأسباب استثمارية تتعلق ببعض الإعفاءات من الضرائب وحرية التعامل وتحويل رؤوس الأموال ..

أما المسلمون في لكسمبرج فيشكلون جالية صغيرة ، لا يتجاوز عدد أبنائها مائتي شخص ـ نصفهم من اليوغسلافيين وحوالي الربع من الأتراك ـ والربع الأخير خليط من العرب والباكستانيين .. تنتظمهم ـ حديثاً ـ جمعية مسجلة وفقاً لقوانين لكسمبرج بهدف إقامة أول مسجد ومركز إسلامي هناك ـ أمَّا في الوقت الحاضر ، فيجتمع أبناء الجالية ؛ لأداء شعائر صلاة الجمعة ، وصلاة العيد ، ويلتقون في بعض المناسبات والاحتفالات ـ من حين إلى آخر ـ يناقشون أحوالهم وشؤونهم ، في غرفتين صغيرتين مستأجرتين من أحد المسلمين الأتراك المقيمين في لكسمبرج من فترة طويلة .. ولكن ، لديهم طموحات ـ من خلال إحساسهم بأهمية لكسمبورج وموقعها من أوروبا والعالم ، بأن يقيموا مسجداً متميزاً بطابع خاص ، يبرز خصائص فن العمارة الإسلامية وسط البناء الأوروبي التقليدي ـ كرمز إسلامي في العاصمة السياسية والمالية الهامة ... بينما يفرض الواقع عليهم شيئاً آخر .. ■■

■ الدكتور جمال عطية : في درس الأخلاق يُلقّنُ الأولادُ الإلحادَ ■

■ أحمد راجي أوزان : قدَّم جزءاً من بيته لنشاطات المركز الإسلامي ■

■ خالد زابون : إقامة وقف إسلامي لبناء مسجد للمسلمين والإنفاق عليه ■

■ سعد الدين دانيجو : نيجيري ، يقوم بعمل إمام المسجد بصفة مؤقتة ■

■ إكرام شاكر : تأسيس مكتبة ثقافية إسلامية باللغات المتداولة ■

أهداف واقعيــة

لا يوجد في لكسمبورج جامعة ، وهذا يوضح ملامح صورة الجالية الإسلامية هناك ، التي تخلو من فئة الطلاب الذين يبتعثون عادة للدراسة ، ويكون دورهم بارزاً في العمل الإسلامي وفي حياة الجالية وعلاقاتها بصفة عامة ، وفيما عدا فئة العمال - التي لا ترىٰ منها أحداً في المسجد يوم الجمعة بسبب عجزها عن المطالبة بتعديل قوانين العمل - تضم الجالية عدداً محدوداً من العناصر ذات الخبرة الاقتصادية أو الوظيفية - الذين نشطوا مؤخراً ، وفكَّروا في ترتيب شؤونهم بشكل أكثر نظاماً وفعالية ..

● **أحمد راجي أوزان - (٣٢) سنة من عائلة تركية تقيم في لكسمبرج منذ فترة طويلة - سكرتير المركز الإسلامي الثقافي في لكسمبرج - الذي يتخذ مقره الحالي في جزء من منزله ..**

— في الحقيقة لا يوجد تاريخ معين لبداية تكوين الجالية الإسلامية في لكسمبورج ، وما يمكن ذكره في هذا الصدد هو وجود حوالي عشر عائلات تركية في عام ١٩٧٠م ، وابتداءً من

■ يؤدي مسلمو لكسمبرج صلاة الجمعة في حجرتين من هذا البيت ■

صورة من قريب

المسلمون في لكسمبرج
الواقع والطموحات

منتصف السبعينيات بدأت بعض المؤسسات المالية الإسلامية تتواجد بمراكزها الرئيسة أو بفروعها في لكسمبرج ، ووفدت معها العناصر الوظيفية من العرب والباكستانيين .. وزاد عدد أعضاء الجالية .. هذا مع وجود الركيزة الإسلامية العمالية من اليوغسلافيين ضمن هجرات لهم سابقة إلى أنحاء أوروبا .. أما بدء تجمع أعضاء الجالية وإقامة المسجد هنا ، فكان سنة ١٩٧٧م . غير أن المركز الإسلامي الثقافي سُجِّل رسمياً لدى حكومة لكسمبرج عام ١٩٨٣م ـ على أساس أننا جمعية أو مؤسسة خيرية لا تسعى للربح كما يُعَرِّفها القانون هنا ..

● **وعن الأهداف الأساسية للمركز الإسلامي الثقافي في لكسمبرج .. يقول الأخ أوزان ..**

ـ قبل كل شيء ؛ يهدف المركز إلى تثبيت أركان الحياة الإسلامية ـ الروحية والعقيدية لدى أبناء الجالية وتوثيق العلاقات الأخوية فيما بينهم ـ وتزويدهم بالمعلومات الصحيحة عن حقيقة الإسلام .. وأيضاً تزويد الرأي العام في لكسمبرج بالأفكار الصحيحة عن الإسلام وتعريفه بالثقافة الإسلامية ، وتنمية العلاقات مع المسلمين في البلدان الأوروبية القريبة وفي بلدان العالم الإسلامي قدر الإمكان .. وطبعاً ـ بصفة أساسية ـ نسعى في أقرب وقت لإقامة مسجد للجالية ـ لأن المسجد الحالي لا يتسع لأبناء الجالية إذا اجتمعوا لصلاة العيد أو في مناسبة خاصة ـ فعدد الجالية الإسلامية هنا ـ حسب علمنا ـ ما بين أربعمائة وخمسمائة نسمة ، وقد يزيد عن ذلك ...

وهناك واحد من أهم أهداف المركز أيضاً ، نسعى لتحقيقه في أقرب وقت وهو إنشاء مدرسة إسلامية لأطفال الجالية حيث يمكنهم أن يتعلموا القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الإسلامية ، وقد تعلمون أنه في المرحلة الحالية لا يسمح بتدريس الدين الإسلامي في مدارس لكسمبرج ، لأنها دولة كاثوليكية ، ويساعد على ذلك قلة عدد الجالية وأن الإسلام لم يُعترف به حتى الآن من قبل الدولة كما هو الحال بالنسبة لبلجيكا ..

مشروع الوقف

● **خالد زابون ـ تركي مقيم في لكسمبرج منذ أكثر من (١٨) سنة ، وهو المسؤول المالي وأمين صندوق المركز الإسلامي الثقافي ..**

ـ حينما برزت فكرة إقامة المسجد ، أجريت اتصالاً مع المسؤولين في الحكومة لأخذ موافقتهم أو رأيهم في مدى إمكان تبرع الحكومة بقطعة أرض لهذا الغرض كما يحدث في بلاد أخرى ، والدولة هنا ـ كما تعلمون ـ دولة كاثوليكية ، وجميع الأمور الدينية من اختصاص الكنيسة ـ والدولة هي التي تنفق على الكنائس ، ومنصوص على هذا في الدستور ، وقد يكون هذا هو السبب في أننا لم نجد تشجيعاً ـ إلَّا بعض الوعود حتى الآن ـ لذلك فكَّرنا وقررنا الاعتماد على أنفسنا وشراء الأرض وإقامة مسجد متواضع البناء ـ من أموالنا ـ ونظراً لعدم وجود مجلس للسفراء المسلمين في لكسمبرج ـ كما هو الحال في العواصم الهامة (واشنطن ولندن مثلاً) ـ يشرف على المسجد بعد بنائه ، فقد فكَّرنا في إنشاء وقف إسلامي يتم التبرع باسمه ، ويمثِّل فيه كل من ممثلي الجالية الإسلامية في لكسمبرج ـ في صورة الجمعية المسجلة الآن ـ وكبار المتبرعين ، ويكون هذا الوقف هو المسؤول عن النواحي المالية والبرامج الخاصة بالمسجد ، وهذا الأمر محل دراسة عند المحامي الذي يتولى الشؤون القانونية للمركز ، ونراجع معه حالياً النظام الأساسي في ضوء بعض الملاحظات .. أما الجمعية فإنَّ لها نظامها الأساسي وهي مسجلة بالفعل ولها دستورها الخاص .. والحقيقة ، نحن نهدف من وراء مشروع الوقف ألَّا يتجدد طلب التبرعات من حين إلى آخر ، حيث نأمل أن تكون التبرعات بحجم يسمح ببناء المسجد من ناحية ، ثم بفائض يستثمر حتى ينفق من عائده على المسجد ، لأن المسجد بحاجة إلى مصاريف مستمرة ، وهو أحد أهداف الحملة التي نقوم بها ...

إمام متعدد اللغات

● **سعد الدين وانيجو - من نيجيريا - يقيم في لكسمبرج من عامين ، وكان رئيساً للمركز الإسلامي الثقافي في العام الماضي عندما بدا تسجيل المشروع لدى الدولة ، ويشارك حالياً في نشاط المركز كاحد اعضاء مجلس إدارته ..**

- هناك حاجة ملحة إلى إمام دائم راتب يتقن اللغة العربية واللغة التركية إلى جانب إحدى اللغات الأوروبية - الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية ، نظراً لأن ظروف الجالية الإسلامية في لكسمبرج ظروف خاصة إلى حد ما من ناحية اللغات ، فحوالي نصف الجالية من اليوغسلافيين وهم من العمال الذين لا يستطيعون حضور صلاة الجمعة ولكن يحضرون صلاة العيدين ، وحوالي الربع من الأتراك والربع الأخير خليط من العرب والباكستانيين ، فهنا نلمس أن اللغات المتداولة بينهم لغات متعددة ، ولذلك تقابلنا مشكلة : **ما هي اللغات التي يجب ان يتقنها الإمام حتى يستطيع أن يتصل بالجالية - ووجدنا انه نظراً لتغيب أو عدم إمكان الجالية اليوغسلافية الحضور ، فإن الجالية التركية تاخذ الأولوية ، إلى جانب أهمية اللغة العربية لتعليم ابناء المسلمين - اللغة العربية والدين - ولذلك اشترطنا هذين الشرطين إلى جانب لغة أخرى أوروبية تكون لغة مشتركة بين باقي أعضاء الجالية ..**

ونحن بسبيل التفاهم مع احد الإخوة من الذين يتوافر فيهم هذا الشرط ونرجو ان يصل قريباً حتى يهتم بالجالية وابناء الجالية إن شاء الله ...

● **إكرام شاكر - باكستان - مدير إداري شركة التكافل الإسلامية في لكسمبرج ..**

- يوجد حوالي اربعة أو خمسة من ابناء لكسمبرج اعتنقوا الإسلام مؤخراً ، وهم من أنشط أعضاء المركز هنا في مجال الثقافة ونشر الدعوة الإسلامية بين مواطنيهم .. ونأمل ان يساعد المسجد الجديد - بموقعه وتصميمه الإسلامي - على لفت الأنظار وتجميع الناس ، خاصة وأننا نحاول تأسيس مكتبة ثقافية إسلامية باللغات المتداولة هنا مفتوحة لأبناء الجالية وغيرهم ممن يريدون التزود من الثقافة الإسلامية والتعرف على الإسلام ..

في المناسبات الإسلامية التي يتجمع فيها أكبر عدد من أبناء الجالية الإسلامية هنا ، نضطر حالياً إلى استئجار مسرح البلدية ليستوعب الجميع ، ونأمل أن يتسع المقر الجديد للمركز بعد إقامة المسجد - لأعداد المسلمين التي تزداد باستمرار ..

العلمانية إلحاد

● **الدكتور جمال الدين عطية - مدير المصرف الإسلامي الدولي في لكسمبرج - وأحد أعضاء الجالية هناك ، له تجربة خاصة في مسألة تعليم أبنائه التربية الإسلامية في المدارس الرسمية ..**

- من ناحية اعتراف الدولة في لكسمبرج بالدين الإسلامي فهو أمر غير قائم ، لأن نشاط الجالية حديث عهد - من ناحية - ومن ناحية أخرى فإن عدد المسلمين قليل ، وقد تعلمون أن الديانة الرسمية هنا هي الكاثوليكية ، وأظن أنه سيكون من الصعوبة أن تتم عملية الاعتراف قريباً ..

أما من ناحية تعليم الدين في المدارس ، فهناك تجربة شخصية لي ولبعض الإخوة هنا - في هذا المجال - حيث توجد مدرسة تابعة لمنظمة السوق الأوروبية المشتركة (للمنظمة إحدى عشرة مدرسة في أوروبا) - منها مدرسة في لوكسمبرج اسمها المدرسة الأوروبية ، تضم حوالي ثلاثة آلاف طالب ، ونشأت هذه المدرسة بناءً على اتفاقية السوق الأوروبية المشتركة نفسها ، وبمناسبة وجود أولادي في هذه المدرسة ، درست عن كثب قضية التعليم بها ، فوجدت أنهم يدرسون الدين ، إمَّا في صورة المذهب الكاثوليكي أو البروتستانتي ، أو الديانة اليهودية أو ما يسمى بالأخلاق ، لمن لا يرغب في دراسة أحد هذه الأديان .. ولَّما حوّلت أولادي إلى شعبة الأخلاق ، أفادوني بأن المدرِّسة التي تعطيهم حصة الأخلاق أفكارها أو مفاهيمها مبنية على أساس إلحادي ، فسارعت إلى الاتصال بمدير المدرسة وسألته عن هذا الأمر فقال : إن هذا أمر طبيعي لأن الذين يتجهون لاختيار دراسة مادة الأخلاق - عادة - يكونون في الأصل علمانيين ملحدين .. لذلك فإنها تلقِّن الأولاد الإلحاد .

وبهذه المناسبة سألني عن ديانتي ، فقلت : إنها الإسلام . فقال : سأقوم بتقصي الموضوع لمعرفة عدد الأولاد المسلمين في المدرسة ، وأرجو مساعدتي في إيجاد مدرس يتقن الإسلام لتعليم المسلمين ، وإذا كان عنده خبرة أو شهادة تربوية يمكن أن نعهد إليه بتدريس مادة أخرى ويُعطى جدولاً كاملاً في هذه الحالة ..

فهذه هي التجربة الشخصية التي مررت بها ، ولم أتابع الموضوع بعد ذلك لصعوبة توافر هذا الشخص ، واتجهنا إلى الاقتصار على البحث عن إمام للمسجد ، يقوم بتدريس الإسلام واللغة العربية للأبناء خارج نطاق المدرسة ..

عالم الكتاب

■■ هو الإمام حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النَّمري، نسبة إلى النَّمِر بن قاسط ذكر تلميذه الحميدي[٢] وتابعه أحمد الضبّي[٣] أنه ولد في رجب سنة (٣٦٢هـ) وذكر القاضي عياض من جهته أنه ولد سنة (٣٦٨هـ) في ربيع الآخر، وقد أكَّد هذا القول ابن بشكوال - صاحب كتاب الصلة، وتابعه من جاء بعده - بما يشبه وثيقة تاريخية متمثلة في قوله: قال أبو علي: وسمعت طاهر بن مفوز يقول: سمعت أبا عمر يقول: ولدت يوم الجمعة والإمام يخطب لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وستين، (وهو اليوم التاسع والعشرون من نوفمبر [تشرين الثاني]) قال طاهر: أرانيه الشيخ بخط أبيه عبد الله بن محمد رحمه الله[٤]. ■■

حافظ المغرب ابن عبد البر الأندلسي وكتابه التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

بقلم: عبد العزيز فارح

نشأ أبو عمر في أحضان أسرة اهتم أفرادها بالعلم والعبادة، وشُغِفوا بملازمة العلماء وحلقات المعرفة، على عادة طلاب العلم في تلك الأعصر.

كما نشأ في عاصمة العلم بالغرب الإسلامي آنذاك وهي مدينة قرطبة؛ حيث استقر فيها فطاحل العلماء، ورحل إليها طلاب العلم من داخل الأندلس وخارجها.

في هذه الأجواء المناسبة والظروف المواتية ترعرع **ابن عبد البر** وأخذ يتردد على مجالس المعلمين منذ حداثة سنه، ثم ما لبث أن أصبح يلازم مجالس كبار الأساتذة والشيوخ، أمثال **ابن الفرضي، وأبي عمر بن المكوي، وسعيد بن نصر وغيرهم.**

البحث عن العلم والأمن

ولما اشتعلت نار الفتنة البربرية في «**قرطبة**» وناب خطبها وادلهم، وهجر المدينة كثير من سكانها وعلمائها، خرج ابن عبد البر مهاجراً يبحث عن المكان الآمن إذ لم يسلم العلماء من جحيم الفتنة، وتعرضوا للمضايقة والنهب، بل إلى الفتك والقتل كما حدث لأحد أساتذة **ابن عبد البر**، وهو العالم الجليل **ابن الفرضي** صاحب كتاب «**تاريخ علماء الأندلس**».

اتجه **ابن عبد البر** بعد خروجه من قرطبة نحو غربي الأندلس وهو يأمل الإقامة بمدينة «**اشبيلية**»، وكم كانت خيبة آماله كبيرة بسبب الجفوة التي قوبل بها من طرف أهلها، فارتحل عنها وأخذ يتنقل بين غربي الأندلس وشرقيها إلى أن انتهى به المطاف إلى مدينة «**دانية**» حيث كان يحكمها **مجاهد بن عبد الله العامري** الذي قرّب إليه العلماء، وشجع العلم والمعرفة، واهتم بعلم القراءات خاصة ... وفي هذه الفترة اشتهر **أبو عمر الداني** صاحب «**التيسير**» و«**جامع البيان في القراءات**»، ولما توفي مجاهد رحل ابن عبد البر مرة أخرى إلى غربي الأندلس حيث اتصل بالمظفر بن الأفطس صاحب «بَطَلْيوس» وأحد ملوك الطوائف، وولاه القضاء على «**أشبونة**» و«**شنترين**»[٥] وظل في غربي الأندلس فترة من الزمن معززاً مكرماً إلى أن توفي المظفر سنة (٤٦٠هـ) فقرر الرجوع إلى شرقي الأندلس حيث قضى هناك البقية الباقية من عمره، إذ شهدت مدينة «شاطبة» نهاية أجله سنة ثلاث وستين وأربعمائة (٤٦٢هـ)، وهي السنة التي توفي فيها **الخطيب البغدادي، فكان هو حافظ المشرق وابن عبد البر حافظ المغرب.**

آثاره تغنيك عن أخباره

رغم عدم الاستقرار ورغم التوتر الذي كان يسود بلاد الأندلس، فإن كتابات ابن عبد البر جاءت في مستوىً علمي رفيع، قاطعة الدليل على أنه لم يأل جهداً في خدمة العلم وتبليغه، وطارت شهرتها في الآفاق، وتحدث بها الناس في المشرق والمغرب، وعليها كان اعتماد العديد من العلماء، يقول الحميدي: «وألّف مما جمع تواليف نافعة سارت عنه»[٦] وأشاد بكتبه تلميذه الثاني ابن حزم الظاهري فقال:

«**ولصاحبنا أبي عمر بن عبد البر كتب لا مثل لها**[٧]».

وقد كانت كتبه كثيرة في مختلف ضروب العلوم الشرعية كالفقه والحديث والقراءات والسيرة والتاريخ. منها: **كتاب «البيان عن تلاوة القرآن» و«الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء»** وكتاب «**التجويد**»، وفي الحديث ألَّف الموسوعة

■ إنَّ شرح الموطأ كان دَيْناً على المالكية أدّاه الحافظ بن عبد البر بكتاب التمهيد . إذ وصل منقطعاته ومرسلاته وأسند بلاغاته وبيَّن مبهماته وعدد طرق موصولاته حتى أظهره بالوجه اللائق بمقام الإمام مالك ■

الضخمة « **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** » ثم « **التقصي** » أو « **تجريد التمهيد** » وكتاب « **الأجوبة الموعبة في الأسئلة المستغربة من كتاب البخاري** » وكتاب « **اختصار تاريخ أحمد بن سعيد في تاريخ الرجال** » ثم « **الشواهد في إثبات خبر الواحد** » .

وأما في الفقــه فألّف كتاب « **الكافي في فقه أهل المدينة المالكي** » و « **جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله** » وكتاب « **الأشراف في الفضائل** » و « **الاستذكار لمذاهب الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار** » وقد أفرد فيه ابن عبد البر شرح أقوال مالك في الموطأ .

وكتب في السيرة كتاب « **الدرر في اختصار المغازي والسير** » و « **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** » وكتاب « **الإنباه على قبائل الرواة** » وكتاب « **الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة** » ، وألّف في الأدب « **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس** » وكتاب « **العقل والعقلاء** » وكتاب « **شرح زهديات أبي العتاهية** » و « **الابتهال بما في شعر أبي العتاهية من الحكم والأمثال** » وغير ذلك .

كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

هذا الكتاب الضخم يتصدر قائمة مؤلفات ابن عبد البر على الإطلاق ، وهو الذي انتزع ثناء العلماء واهتمام الناس منذ تأليفه ، وخدم رجال الحديث ورجال الفقه على السواء ، فما هي مواضيع كتاب التمهيد ؟ وما هو منهج الحافظ ابن عبد البر في تأليفه ؟ وإلى أي حد يمكن الاستفادة من هذا الكتاب ؟..

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة لا بد من ذكر الأسباب التي دفعت إلى كتابته .

أسباب تأليف الكتاب

لا أكون مغالياً إذا ذكرت أن علماء السلف الصالح كانوا يؤلفون المؤلفات الطوال ، ويكتبون الرسائل المختلفة شعوراً منهم بالمسؤولية العظمى الملقاة على عواتقهم من قبل الله عزَّ وجل ، وهي بيان وتبليغ ما عَلِموه للناس ، ورجاءً في عظيم ثواب الله في الآجل والعاجل ، على أنه تبقى هناك أسباب مباشرة تدفع العالم إلى التأليف والكتابة .

هٰذا ما نجده عند **الحافظ ابن عبد البر** ، فهو يُفصح عن شعوره بالمسؤولية وعاقبة كتمان العلم ، وأمله في الفوز بعظيم الثواب والزلفى يوم المآب(٨) ، ويبيِّن من جهة أخرى السبب المباشر فيقول في مقدمة التمهيد :

« **إنه لاحظ كل من خرَّج أحاديث الموطأ زعم أنه سيقتصر على المسند وسيترك المنقطع والمرسل ؛ إلَّا أن أي واحد لم يلتزم بما شرطه ، ولم يوف بما عاهد عليه ، فقد وقع لهم خلط والتباس ، فادخلوا المنقطع في باب المتصل وأتوا بالمرسل مع المسند** »(٩) ، أضف إلى ذلك أن نيتهم في إغفال المنقطع والمرسل لا تقوم على أساس ولبيان ذلك ناقش **ابن عبد البر** مسألة المرسل عند **مالك** وأتى بأقوال العلماء العديدة التي تؤكد على قبول مرسل الثقة والعمل به ، وأن المرسل والمسند سواء في الاحتجاج بهما واستعمالهما . ولهذا عزم على تأليف كتاب التمهيد . يقول **ابن عبد البر** :

« **... ولما أجمع أصحابنا على ما ذكرناه في المسند والمرسل ، واتفق سائر العلماء على ما وصفنا ، رأيت أن أجمع في كتابي هذا كل ما تضمنه موطأ مالك بن أنس رحمه الله في رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي عنه من حديث رسول الله ﷺ مسنده ومقطوعه ومرسله وكل ما يمكن إضافته إليه صلوات الله وسلامه عليه**(١٠) » .

موضوع الكتاب

كتاب « **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** » شرح لما تضمنه موطأ الإمام **مالك بن أنس** من حديث **رسول الله ﷺ** ، إلَّا أنَّ مما هو جلي وواضح تعدد مواضيع الكتاب وتداخلها ، فهو في الحديث وعلومه ؛ من مصطلح وجرح وتعديل ، وأحوال الرجال وأخبارهم ، وهو في فقه السنة وأحكامه ومذاهبه ، وهو أيضاً في اللغة وقواعدها وآدابها وشواهدها من شعر ونثر .

وصف الكتاب

قسم **الحافظ ابن عبد البر** كتاب التمهيد إلى مقدمة ومدخل وكتاب شرح فيه أحاديث الموطأ . أما المقدمة فهي التي استهل بها الكتاب ، وعقدها للحديث عن الدوافع التي حملته على تأليفه ، وعن المنهج الذي سلكه فيه ، وتحدث فيها أيضاً عن مذهب **الإمام مالك** في الاحتجاج بالمرسل ، وناقش المسألة وختمها ببيان مذهبه وتوضيح أسباب اعتماده رواية **يحيى بن يحيى الليثي** وطرق روايته للموطأ .

وأما المدخل ـ وهو الذي يعرف عند العلماء بمقدمة التمهيد ـ فهو في مصطلح الحديث ، وقد بدأه بباب معرفة المرسل والمسند والمنقطع والموقوف ومعنى التدليس ، ثم تعرض لباب بيان التدليس ، ومن يقبل نقله ويقبل مرسله وتدليسه ومن لا يقبل منه ذلك .

وختم هذا المدخل بباب ثالث في ذكر عيون من أخبار **الإمام مالك** وذكر موطّئه .

بعد ما فرغ من المقدمة انتقل إلى الموضوع الأصلي للكتاب ، وهو شرح أحاديث الموطأ ، وقد رتب ذلك في واحد وعشرين باباً ، مرتبة على أسماء شيوخ **مالك** حسب حروف المعجم حيث جعل لكل

عالم وكتاب

حرف باباً ضمنه جميع الأحاديث التي رواها **مالك** عن شيوخه الذين تبدأ أسماؤهم بالحرف المماثل ، وقد بدأ بحرف الألف وانتهى بحرف الياء ، وأتبع ذلك بباب الكُنَى ، وحصر فيه من اشتهر بكنيته ، ثم بباب بلاغات **مالك** ومرسلاته ، وختم ذلك بباب ذَكَرَ فيه الأحاديث التي دوَّنها **مالك** في الموطأ .

والتمهيد كتاب ضخم يضم عشرة أسفار[١١] أو عشرين مجلداً[١٢] أو سبعين جزءاً[١٣] ، وتقوم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية بتحقيقه ونشره .

منهج ابن عبد البر في التمهيد

مما لا يخفى علينا أن موطأ **الإمام مالك** ـ الذي هو موضوع الكتاب ـ يقوم على تقسيم الأحاديث على الأبواب الفقهية ، عكس المسانيد التي تصنف الأحاديث تبعاً لرواتها ... وقد اجتهد ابن عبد البر فجعل التمهيد على هيئة المسانيد ؛ إذ رتَّبه على حروف المعجم حسب أسماء شيوخ مالك الذين روى عنهم أحاديث الموطأ ، يقول **ابن عبد البر** :

« ... **وجعلته على حروف المعجم في أسماء شيوخ مالك رحمهم الله ليكون أقرب للمتناول**[١٤] .

ثم إنه وصل كل مقطوع جاء متصلاً في رواية أو روايات أخرى عند غير مالك ، وكذا كل مرسل جاء مسنداً من غير طريق **مالك** ، فأقام بذلك الدليل على صحة الأحاديث التي رواها **مالك** في الموطأ ورسوخها ، ولْنتمعَّن في هذا التأكيد من **ابن عبد البر** :

« ... **ومن اقتصر على حديث مالك رحمه الله فقد كُفي تعب التفتيش والبحث ، ووضع يده من ذلك على عروة وثقى لا تنفصم ، لأن مالكاً قد انتقد وانتقى وخلص ولم يرو إلا عن ثقة حجة وسترى موقع مرسلات كتابه وموضعها من الصحة والاشتهار في النقل في كتابنا هذا إن شاء الله** »[١٥] .

عندما يتصدى **ابن عبد البر** لشرح الأحاديث فإنه يقسم عمله إلى شطرين ، شطر أول يناقش فيه سند الحديث ، فإذا كان الحديث مرسلاً أو منقطعاً فإنه يذكر الطرق المختلفة التي رُوي بها الحديث من غير طريق **مالك** ويناقشها مناقشة علمية ، ثم يتناول رجال السند بالدراسة معتمداً على أقوال العلماء في أخبارهم وأحوالهم ، فإذا انتهى من ذلك انتقل إلى الشطر الثاني من عمله حيث يقبل على متن الحديث بشرحه ويبين ما اشتمل عليه من فوائد وأحكام فقهية معتمداً على آراء شيوخه وفقهاء الصحابة والتابعين ، يقول المؤلف :

« ... **وذكرت من معاني الآثار وأحكامها المقصودة بظاهر الخطاب ما عوّل على مثله الفقهاء أولو الألباب ، وجلبت من أقوال العلماء في تأويلها وناسخها ومنسوخها وأحكامها ومعانيها** ... » .

قيمة التمهيد

لعلَّ من نافلة الكلام أن أردد القول عن مكانة التمهيد وعظيم أثره ، وحسبي هنا أن أعطي شذرات عن قيمة هذا المصنَّف وأورد بعض أقوال العلماء فيه قديماً وحديثاً ، فالتمهيد يعدّ بمثابة دائرة للمعارف ، فيه يجد طالب الحديث بغيته ، ومنه ينهل طالب علوم الحديث ومصطلحه ، ومثله طالب التاريخ وأحوال الرجال ، أما طالب الفقه ففي التمهيد مبتغاه ؛ فيه يطلع على الآراء والمذاهب الفقهية منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم إلى عصر المؤلف ، ولعلَّ هذا ما جعل **ابن عبد البر** يعتز بالتمهيد وينشد فيه قائلاً[١٦] :

سمير فؤادي من ثلاثين حجة
وصاقل ذهني والمفرج عن همي
بسطت لكم فيه كلام نبيكم
لما في معانيه من الفقه والعلم
وفيه من الآداب ما يُهتدى به
إلى البر والتقوى وينهى عن الظلم

وقد انتزع كتاب التمهيد من ابن حزم الظاهري ثناءه وإعجابه فقال فيه :

« ... **التمهيد لصاحبنا أبي عمر يوسف بن عبد البر ـ وهو الآن في الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة ـ وهو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً ، فكيف أحسن منه** ... »[١٧] .

ويقول الدكتور عبد الله بن صديق الغماري محقق الجزء السابع من التمهيد : وليس فيما كُتب على الموطأ من شروح ما يضاهي كتاب « **التمهيد** » أو يوازيه لاشتماله على خصائص لم تجتمع في غيره ، منها :

* إشباع الكلام على طرق الحديث ورواياته المحفوظ منها وغير المحفوظ مع التنبيه على ذلك .
* حكاية مذاهب الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب .
* ترجيح ما يراه راجحاً والاستدلال عليه .
* التنبيه على الأقوال الضعيفة .
* التعرض لما في الحديث من بحوث لغوية وفوائد تتعلق بمكارم الأقوال ومحاسن الأعمال .
* إسناد أحاديث لم توجد في غيره مسندة ، بحيث إن الحفاظ يعزونها إليه كما يعزون إلى الدارقطني والبيهقي .

ويمكن أن نقول : إن شرح الموطأ كان دَيْناً على المالكية أدَّاه عنهم **الحافظ ابن عبد البر** بكتاب التمهيد . وإذا قال الشافعية في حق البيهقي : إنَّ له مِنَّةً على الإمام الشافعي لأنه خدم كتبه وخرَّج أحاديثها وأيَّد مذهبه ، فَلَنا أن نقول : **إنَّ لابن عبد البر مِنَّةً على الإمام مالك لأنه خدم موطاه ووصل منقطعاته ومرسلاته ، وأسند بلاغاته ، وبيَّن مبهماته وعدَّد طرق موصولاته حتى أظهره بالوجه اللائق بمقام الإمام مالك وعلوّ رتبته** .

---

(١) وَفَيَات الاعيان : ٦/٦٩ تحقيق محيي الدين عبد الحميد . والديباج المذهب لابن فرحون ص ٣٥٩ .
(٢) جذوة المقتبس للحميدي : ٣٦٧ ٧
(٣) بغية الملتمس لاحمد الضبي : ٤٨٩ .
(٤) الصلة لابن بشكوال : ٢/٦١٨ .
(٥) الديباج المذهب لابن فرحون : ٣٥٨ ، ووفيات الأعيان : ٦/٦٥ ، وشذرات الذهب : ٣/٣١٦ .
(٦) جذوة المقتبس : ٣٤٤ .
(٧) رسائل ابن حزم : تحقيق الدكتور إحسان عباس .
(٨) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر : ١/٣ .
(٩) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : ١/٣٠٢ الطبعة المغربية .
(١٠) المصدر نفسه : ١/٨ .
(١١) بغية الملتمس للضبّي : ٤٩٠ .
(١٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض : ٨/١٢٩ الطبعة المغربية .
(١٣) الصلة لابن بشكوال : ٢/٦١٨ والرسالة المستطرفة للكتاني : ١١٣ .
(١٤) التمهيد : ١/٩ .
(١٥) المصدر نفسه : ١/٦٠ .
(١٦) ترتيب المدارك : ٨/١٣٠ .
(١٧) رسائل ابن حزم : ٢/١٧٩ ، وبغية الملتمس : ٣٤٥ ، وتذكرة الحفاظ : ٣/١١٢٩ .

١

النظرية السياسية وأبعاد الضغوط الخفية

بقلم : أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

الضيـــاع العربي ... وبواعث الانتماء

الغالب على التفكير العربي الحديث أن النظرية السياسية التي لها صفة الصبغة العلمية هي ما تمذهبت فيه العقول الحضارية في أوروبا والولايات المتحدة والمعسكرين الشيوعيين .

والمسوغ لهذه العقيدة الاتكالية عوامل كثيرة من أعباء الضياع العربي منذ فقده القيادة الواحدة ؛ وأوجز هذه العوامل في التالي :

أولاً : إن تمذهب النظريات السياسية نشأ بعقول الأجناس البشرية التي حققت العلم المادي في مصاحبة زمانية ومكانية .

ثانياً : إن تلك الأجناس في جمهرة تفكيرها تخضع لمبادىء عدمية تشك في قيم الماضي ولا تطمع فيه بِجِذْر .

وهذا - على حسن النية - غرور فكري وجحدان مبطّن لأهمية البدايات وما فيها من تعبيد المسالك والإراحة من عناء المعاودة لأكثر من تجربة أثبتت البدايات فشلها .

كما أنه جحدان إرادي - لا فكري - لما في الماضي من ثوابت .

وبهذين العاملين رسخت عقيدة باحتقار العربي لماضيه .

وزهد في مواهب حاضره لسوء حظ العربي اليوم في سلوكه ، ولسوء الظروف التي لم تتح له مناخاً تعمل فيه موهبته .

ثالثاً : عدم تفريق العربي الحديث بين الممارسة للعلم المادي الذي أخفق فيه لسوء الظروف ، وبين صواب الفكرة النظرية والعملية التي يملكها العربي بمواهبه وثقافته وإشرافه على تجارب الأمم في حقول السياسة والإرادة والنظام والفلسفة والأدب والتاريخ والفن إلى آخر المعارف النظرية والوجدانية .

وبهذا أصبح كل مفكر في بلاد الحضارة المادية أحق بالتقدير عند العربي الحديث من المفكر في بلاده ، لأن السبق العلمي المادي الراهن ليس لبلاده .

وهو في نطاق النظرية السياسية على وجه الخصوص .

رابعاً : إن العربي الحديث يجد في أجزاء بلاده نظماً سياسية متخلفة إذا قارنها بالنظم السياسية في الغرب . وأقل ملحظ في المعادلة : إنه يرى الواقع السياسي في الغرب تعبيراً عن إرادة محددة منضبطة ، ويراها في بعض الأجزاء العربية والإسلامية فرضاً لإرادات متناقضة .

وهو يحكم بتخلفها قياساً على سياسات الغرب وإن لم ير أن سياسات الغرب هي المثل الأعلى .

ولو لفت انتباهه إلى أن في مأثور الرقعة العربية الإسلامية مثالاً أعلى للسياسات البشرية إلَّا أن ذلك المأثور معطل : فإنه يزم أنفه ، وربما رَغْشَتْه رعدة الاشمئزاز ، لأن قبح السيرة حجب عنه جمال وعبقرية النظرية المأثورة المعطلة .

خامساً : إن الأجناس البشرية في الدول الحضارية التي بلورت عقولها مفاهيم سياسية يعشقها العربي المعاصر : تبلورت بمواقف جدلية من التراث ، لأن مأثور تلك الشعوب : إمَّا فكر بشري ليست فيه شائبة العصمة ، وإمَّا أديان محرفة مبدلة أكثرها من صنع البشر .

فَجَهَد العربي أيَّما جهد إذ نقل الموقف الجدلي للأجناس البشرية الحضارية إلى ساحة الرقعة العربية الإسلامية .

وفي هذا النقل إصرار على أن المأثور العربي لا يحمل ثوابت نزَّلها خالق العقول والمواقف والمنافع والغايات .

إنَّ ممَّا يُمَجَّدُ لدى الشعوب الحضارية : نظريات الرواد من أمثال : « توماس هوبز » في كتابه : « لواياثان » و « التنين » ، و« لوك » في كتابه : « رسالة في الحكومة المدنية » ، و « روسو » في كتابه : « العقد الاجتماعي » ، و « ديفيد هيوم » في مقاله : « في العقد الأصلي » ، و « هيجل » في كتابه : « فلسفة الحق » ، و « سبينوزا » في كتابه : « رسالة في اللاهوت والسياسة » ، و « رسل » في نقده لـ « روسو » ، وعشرات غيرهم .

وهؤلاء لهم مواقف جدلية عنيفة مع الماضي .

ولكن أي ماضٍ هو ؟

إنه مثلاً جمهورية أفلاطون يوم كان الفكر البشري طفلاً !

أو إنجيل محرَّف مبدَّل يرى أن كلمة الله للحياة الخاصة ، أما دين الدولة فهو القانون المدني الوضعي والرأي العام .

النظرية السياسية وأبعاد الضغوط الخفية

● لسذاجة معظم دارسي الفلسفة الحديثة في بلادنا ، أو لعدم اهتمامهم بربط الفكر ببواعثه أصبح « سبينوزا » اليهودي عندهم مبجلاً ، بل إن مترجم كتابه « رسالة في اللاهوت والسياسة » قدم له بمقدمه كلها تبعية مستسلمة ●

ومن ها هنا جاءت فكرة : « الدين لله والوطن للجميع » .

وإذا استقرات واقع السياسة في الشعوب المتقدمة مادياً وجدته يدور على سلطتين :

اولاهما : سلطة النظرية الإيديولوجية (دكتاتورية الحزب العلماني) .

واخراهما : سلطة الديمقراطية (دكتاتورية الشهوات والمنافع التحليلية) .

وبهذا فمن المؤكد انه لا حلم مطلقاً بدولة ليست سلطتها منبثقة من دين او مذهب فكري او تحليلي .

اي انه قبل الاتفاق على نظرية سياسية لا بد مسبقاً من الاتفاق على دين ، او مذهب ، او منفعة يكون من عناصر اي منهن بنود العقد بين الحاكم والمحكوم .

والمدخل لكل نظرية بلا ريب منطق الحقيقة ، وهو العقل وتفكيره .

وبهذين المدخلين استعرض بعض النظريات السياسية مرجئاً أبعاد الضغوط الخفية واعباء المفكر المخلص لتكون نتائج وثماراً لهذه الأبحاث .

« سبينوزا » والنظرية السياسية : العلاقة الجدلية بين فكره وظروفه التاريخية

« بندكت سبينوزا » [١٦٣٢ - ١٦٧٧م] : فيلسوف هولندي يهودي ، اصل اسرته من يهود إسبانيا .

من اساتذته الحاخام « منشه بن إسرائيل » الذي تفاوض مع « كروميل » بشان عودة اليهود ثانية إلى انجلترا .

بين فكر الرجل وتاريخ حياته علاقة جدلية دالَّة على الذكاء وإحكام حيل التضليل .

ولسذاجة معظم دارسي الفلسفة الحديثة في بلادنا ، او لعدم اهتمامهم بربط الفكر ببواعثه - كمجمعات التخريب السرية - أصبح « سبينوزا » عندهم مبجَلاً .

بل إن مترجم كتابه : « رسالة في اللاهوت والسياسة » قدم له بمقدمة كلها تبعية مستسلمة ، وقارن بينه وبين الفيلسوف العالم المؤمن « ديكارت » فرجح كفة « سبينوزا » لإلحاده ، واشاد بقدرته على تطبيق منهج « ديكارت » العقلي في موضوعات اسلف « ديكارت » ببصيرة ثاقبة عدم خضوعها للمنهج الديكارتي .

وليس هـذا مكان بسط هذه الناحية .

ولم يلتفت دارسو الفلسفة الحديثة من العرب إلى علاقة فكر « سبينوزا » بوكره الموبوء ، لا بمنظار حرية الراي ، ولا بمنظار العقيدة الإسلامية ، ولا حتى بمنظار القومية والوطنية .

على انني لا اعبا بالمنظارين الاخيرين ، وإنما حسبي أن جمهرة المعنيين بالفلسفة الحديثة من العرب يحتفون بهذين المنظارين .

كما انهم يحتفون بالتجرد للحقيقة وإن كانت مجرد دعوى بلسان الشيطان .

والواقع انهم محكومون بمناهج لم تبتدعها أصالتهم ، ولم تمتحنها مواهبهم ، وان عقولهم مؤممة لمعلميهم من ملاحدة الغرب وفيهم علمانيون وماسونيون .

يعجب هؤلاء في سيرة « سبينوزا » انه متجرد للحقيقة رغم يهوديته ، لانه نقد العهد القديم كما نقد العهد الجديد !!

وانه لم يصغ لنداء ابناء ملّته لما اغروه بالمال ليعود إلى عقيدتهم ، ولهذا حرم من الكنيس .

وانَّه غَيَّرَ اسمه العبري (باروخ) إلى (بندكت) .

ويعادل هذه السيرة من فكر « سبينوزا » : أنه يدعو إلى التسامح مع الاديان ما دامت لا تضر سياسياً ، ويرى في هذا التسامح ميزة للفكر ، والعقيدة عنده حسنة ما دامت تعمل على الحياة الفاضلة .

ومقياس الحياة الفاضلة عنده مفهوم من ميزة النظام الاجتماعي الذي يكون حسناً إذا حقق للمواطنين الذين يعيشون في ظله أمناً .

وبهذه المعادلة يكون فكر « سبينوزا » فكراً متجرداً للحقيقة ، وبهذا فلا مانع من ان يكون هذا الفكر اليهودي معلّماً في نهضتنا العربية .

ولكن باستنباط العلاقات الجدلية بين طرفي المعادلة الآنفة الذكر أوضِّح للمفكر العربي عكس ما تصوره ، فإليكم عناصر العلاقة :

اولاً : لم يتجرد « سبينوزا » عن يهوديته ، ومنزعه هذا بيِّنٌ من كتابه « رسالة في اللاهوت والسياسة » ، وإن انتقد العهد القديم ، وسيرد بيان ذلك إن شاء الله .

بل توفر في آخر حياته لترجمة العهد القديم إلى الهولندية ليساعد رفاقه على فهم الإنجيل الذي أسيء فهمه !!

وقد اتقن « سبينوزا » فن شحذ العدسات وصقلها لكسب معيشته مع ان حرفته الفكرية تيسر له بحبحة ، ولكنه مأخوذ

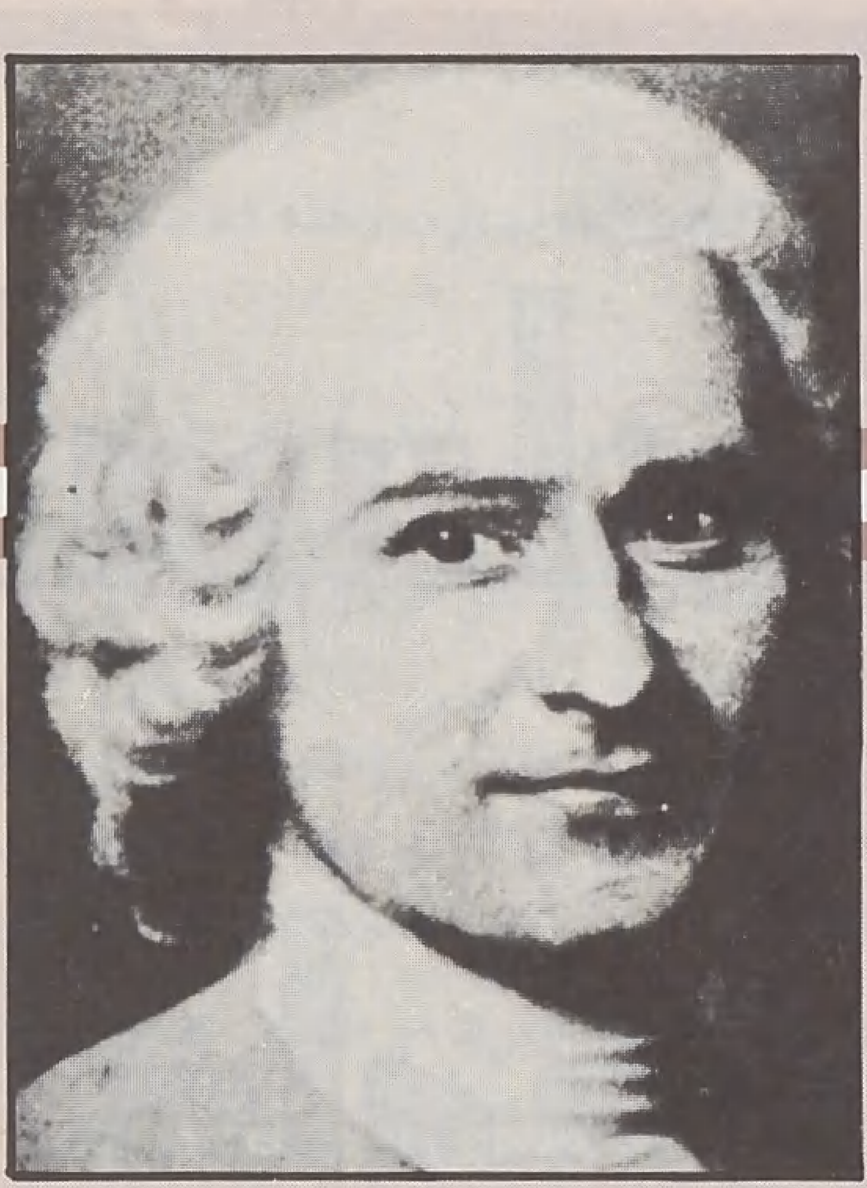

● جان جاك روسو ●

● هيجـل ●

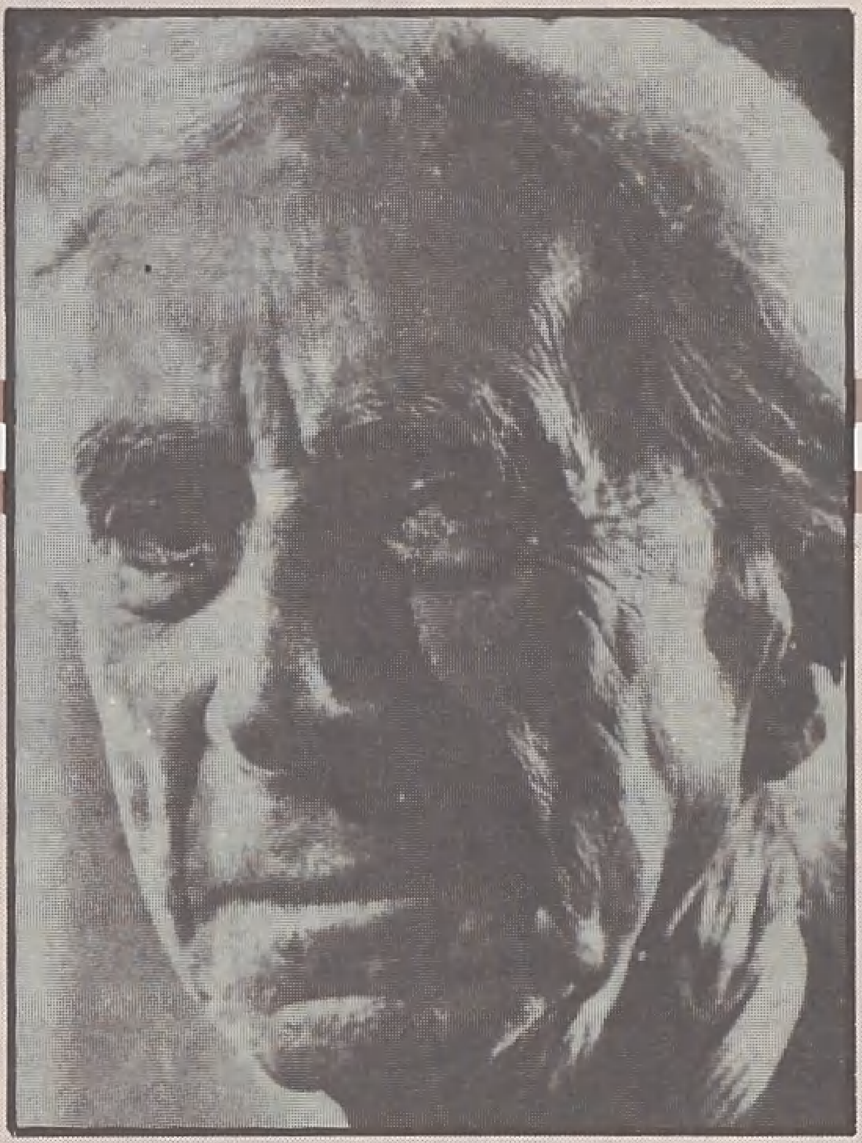

● برتراند راسل ●

● العجز عن التفريق بين الممارسة للعلم المادي وبين صواب الفكرة جعل كل مفكر في بلاد الحضارة المادية أحق بالتقدير عند العربي الحديث من المفكر في بلاده ●

بالعرف اليهودي الموجب على اليهود تعلم حرفة .

ثانياً : إن نقد « سبينوزا » للعهد القديم بقضايا لا يؤمن بها ـ حسب عقيدته اليهودية الراسخة ـ وجه من وجوه التضليل الماسوني في التذرع إلى نقد الأديان وخلخلة الإيمان .

وهو بهذا يداري غضبة الهولنديين وجيرانهم من ضحايا الماسونية المعروفين بالبروتستانت ويجاورهم ايضاً جالية اليهود من إسبانيا لمعاداتهم للكثلكة .

وجالية اليهود يحرصون على كتم الإلحاد والإباحية حتى لا يقاومهم الهولنديون الأصلاء ويطاردوهم . فلما أراد « سبينوزا » تنفيذ مخطط الماسونية في نشر الإلحاد تظاهر بالتجرد ، وذلك بنقده لليهودية .

ثالثاً : لا ضير على عقيدة « سبينوزا » وإن نقد اليهودية ، لأن هدم الأديان الأخرى من شرف الغاية في عقيدة اليهود يغتفر لها كل وسيلة ، ولأن اليهود لا يبشرون بدينهم ، فلا تهمهم سمعة العقيدة ، وبحسب العامي اليهودي العلم بأن نقد علماء اليهود لدينهم ليس على حقيقته ، وانه وسيلة تسوغها الغاية .

رابعاً : الواقع ان « سبينوزا » استحسن العقيدة بشرط يُسقط ذلك الاستحسان ، لأن قيام نظريته السياسية على قانون الشهوة الطبيعي لا يترك وجوداً لعقيدة تُستحسن

خامساً : لو كان « سبينوزا » متجرداً للحقيقة فيما عرضه من شبه الإلحاد : لكان صادقاً في عرضه وتناوله دون مراوغة .

وخذ على سبيل المثال كلمة الجلالة (الله) يثبتها ويجردها من معناها الحقيقي لتكون عبارة عن الكون المخلوق .

وحب الله ـ المجرد من معناه الحقيقي ـ لا يقتضي عقيدة المعاد ، لأن من يحب الله لا يرجو ثواباً في الأخرىٰ ، بل الخلود في الدنيا بأن نشارك الله في غبطته بمعرفة ذاته فيكون لنا في الدنيا كمال وخلود .

إن « سبينوزا » لا يعرض عقيدة صحيحة في فكره فَرضت عليه الإلحاد ، وإنما يهدف إلى استلاب يقين الآخرين لا بحجة بل بمراوغة .

فهو يمهد بجحد الإلٰـه ، وبجحد ما يترتب على الإيمان به من عقائد .

ولو كان صادقاً مع نفسه لاسترسل في فكره دون منعطفات وثنايا .

ولكنه يعود إلى تلك العقائد وكأنها تعني شيئاً موجوداً ـ وذلك بخلاف ما نفاه ـ فيؤولها ليخرجها عن مدلولها الحقيقي .

وهي مراوغة يرسمها التخطيط الماسوني ، ويقتضيها ظرفها التاريخي ، لأن « سبينوزا » كتب تلك الرسالة الكافرة لمخادعة الهولنديين بعد انكشاف مخازي اليهود .

ذلك ان الإنجليز هزموا أسطول الهولنديين ، فثاروا على « آل دي ويت » لتسامحه في الإباحية والإلحاد .

فألَّف « سبينوزا » هذه الرسالة ليقنع الهولنديين بأن الإنجيل الذي قام بهدمه مصدر للحياة الفاضلة المعقولة ، لأنه لا يجيز التعصب والعنف ضد من ينشر الإلحاد والإباحية !!

ولم يخف على الهولنديين ـ كما لم يخف على بعض اغبياء الشرقيين ـ كيد هذا اليهودي الملعون ، فادانه رجال اللاهوت .

وهكذا سحب من المطبعة كتابه : « الأخلاق » . إذن من الخذلان الذي يغيظ الأسلاف ويذل المستقبل : أن يتساذج العربي المسلم فيفصل بين الفكر وبين الوكر الموبوء لصاحبه ، لا سيما إن كان من أمَّة لا تحسن إلَّا الغدر والتضليل والعداء الضاري للبشرية .

ثم يزيد في البوق بحَّـة فيجعل فكر هذا اليهودي مثالاً للفكر المتجرد ، ويتغنى غناء « رومانسياً » بعبقريته .

والعجب ان المترجم ـ وهو الدكتور حسن حنفي ـ تنصل من تعريف القارىء بـ « سبينوزا » ، لأن ذلك من باب التعالم !

واكتفى بالمهمة الحقيقية ـ حسب اعتقاده ـ للمقدمة ، وهي بسط افكار الكتاب ونصرها !

قال ابو عبد الرحمن : لست انكر عبقرية هذا الفرخ ـ أعني « سبينوزا » ـ وامثاله ، إلَّا انها عبقريه يرفضها خلق المسلم لفقدان عنصر الصدق وحسن النية .

كما أن المتفلسف العربي غَنًى بما يؤذيه من تضليل تلك العبقرية دون تبصر في مقوماتها وبواعثها ليأخذ ما يقبله عقله وضميره ويرفض ما لا يرضيه من ذكاء الشياطين . أَوَلَم يقل عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لست بالخب ، ولا الخب يخدعني » ؟ .

الفتاة المسلمة و المجتمع الجامعي

■■ لا بد أن نعترف بأننا حين فتحنا باب المناقشة حول قضية « الفتاة المسلمة والمجتمع الجامعي » - (بالعدد الخامس والخمسين - رجب ١٤٠٥هـ) - لم يكن في تقديرنا أن يبلغ اهتمام الإخوة والأخوات وإثراء المناقشة بآرائهم وأفكارهم هذا القدر الكبير الذي يعبر عنه حجم الرسائل التي بعثوا بها إلى باب « الأسرة المسلمة » .

هذا بالإضافة إلى مساهمتهم الإيجابية في مناقشة ما طرح بعد ذلك من قضايا شغلت هي الأخرى حيزاً كبيراً من اهتمامهم - منها قضية « الحجاب - وموقف الأسرة والمجتمع » التي طرحتها الأخت « هبة » - من الأردن - وقضية « المرأة المسلمة وقضايا المجتمع الإسلامي » التي طرحتها أخت مسلمة من تونس : بالعدد السادس والخمسين في تعليقها على أسباب قلة نسبة مشاركة المرأة في استطلاع الرأي الذي أجرته «الأمة» .

وسوف نقوم بنشر جوانب من المناقشة حول هاتين القضيتين في أعداد قادمة - بإذن الله - أما في هذا العدد فقد وعدنا بمتابعة المناقشة المفتوحة حول : الفتاة المسلمة والمجتمع الجامعي ■■

ملاحظات

■ نود - قبل أن نبدأ بطرح الآراء والأفكار التي تضمنتها رسائل الإخوة والأخوات - حول قضية « الفتاة المسلمة والمجتمع الجامعي » أن نورد بعض الملاحظات :

• إن هذه القضية قد أثارتها في الأصل رسالة إحدى الأخوات « رضا عيسى محمد » إلى « بريد الأمة » ، ونحن نعتبر من جانبنا أن مثل هذه الرسائل من مصادرنا الأساسية التي نتعرف من خلالها على ما يشغل الأسرة المسلمة : والمجتمع والرأي العام الإسلامي ، وهي في الوقت نفسه تعبر عن الثقة العميقة والعلاقة الوثيقة القائمة بين القارىء ومجلته : « الأمة » .

إن الهدف من طرح وجهات النظر المختلفة حول هذه القضية وغيرها من القضايا هو الوصول إلى رؤية واضحة تحدد أبعادها وتوفر التصور الصحيح بشأنها : تمهيداً لإيجاد الحل المناسب من ذوي الاختصاص من الأطراف المعنية ، وهذا لا يعني بالضرورة أننا نرجح وجهة نظر معينة على أخرى خلال عملية الطرح ..

إن مشكلات المسلمين في كل مكان مشتركة وجذورها واحدة ، ولذلك فلا غرابة في أن تتفق أكثر من رسالة في تحليل المشكلة إلى عناصرها الأساسية أو في اقتراح الحلول بشأنها ، وإن ما نختار نشره من رسائل ، يمكن أن نعتبره أنموذجاً لمجموعة من رسائل الإخوه والأخوات ، التي تضمنت رؤية واحدة للقضية ومعاني مشتركة حولها ■

عناصر المشكلة

■ جاءت مناقشة الأخ علي سحلب - من الأردن - لقضية « تعليم الفتاة المسلمة بين الالتزام الإسلامي وظروف المجتمع الجامعي المعاصر » لتضع في الاعتبار بعض العناصر الهامة التي يرى أنها وثيقة الصلة بأصل القضية وهي : طلب العلم - الاختلاط - العمل والوظيفة ... ويتساءل في مستهل المناقشة : لماذا الفتاة المسلمة فقط ، وليس الشاب المسلم أيضاً ؟ وإذا كان لا يجوز للفتاة المسلمة أن تدرس في الجامعة المختلطة فهل يعني هذا أن الأمر جائز بالنسبة للشاب ؟!

• ثم يبدأ في طرح عناصر المشكلة على النحو التالي :

كلمة

عقد المرأة

□□ في يوليو من هذا العام ١٩٨٥م ، ينتهي عقد المرأة ، أو السنوات العشر التي خصصتها الأمم المتحدة للمرأة في اجتماع خاص بعاصمة المكسيك سنة ١٩٧٥م - لمناقشة قضاياها ، وتقرر أيضاً أن ينعقد عام ١٩٨٠م بـ « كوبنهاجن » مؤتمر نصف العقد لاستعراض ما تم من إيجابيات وسلبيات - حضره في ذلك الوقت من ممثلي وممثلات الحكومات والتنظيمات غير الحكومية ثمانية آلاف ، وصدر عنه ميثاق حقوق المرأة ، خالياً من أي إسهام أو صوت لهيئة أو مؤسسة للمرأة المسلمة تثير به قضاياها - وما أكثرها - في العالم الإسلامي وغير الإسلامي ، قضايا أم المسجون والمعتقل والشهيد ، وأخته وزوجته ، في ظل الاحتلال الصهيوني ، أو في ظل نظم القهر والاستبداد ومصادرة الحريات ..

ونذكر هنا أنه في اجتماع « كوبنهاجن » ، قالت مندوبة إسرائيل : «إن وضع المرأة العربية في الضفة وغزة أفضل منه قبل الاحتلال ، بل وأفضل من وضع المرأة في بعض البلاد العربية ، فهي في ظل الاحتلال تمتلك غسَّالة وهاتفاً وثلاجة وتلفزيوناً» !! بصرف النظر عمَّا إذا كانت تمتلك حريتها !..

إن الشيء الوحيد الذي أثير في هذا الاجتماع ويتصل بقضايا المسلمين هو التحفظ الذي أعلنه وفد إحدى الدول المشاركة (مصر) على ميثاق حقوق المرأة : بأن لا تتعارض مواده مع مبادىء الشريعة الإسلامية ...

ولا يزال الطريق أمام المرأة المسلمة ومنظماتها طويلاً لتأكيد دورها ، والدفاع عن حقوقها ؛ وكشف الأهداف البعيدة التي ترمي إليها مثل هذه المؤسسات ، والجهات التي تتحكم بها . □□

يقول ابو الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ في كتابه « الحجاب » :

« إن الإسلام لم يكتف بان اجاز تعليم المراة العلوم الدينية والمدنية ، بل جعله لازماً لزومه للرجال ، والإسلام لم يميز بين الرجل والمراة في حق التعليم والتربية ، ولكن ، ـ لاريب ـ يفرق بينهما من حيث نوعيته ، فالتعليم والتربية للمراة من وجهة نظر الإسلام هو الذي يجعلها زوجة مثالية واماً رؤوماً ، وربة بيت مدبرة .

ولما كان مجال نشاط المراة هو البيت ، فيجب ان تعلم المراة على وجه خاص تلك العلوم التي تجعلها مفيدة إلى أبعد حد في هذا المجال ، وبعد ذلك تاتي العلوم التي تعلم المرء كيف يرتقي بإنسانيته وخلقه ، وتوسع من افق نظره .. ثم إذا كانت امراة قد آتاها الله بعد ذلك عقلاً وفكراً ، فصبت بنفسها إلى ان تتعلم ما عدا ذلك من العلوم والفنون ، فالإسلام لا يعترض سبيلها ما دامت لا تتعدى الحدود التي وضعها الشرع لبنات جنسها » .

اما الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ فيقول في كتابه « المراة بين الفقه والقانون » ... « ومما لاريب فيه ان لجهل المراة المسلمة في العصور الأخيرة اثراً في تاخر المسلمين ، فالأمهات الجاهلات ينجبن ابناء جاهلين خاملين ، لذا كان من النهضة المحمودة ان يفتح للفتاة باب التعليم وان تكثر الزوجات المتعلمات والأمهات المتعلمات ... » .

ومن المعروف ان تعلم علوم الدين فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، اما باقي العلوم والفنون الضرورية لحياة المجتمع الإسلامي فهي من فروض الكفاية التي يقع الإثم على الأمة كاملة إذا لم يوجد من يسد حاجة الأمة فيها ...

● ويضيف : ... وبعد هذا الإيجاز الشديد في قضية تعليم المراة نحاول ان نتناول موضوع الاختلاط ، وهو وثيق الصلة بالقضية ، حيث اصبح عدم الاختلاط امراً شبه مستحيل في المجتمعات المعاصرة ـ إلا من رحم ربي ـ .

يقول الدكتور مصطفى السباعي : « لا يجيز الإسلام ان تختلط المراة بالرجال في الحفلات العامة والمنتديات ـ ولو كانت محتشمة ـ إنما الذي يجيزه الإسلام ان تجتمع المراة مع الرجال في ثلاثة مواطن ...

اولاً : مواطن العبادة ، فيجوز ان تحضر صلاة الجماعة على ان يكون مكانها منفصلاً عن الرجال قدر الإمكان .

ثانياً : اماكن العلم ، على ان تكون منفصلة عنهم حتى في قاعة الدرس الواحدة ، وان تكون بكامل لباسها الشرعي الذي لا يبدي سوى وجهها وكفيها ...

ثالثاً : في ميادين الجهاد حين يعلن النفير العام فتخرج للجهاد مع الرجل على ان تكون منفصلة عنه ، لها مكانها الخاص ، وتجمّعها الخاص ...

هذا الذي يقوله الدكتور السباعي يكون في بلد يحكمه الإسلام وتطبق فيه شريعة الله ، وياخذ بالاعتبار كل ما سبق من الشروط والتحفظات .. اما والحالة كما نرى من إبعاد شريعة الله عن حياة الشعوب الإسلامية ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ حيث لا مجال للتعليم إلا في جامعات ومعاهد مختلطة في معظمها ، بل إن بعض الجامعات في بلاد المسلمين تمنع دخول الشباب الملتحين والفتيات المحجبات لأسباب ومعاذير عجيبة وغريبة ، في مثل هذه الظروف الصعبة ، كيف يستطيع الشاب المسلم والفتاة المسلمة ان يخوضا معركة العلم ، ويخرجا محتفظيْن بدينهما واخلاقهما ، ثم ليدخلا بعد ذلك معركة العمل التي هي اشد وَطْأً واعظم خطراً ...

ثم إن من الواجب على كل مسلم أن يسعى لتغيير حال هذه الأمة إلى حيث يحكم فيها بشريعة الله سبحانه وتعالى ، وهذا الواجب ، في حد ذاته ، لا يتحقق إلا من خلال نقله نوعية ، يتعاون فيها المسلم والمسلمة المتعلمان الواعيان ، كل في حدود طاقته ومجال نشاطه .. وانّى لهم أن يحققوا ذلك من غير ان يواجهوا الناس بدينهم بكل وعي وبكل ثقة ..

● وقبل أن يصل إلى نهاية رسالته .. يؤكد الأخ سحلب ، من خلال خبرة خمس سنوات في مناخ التعليم المختلط ، انه مناخ صعب ويحتاج إلى عزائم فتية ، صادقة في توجهها إلى الله تعالى ، وفي سعيها للتغيير .. ويضيف :

وأود أن أوجه هذه الملاحظات إلى كل أخ وكل أخت ممن يعانون المشكلة نفسها :

● لا يَفُتَّنَّ في عزيمتكم كثرة الداعين إلى الفساد والمروجين له .

● إن المعصية تذهب حلاوة الطاعة ، وإنه لا صغيرة مع إصرار ، فقلة غضّ البصر وكثرة الكلام والجدل من الصغائر غير انها تورث قساوة القلوب ..

● إن حبكم للناس يحتم عليكم أن تسلكوا كل سبيل لدعوتهم وهدايتهم وإن طال الزمن وعظمت التضحيات .

● إن الشرع الذي أجاز لكم ان تعيشوا هذا الجو المعكّر ، لم يجزه إلا لتكونوا اداة التغيير فيه ، فلا مبرر للدراسة والتعليم والوظيفة إذا لم يصاحبها تغيير أو محاولة التغيير .. وبالله التوفيق .

المسؤولية كبيرة والتخصص المطلوب

اما الأخت وفاء الحمري ، من المملكة المغربية ، فتتناول القضية من زاوية تعتمد على فكرة تقسيم العمل الإسلامي حسب الظروف المحيطة ... فتقول :

إن معظم الآراء التي وردت بالمناقشة ، التي دارت حول موضوع « تعليم الفتاة المسلمة بين الالتزام الإسلامي وظروف المجتمع الجامعي » انطلقت من التجربة الذاتية ، ولربما لا تعطي هذه التجربة الصورة الحقيقية الواضحة لأبعاد القضية ، التي تتطلب بحثاً وتحليلاً شاملاً كاملاً على جميع المستويات والظروف والملابسات بالنسبة للفتاة المسلمة الجامعية في جميع أنحاء بلاد المسلمين ، وحتى في بلاد غير المسلمين : وذلك لأن ظروف التعليم وطبيعة المجتمع تختلف من بلد إلى آخر ، فالفتاة المسلمة في بعض البلدان العربية لا تعاني من كثير من المشكلات التي تعانيها اختها المسلمة في بلد آخر ، وبعض الجامعات الإسلامية لا يتم فيها الاختلاط ، وهذا حافز مهم جداً لها لمواصلة الدراسة الجامعية في طمانينة وسلام ، ولا باس عليها أن تتابع دراستها بجد واجتهاد لتكون المدرسة والطبيبة المسلمة ، وبإمكانها أن تجمع بين الدراسة والحياة الزوجية بكل سهولة ...

غير أن هناك مجموعات أخرى كثيرة من الفتيات المسلمات الملتزمات ـ اسالوني عنها ـ تعاني في ظل ظروف قاسية من مضايقات ومواجهات كثيرة على جميع الأصعدة ، تجعلها لا تنجو بسهولة بإسلامها فما بالكم بدراستها الجامعية ... هذه الفتاة التي تعيش مثل تلك الظروف يسقط عنها الواجب الكفائي بأن تعمل في بعض المجالات وتسد الثغرات في المجتمع المسلم ، ولتترك هذا الواجب يؤديه غيرها من المسلمات ذوات الظروف المناسبة ، ويكفيها ما تحصل عليه من العلوم الإسلامية والتربوية من امهات الكتب والأسفار ، ومما تسمعه من أحاديث العلماء والمتخصصين ، وليكن أساس علمها : كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ ...

● ثم توجه كلمة .. تقول فيها :

اخواتي .. أود لو تفقهن كلامي .. فتعملن به .. إنني أدعو إلى تقسيم المهمات بين النساء المسلمات في أنحاء العالم ، فتتخصص كل فئة في قضية من القضايا الإسلامية حسب ظروفها ، ولا انصح أن تتحمل أية واحدة مالا طاقة لها به ، والمسؤوليات كثيرة ، وكلها تنتظر المسلمات المؤمنات التقيات ... وآخر دعوانا ان الحمد من رب العالمين ...

مواجهة أجيال

■ ويساهم الأخ أبو عامر ـ من المغرب ـ في المناقشة بتحليل طبيعة المنهج الدراسي الحالي في معظم الجامعات ومدى ارتباطه برسالة المراة المسلمة في الحياة بصفة خاصة ، وبمتطلبات الثقافة الإسلامية بصفة عامة ... فيقول :

الفتاة المسلمة و المجتمع الجامعي

● لا شك في أن الإسلام يمقت الجهل وأهله ، وأن الانحراف الذي أصاب البشرية قديماً وحديثاً إنما هو بسبب الجهل المركب ، ولذلك أقام الإسلام صرح العلم الصحيح وحث عليه … ولكن من يستطيع أن يجزم بأن مواصلة « التعليم الجامعي » هي السبيل الوحيد لإقامة العلم الضروري لتثقيف الفتاة المسلمة حسب ما يقتضيه دورها في عصر التحديات الكبيرة .

إننا لا ننكر أن شعب الاختصاص : اللغات ، الآداب ، والعلوم على اختلافها التي يتميز بها التعليم الجامعي ، هي من المجالات التي يتطلبها العلم الإسلامي الصحيح بل إنها إحدى مكونات التصور الإسلامي المعاصر ..

ولكن من المسلم به أيضاً أن منهج ثقافة المسلم وتحصيله للعلم يكتسي طابعاً إسلامياً خاصاً ، وله قاعدة ومقدمات وأولويات يقوم عليها أساسه ، وأن أي خلط في القيام بهذا المنهج يُعَدّ إساءة بالغة لحقيقة الإسلام نفسه …

إنه لا ينبغي لأحدٍ أن يقف في وجه تعليم المرأة المسلمة ، ولكن ما ينبغي لكل مسلم أن يعلمه هو أن هذا التعليم لا يقيم وزناً لدور المرأة المسلمة في الحياة ، فإذا أصابت الفتاة المسلمة منه ما يزيل أميّتها ويفتح أمامها سبيل الدراسة والتحصيل ، فأولى بها أن تعود إلى خدمة دينها ولغتها وسيرة نبيها ﷺ - دراسة وتحصيلاً لتقيم دينها على العلم الصحيح ، وتستعد بالتالي لمرحلة الزوجية والأمومة ، إن رسالة الزوجية والأمومة أخطر من عمل المرأة في المكتب والديوان ، لأنه بحكم العلاقة الفطرية بين الطفل وأمه ، فإنها الوحيدة التي تستطيع أن تلبي رغباته النفسية خلال مرحلة النمو .

● ويوجه في نهاية رسالته هذا الحديث . فيقول : واعلمي يا أختاه أن مواجهة التحديات والوقوف في وجه حضارة الإلحاد لا تكفي فيها الكلمة المكتوبة أو المسموعة ، وإنما هي مواجهة أجيال . والسبيل إلى كسبها والانتصار فيها يتم عن طريق إعداد جيل مسلم قوي ، وأنت تمثلين القاعدة الأولى لهذا الإعداد ، ولن يتم ذلك إلا في البيت ،داخل مجتمع الأسرة . وهذا لا يعني أنك جاهلة متخلفة وقابعة في البيت - والإسلام لا يقبل بالتخلف - وإنما الإهمال والحيف في القيام بدورك التربوي كاملاً - داخل الأسرة - هو التخلف بعينه ..

المـرأة المثقفـة

■ وتأتي رؤية الأخ سليمان خريش بشار - من الجزائر - لتشترك في كثير من جوانبها مع رؤية صاحب الرسالة السابقة - ثم تمتد لتضيف بعض التفاصيل حول المنهج الدراسي المقترح الذي يناسب الفتاة المسلمة ، على هذا النحو :

● … والدراسة التي تليق بالفتاة المسلمة قد تكون كالآتي :

- طور ابتدائي تتلقى فيه الطفلة الدراسة نفسها التي يتلقاها الطفل ، فتتعلم مبادىء القراءة والكتابة وبعد ذلك تدرس المواد الأخرى كالحساب والعلوم الطبيعية ضمن برنامج للعلوم الإسلامية : القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة النبوية وسيرة السلف الصالح ، والتاريخ الإسلامي … إلى غير ذلك …

- طور التعليم المتوسط والثانوي ، وفيه تتخصص الفتاة لأداء دورها التربوي المنزلي ، فيركز برنامج العلوم مثلاً على الوظائف الطبيعية للمراة كالحمل والوضع والرضاعة ، ثم دراسة علمية حول نفسية الطفل ، وأسس التربية الإسلامية . والفنون المنزلية والاقتصاد المنزلي .. مع تعميق دراستها للعلوم الإسلامية ..

أما الأخوات اللاتي يردن أن يخدمن الإسلام في مجالات الطب والتعليم ، فإننا نفضل أن يكنّ أولاً من المدن التي تكون بها جامعات ، فلا يصح لفتاة مسلمة أن تترك بيت أهلها لتلحق بالجامعة في مدينة أخرى ، ونفضل أن يكن متزوجات .

وبصفة عامة ، فإنني أرى أن المجتمع الإسلامي لا يحتاج إلى المراة المهندسة أو الموظفة أو السكرتيرة ، ولكن يحتاج إلى المراة المثقفة ثقافة إسلامية (بما في ذلك الثقافة العامة) لتربية أولادها ولتنظيم شؤون بيتها حتى يكون بحق بيتاً إسلامياً ، ومع ذلك فالإسلام يرحب بعمل المراة في بعض الميادين كالطب والتدريس في مؤسسات خاصة بالمراة وليست مختلطة …

مـا بعـد التخـرج

■ وحول قضية العمل في المؤسسات الخاصة غير المختلطة - في مرحلة ما بعد التعليم دارت مناقشة الأخ الدكتور خالد حسن المصيلحي - من المملكة العربية السعودية :

● … إن كل ما ذُكر في هذه المناقشة من آراء الفتيات المسلمات يعتبر بحق ذا أهمية كبرى ، حيث أجمعن على ضرورة أن تتسلح المراة المسلمة بسلاح العلم بدلاً من الانتظار - الذي لا يعلم مداه إلا الله - حتى يأتي الرجل المناسب - وأنا بدوري أشجع تعلم المراة ومشاركتها في جميع ميادين المعرفة والعلم التي لا تؤثر على طبيعتها الفسيولوجية ووظيفتها الطبيعية الأساسية كأم وزوجة ، شرفها الله تعالى بها ..

ولكن المشكلة - في حد ذاتها - لا تكمن في تعليم المراة أو دخولها الجامعة لمواصلة دراستها ، وإنما تكمن في إصرار الكثيرات منهن على العمل بعد التخرج بحجة أنهن سيفقدن علمهن إن لم يعملن ، وهذه نظرة خاطئة من وجهة نظري ، لأن العلم الذي تكتسبه المراة ليس شرطاً أن يحصل تحقيق نتائجه خارج نطاق البيت وإلا كان عديم الفائدة كما تعتقد بعضهن - بل العكس هو الصحيح - فكلما كانت الأم أو الزوجة متعلمة ومثقفة كانت أجدر بتربية أبنائها وأقدر علىّ تنشئتهم تنشئة صالحة مستقيمة ، وعلى تفهم مشاكل بيتها وزوجها وحلها حلاً إسلامياً قائماً على العلم والمعرفة ..

أما أن العلم لا يستفاد به إلا خارج نطاق البيت كما تزعم بعضهن فهذه نظرة قاصرة ، خاصة في زمن أصبح فيه الاختلاط شائعاً .. وقد يكون من الأفضل أولاً أن توجد مجالات العمل المناسبة الخاصة بالمراة ، والتي تخلو من الاختلاط ، فمثلاً نعمل على إيجاد المستشفى الخاص بالنساء سواء كن طبيبات أو ممرضات أو مريضات ، كما هو الحال في مدارس ومعاهد البنات ، ثم توفر جامعات للفتيات فقط ، وتوفر لهن المواصلات الخاصة بهن ، ومتى توفرت المؤسسات والمرافق الخاصة بالنساء ، سوف نجد الطبيبة المسلمة

والصيدلانية المسلمة والكيميائية المسلمة، والاقتصادية والمحاسبة المسلمة، وستقبل الفتاة على الجامعة بكل حب واعتزاز وبدون مشاكل من اجل خدمة اخواتها ومجتمعها واسرتها، وتزداد رغبة الشباب المسلم للاقتران بها..

وبصفة عامة، فسوف يظل البيت هو المكان الأساسي الأول والأصلح لكل انثي مهما بلغت من العلم والمعرفة..

مجالات مناسبة

■ وحول مجالات العلم والعمل، جاءت مناقشة الأخت أم أبرار من السعودية، حيث توجه حديثها إلى الأخت المسلمة في كل مكان... التي جعلت كتاب الله تعالى دستور حياتها، واختارت لنفسها اسوة حسنة لم يعرف التاريخ مثلها، نبي هذه الأمة ﷺ فتقول:

● اختاه... في مجال التعليم والعمل، الذي بصدده تدور المناقشة، فإن الإسلام لم يحرم ذلك على المراة ولكنه أيضاً لم يطلقه تماماً، بما جعل له من ضوابط وحدود، إذا انتهكت كان على المراة ان تختار الأسلم والأحوط لدينها، وانت تعلمين كيف اصبح حال المراة الغربية التي بدأت رويداً تخرج عن نطاق مجالها الذي هيأها الله له إلى مجال الرجل، حتى اقحمت نفسها فيما ليس لها، ثم لم تفلح في كلا المجالين..

إن الذي تتمناه كل مسلمة غيورة على دينها ان تعلو الأصوات فتطالب بمدارس وجامعات ومجالات عمل للمراة، مناسبة وغير مختلطة...

وحتى إذا لم تتحصل النتائج المطلوبة لبنات جيلنا هذا، فسوف تتحقق لبناتك، وثقي ان الله تعالى ينصر الحق، الأمر يحتاج منا إلى الثبات والصبر فقط...

وحتى يتحقق ذلك، فإن هناك مجالات تتناسب مع فطرة المراة ودينها، وتدعو الحاجة إلى المشاركة فيها مثل: التدريس (في مدارس البنات) والطب، حيث لا تزال جميع الدول الإسلامية تفتقر إلى الطبيبة المسلمة التي تخدم اخواتها وتكفيهن حاجة الذهاب إلى الأطباء الرجال.. وهناك مجالات لا تتفق مع طبيعتك، فإن سلمت من الاختلاط في مرحلة تعلمك، وهذا أمر مستبعد، فإن الاختلاط في تلك المجالات أمر اكيد... فلا يصح ان تدفعنا الرغبة في إقامة مجتمع إسلامي واعٍ في وقت قريب، أن نخوض في مجالات غير مناسبة ولا تتفق مع عقيدتنا السمحة.

واخيراً اذكرك بدورك الأول، وأسالك، من هي ام عبد الله بن الزبير؟ من هي أم الأربعة الذين استشهدوا جميعاً في معركة واحدة؟ من هي أم انس بن مالك والشافعي وابي حنيفة وغيرهم؟ هل هؤلاء تعلمن في مدارس أو جامعات؟ أم تعلمن امور الإسلام في بيوتهن وقمن بها كما يجب، وانشأن رجالاً علت بهم راية الإسلام وقويت شوكته بحسن تربية الأمهات لهم... وفقنا الله لما يحب ويرضى..

على هامش الحوار

■ هذا وقد يكون من المفيد ان نستكمل بعض جوانب المناقشة بملاحظات وردت في رسائل بعض الإخوة والأخوات يمكن ان تشكل إضافة أو توضح بعض المعاني.. على هامش الحوار.

● إنني ارى ان الفتاة المسلمة إذا توقفت في التعليم عند مرحلة ما قبل الجامعة والتي لا يكون فيها اختلاط، ولم تواصل تعليمها الجامعي فإنها لا تكون جاهلة ولا متخلفة ولا عاجزة عن أن ترعى شؤون بيتها وزوجها - فيما بعد - الرعاية الواجبة، أو أن تربي ابناءها تربية إسلامية سليمة، بل هي تستطيع في الوقت نفسه أن تواصل دراستها إن ارادت وهي قارّة في بيتها بوسائل كثيرة أخرى...

هذا هو رايي الذي كونته بعد الدراسة في الجامعة لاربع سنوات عانيت خلالها من الاختلاط والغربة، حيث كانت الجامعة في بلد غير الذي نشأت فيه، ومن السفر وحدي، وكم من آثام ترتكب في سبيل (التعليم الجامعي) على النحو القائم حالياً... اللهم اهدنا إلى الحق.

زينب زكريا - بكالوريوس علوم - [مصر]

● إن الأخت المسلمة - إلى الآن - لم تقم بالواجب الموكل إليها على أكمل وجه، ولا حتى بالخطوات الأولى منه... وقد يرجع ذلك إختاه إلى عدم إدراكها للخطورة التي تكمن في تقصيرها عن القيام بواجبها.

نحن المسلمين حملة رسالة، والمراة مكلفة كالرجل بفهم هذه الرسالة والدفاع عنها، وقد كان للمراة شرف الاصطفاء ورفع الدرجات وأن تكون أول شهيدة في الإسلام هي «سمية» رضي الله عنها.

اختاه: أيتها الفتاة الجامعية: إن المسلمة التي تلتزم بإسلامها حق الالتزام هي التي تضع قدميها دائماً على الطريق الصحيح، وتلتزم بقواعد دينها وآدابه وأخلاقه السامية، فلا يكفي ان تكون متميزة بلباسها الشرعي ولكن أن تكون متميزة بكل شيء: بالكلام وبالتصرف وبالسلوك والمعاملة.. وليكن هدفك في مجال التعليم وفي كل مجال هو الدعوة إلى الله وإخلاص النية له.

قد يقول قائل: إن موقع المراة في بيتها...

وهذا ينادي به أحياناً من يحملون جانباً من صرح الدعوة.. ولكن إذا جلست كل اخت في بيتها واغلقت الباب لتربية اولادها، وتركت الشارع والمدرسة والجامعة لصاحبات الأفكار الأخرى، فهل تضمن أن تحصن أولادها من الانحراف حين يخرجون إلى هذه الميادين؟ طبعاً لا... فنحن نعيش في عصر اول ما يحاربنا به الأعداء فيه هو سلاح الفكر والعلم.. وإسلامنا يحمل كل مقومات التصدي لذلك.

اقول هذا من منطلق انني خضت التجربة الجامعية في إحدى الكليات العملية وفي جامعة مختلطة...

هداية - [الأردن]

● إنني انقض كل ما يقال من شبهات حول المسلمة الجامعية ذات الشخصية القوية والعزيمة والعقيدة، فوالله ياأختي لا يجرؤ إنسان أن يمسنا بسوء ولا شر، بعد محاولات فاشلة سلطوا فيها علينا السنتهم..

اختاه، ادعوك لخوض ميدان العلم بسلاح الفضيلة، في سبيل مساعدة جيل يتخبط في الوان من الضغوط من جهل الأسرة، وما يأتينا من أنظمة تسعى في تخريب عقول المسلمين... فتوكلي على الله، ولن يضيعك أبداً.

فتحية - فتاة جامعية من المغرب

● تقدمت لخطبة إحدى الفتيات الجامعيات، وكانت مصرة على أن تكمل دراساتها العليا في أحد مراكز البحوث، وقد رفضت ذلك الوضع، لا لأنني اكره تعليم الفتاة المسلمة، ولكن لأنني أرفض الاختلاط خاصة في المراكز الدراسية، علاوة على سوء وسائل المواصلات التي أصبحت نقمة على الناس... فهل يمكن أن نجد حلاً لهذه المعادلة: تعليم الفتاة المسلمة أمر مطلوب والوسيلة لذلك مرفوضة!!

صيدلي - محمد محمود عيد [مصر]

● لا يخفى على أحد - أن المراة المسلمة اليوم - في كل مكان، وبفعل السقوط الحضاري قد تثقفت بثقافة رجعية حتى أصبحت الغالبية العظمى منهن غربيات من قمة الرأس إلى القدمين، إلا من رحم ربي...

ولو أننا سلمنا بقول بعض الأخوات وتركت يا أختاه الدراسة، وأنت بهذا الطموح، ثم إن هناك كثيرات مثلك تركن الدراسة للأسباب نفسها.. فماذا يحدث بعد سنين قليلة؟ من المؤكد اننا سنجد الساحة خالية من المسلمات المتعلمات العاملات، ويعود المجتمع إلى الجاهلية الأولى...

أختي... إن الجامعة تحتاج لأمثالك.. ومجتمع المراة المعاصرة بصفة خاصة يحتاج لأمثالك... تقدمي على بركة الله، واستمري في دراستك الجامعية، متمسكة بالقيم، داعية بالمعروف، ناهية عن المنكر... وبالله التوفيق.

أحمد آدم محمد [السودان]

■ هذا ولا تزال توجد لدينا رسائل عديدة، يتعرض أصحابها للقضية نفسها من جوانب مختلفة، وقد نعود إليها لنشرها بعد أن نطرح للمناقشة القضايا الأخرى المؤجلة للأسرة المسلمة إن شاء الله. ■

أهداف العملية التربوية

■■ لا بد للباحث في أهداف العملية التربوية في الإسلام من الوقوف على طبيعة المبدأ الذي تنتسب إليه هذه العملية، والغاية التي يرمي إليها، ويطمح لتحقيقها في حياة الناس، ويقتضي الباحث كذلك أن يحيط بنظرة الإسلام للإنسان الذي يراد ممارسة هذه التربية فيه، والبناء المعرفي والسلوكي الذي يسعى به لانتظام حياته المجتمعية بكل جوانبها. ■■

بقلم : يوسف الدويك

الإسلام يعالج مشكلات الحياة

فالإسلام هو الدين المنزل على سيدنا محمد ﷺ؛ لتنظيم علاقات الإنسان في الحياة؛ فهو ينظم علاقة الإنسان بخالقه تعالى؛ بالعقيدة والعبادات، وعلاقة الإنسان بنفسه؛ بالاخلاق والمطعومات والملبوسات، وعلاقة الإنسان بغيره من بني الإنسان والكائنات المسخرة؛ بالمعاملات والعقوبات.

وهو إذ يعالج مشكلات الحياة؛ إنما يعالج مشكلات الإنسان فيها معالجة حقيقية جذرية. وينظر إليه بوصفه كلاً لا يتجزأ، فلذلك تراه يعالج مشكلاته بطريقة واحدة سواء اكانت فكرية اعتقادية ام اقتصادية ام اجتماعية ام سياسية ... وهو إذ يملك نظاماً حياتياً كاملاً إلّا انّه لا ينفصل عن عقيدة المبدا التي تمثل الاساس الفكري له. وبذلك يكون قد بنى نظامه على اساس روحي هو العقيدة. فكانت الناحية الروحية هي اساس حضارته، وهي اساس دولته، وهي اساس نظامه، وبالتالي فهي اساس العملية التربوية - موضوع البحث -.

أساس منهج التعليم العقيدة الإسلامية

وبناء عليه يتحتم ان يكون الأساس الذي يقوم عليه منهج التعليم والتعلم - بوصفه جزءاً مهماً من العملية التربوية - هو العقيدة الإسلامية. فتوضع مواد الدراسة، وطرق التدريس جميعها على الوجه الذي لا يُحدث اي خروج في التعليم والتعلم على هذا الأساس.

وذلك لأن عملية الإيمان بالعقيدة الإسلامية، وما تقتضيه من اهتداء عام لا يمكن ان تتجسد في الإنسان في كل ممارساته إلّا إذا ثُقف بها تثقيفاً مؤثراً منتجاً. فيتمثلها عملياً في عقليته ونفسيته معاً؛ ليحدث الانسجام التام في بنائه المعرفي، ومن ثم يكون متسماً بالاتزان المطلوب فيه في مظاهر ادائه الموقفي في الحياة.

ولما كان الإسلام لا ينحصر في العقيدة التي تمثل المطالب الإيمانية التصديقية فقط، وإنما يتعداها إلى الافكار التي تبنى عليها، والانظمة التي تنبثق عنها؛ لذلك كان لزاماً على المسلم ان يؤمن بالعقيدة، وما بني عليها وانبثق عنها، ويلتزم بمقتضى هذا الإيمان من اجل صياغة حياة الإنسان في الحياة - فرداً في جماعة - صياغة منسجمة مع المبدا المعتقد، ومهتدية به، وحاملة هذا الاهتداء إلى الآخرين.

من أهم أهداف العملية التربوية إيجاد الشخصية الإسلامية

فيتضح من كل ما تقدم ان التربية في الإسلام إنما هي طريقة تترجم في مسارها الغاية من المبدا نفسه، وتوصل بمساندة كافة فاعليات المجتمع الإسلامي إلى الأهداف التي يحرص الإسلام على قطف ثمارها في واقع حياة الناس.

وبهذا تتمثل اهداف العملية التربوية الإسلامية في إيجاد الشخصية الإسلامية، التي تفكر على اساس الإسلام، وتحمل قناعاته ومفاهيمه واقيسته، ومن ثم تُسير سلوكها وفقاً لهذه المنظومة الواحدة.

وتبرز اهمية توحيد الاساس الفكري والسلوكي عند الإنسان في ناحيتين:

الأولى: انه بهذا يكون قد ملك قيادة فكرية كلية، ووجهة نظر في الحياة صحيحة ملائمة لنظرته الإنسانية، ومقنعة لعقله؛ فيحصل عنده الاطمئنان الدائم والهداية المنشودة.

الثانية: انه سوف يكون منتجاً في حلّ مشكلاته ومشكلات الحياة، فيرعى حياته رعاية مهتدية، بإنزال معالجاته على واقع الأمور المتجددة بصورة سريعة مضمونة متسقة مع ما يحمل من قناعات، بعيدة عن التخبط والتردد الذي يقع فيه الإنسان الذي لا يملك قيادة فكرية صحيحة محددة في الحياة.

ولكي يكون هذا الأساس ثابتاً في الإنسان محدثاً اثره المهتدي في حياته حرص القرآن الكريم على دعوته لهذا الإيمان بصورة جازمة، فخاطب قواه العاقلة والحّ في دعوته إلى التدبر والتامل؛ ليكون إيمانه عن عقل وبينة، وحذره الاخذ بما وجد عليه آباءه من غير نظر فيه،

وتمحيص له ، وثقة ذاتية بمبلغه من الحق .

ومن ثم يعمل فكره في فهم ما بني عليه من افكار ، وانبثق عنه من نظام .

والسياسة التربوية التي اختطها الإسلام لتحقيق هدفه الأسمى من الإنسان ـ الا وهو إيجاد الشخصية الإسلامية ـ ترتكز على اساسين لا بد من توافرهما معاً ليقوم عليهما صرح الشخصية الإسلامية المتوخاة :

١ ـ العقليـة الإسلاميـة :

فالأساس الأول : هو إيجاد العقلية الإسلامية ؛ اي التي تفكر على اساس الإسلام .

فتجعل العقيدة الأساس الذي تتكون عليه المفاهيم بكل تعلقاتها . وتجعل العقيدة كذلك القياس الذي به تميز الفكر الصائب من الفكر الخاطىء ، وبذلك تتكون عقليته ، وتكون عقلية متميزة بهذه العقيدة مترقية ضمن محدداتها ؛ فيامن زلل الفكر ، وينفي الفاسد من الافكار ، ويظل صادق الفكر ، سليم الإدراك .

٢ ـ النفسيـة الإسلاميـة :

والأساس الثاني : تكوين النفسية الإسلامية ؛ اي التي تجعل ميولها على اساس الإسلام ، وذلك ظاهر بمعالجة الإسلام لأعمال الإنسان الصادرة عن حاجاته العضوية وغرائزه بالأحكام الشرعية المنبثقة عن العقيدة نفسها ، معالجة صادقة ؛ تنظم الغرائز ولا تكبتها ، وتنسقها ولا تطلقها ، وتهيىء له إشباع جميع جوعاته إشباعاً متناسقاً يؤدي إلى الطمانينة والاستقرار .

فيكون الإسلام بذلك قد جعل للإنسان مقياساً تتكون على اساسه الميول وهو الحلال والحرام ، بنصوص كثيرة اكتفي منها بقول الرسول ﷺ : « لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

وبهذا يكون الإسلام قد اوجد عند الإنسان قاعدة قطعية (العقيدة) تُتَّخذ مقياساً قطعياً للمفاهيم والميول معاً ؛ اي للعقلية والنفسية في وقت واحد . وبذلك تكون الشخصية الإسلامية قد تكونت تكويناً معيناً ؛ متميزة عن غيرها من الشخصيات ، لتنطلق فاعلياتها في الحياة هادية مهتدية ، متجهة برعاية امانتها نحو مرضاة الله تعالى ـ غاية غايات المسلم ـ .

التزود بالعلوم والمعارف

ولكي تنهض هذه الشخصية بتبعاتها الجسام في الحياة لا بد لها ـ للناس ـ من التزود بالعلوم والمعارف المتعلقة بشؤون الحياة على الوجه الذي يحقق غاية الإسلام منها وتحافظ على صفاتها وترقية فاعلياتها .

ومن اجل تحديد نوعية العلوم والمعارف التي يجب ان يزود بها الناس في المجتمع الإسلامي ، والتي تحقق غاية الإسلام فيهم ؛ لا بد من التفريق بين العلوم والمعارف الثقافية من جهة ، وبين العلوم التجريبية وما يلحق بها من فنون وصناعات كالفنون التجارية والملاحة والزراعة من جهة ثانية .

لان ما يتبع وجهة نظر تناقض الإسلام لا يجوز اخذه بحال . وما خلا ذلك فهو ضالة المؤمن ، وهو الأجدر بها .

١ ـ المعـارف الثقافيـة :

وعليه فلا تؤخذ المعارف الثقافية من غير المسلمين الملتزمين بإسلامهم ، وإن جاز الاطلاع عليها في المراحل العليا ، ولكن بعد نقضها ، وبيان مواطن الزلل بها ، كما يجوز الانتفاع بها بعيداً عن التاثر الفكري .

ويعود سبب رفض مثل هذه المعارف لكونها افكاراً عن اعمال الإنسان ؛ مناقضة للإسلام من جهة ، والإسلام قد وفّى هذه الناحية من جهة ثانية ، كما امر باتباع افكار الإسلام فقط حين طلب الإيمان بالإسلام وحده : بقوله تعالى :

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ... ﴾ (آل عمران : ٨٥) وحين امر باتباع الوحي وحده . بقوله تعالى :

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ ﴾ (يونس : ١٠٩) وحين امر بالحكم بما انزل الله وحده :

﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ (المائدة : ٤٩) وحين نهاه عن اتباع آراء الآخرين بعيداً عن هدي الإسلام ، بقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة : ٤٨) وحين حذره من فتنتهم له عن الحق المنزل عليه بقوله سبحانه :

﴿ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (المائدة : ٤٩) .

وهكذا فقد تضافرت النصوص الشرعية للتاكيد على ان الاهتداء المطلوب من الإنسان محصور في الإسلام ؛ وذلك لأن الإسلام بافكاره ومفاهيمه ـ سواء الكلية منها او الجزئية التي تتمثل في الأحكام الشرعية ـ هو الذي يشكل عقلية الإنسان المسلم ، وهو الذي يشكل نفسيته ، ويعين نوع الميل لديه إزاء الاشياء ، ويرسم سلوكه في الحياة ، ولكي يتم للمسلم الانسجام في بنائه والتوازن في حياته ، والاستقرار المهتدي في معيشته حرص الإسلام على ان يكون المصدر الموجه لكل ذلك مصدراً واحداً الا وهو الإسلام .

فإذا أخذت الثقافات الغريبة عن الإسلام ـ معه او بدونه ـ حصل الانحراف والضلال المؤدي للخروج من نطاق الإسلام ، ومن ثم إلى نكد العيش ، بحصول التناقض والخلط في مفاهيم الإنسان فتداخل شخصيته المميوعة وسلوكه الاضطراب ، فيعود عليه ذلك بالحيرة والتخبط كما هو مشاهد في العالم اليوم .

٢ ـ العلـوم التجريبيـة :

واما العلوم التجريبية ، وما يلحق بها من فنون وصناعات ، فتؤخذ بدون قيد او شرط ؛ لانها عالمية ، لا تختص بامة دون امة ، ولا تتبع وجهة نظر في الحياة تخالف مفاهيم الإسلام ، وينطبق عليها قول الرسول ﷺ : « انتم اعلم بشؤون دنياكم » ، وهي فوق هذا دراسة لنواميس الكون وقوانين الحياة التي فرضها الله تعالى على المخلوقات وبواسطة هذه الدراسة تزداد قدرتنا على تسخير الكون واستخدامه حسب مقررات الشرع .

وعند ممارسة العملية التربوية هذه في الحياة ، ضمن العملية التربوية المجتمعية على اصعدتها كافة ، تتحقق الأهداف المرجوة منها ، منسجمة مع غاية المبدأ وتنظيمه الحياتي .

وبذلك نضمن سير الإنسان في الطريق الارتقائي ، فيمشي في الحياة سوياً على صراط مستقيم ، فيحقق دوره الاستخلافي في الارض ، ويؤدي الأمانة المنوط به حملها ، عزيزاً مكرماً كما اراد الله تعالى له ذلك ، مستكملاً حلقات السيرة الهادية التي قادها انبياء الله تعالى عبر العصور .

رسائل جامعية

مُشكلة الفقر وعلاجها في القرآن الكريم

■■ تؤكد الدراسة على أن مشكلة الفقر وغيرها من مشكلات العالم لا علاج لها إلا بالإسلام ، فرغم أن الفقر مشكلة قديمة ، كانت ولا تزال هي الشغل الشاغل للبشرية ، ورغم جهود المصلحين والمفكرين لإيجاد حل لها إلا أن المشكلة لا تزال قائمة والسبب في ذلك يرجع إلى عدم الالتزام بالتشريع الإسلامي والرجوع إليه في هذا الشأن .

وقد قسمت الرسالة إلى أربعة أبواب :

تناول الباحث في الباب الأول أسباب الفقر ونتائجه ، وفي الباب الثاني بَيَّنَ موقف البشر والأنظمة المختلفة من مشكلة الفقر .

أما الباب الثالث فتعرض فيه إلى موقف الديانات من المشكلة ، وأخيراً يأتي الباب الرابع بالحل للمشكلة موضحاً الوسائل التي يتبعها الإسلام لعلاج الفقر ■■

مقدمة الرسالة . . .

عرض الباحث في مقدمة رسالته لمشكلة الفقر فذكر أن المجتمعات تتعرض لعديد من المشكلات التي تشغل بال الأفراد والجماعات ورجال الإصلاح ، وأشد هذه المشكلات ضرراً وأعظمها خطراً هي مشكلة الفقر لأنها هي أساس جميع المشكلات الأخرى ، ولأن الفقر كما يقول الباحث هو السبب الرئيس لتدهور المجتمعات وتفشي المذاهب الهدامة فيها .

ثم يعرف الباحث الفقر فيقول :

إن هناك تعريفاً لغوياً للفقر وآخر شرعياً .

أما الفقر في اللغة :

فهو عدم كفاية المال أو قلته بحيث لا يكفي حاجة الإنسان المعيشية .

وأما الفقر في الشرع :

فقد اختار الباحث تعريف الإمامين مالك والشافعي اللذين ذهبا إلى أن حد الفقر شرعاً هو أن لا يملك الإنسان ما يكفيه من المال .

بينما ذهب ابن المبارك والثوري :

من أسبـاب الفقـر :

- **الكسل والجهل والتبذير .. وقلة الإنتاج وسوء التوزيع وعدم تنظيم وسائل الإحسان ..**
- **الزلازل والفيضانات والأوبئة .. أسباب طبيعية للفقر .**

الباحث في سطور

- هو الدكتور سيد جان بيان والذي ولد عام ١٩٤٠م بمدينة فيض أباد بمحافظة بدخشان بأفغانستان .
- حصل الباحث على الليسانس في الشريعة من جامعة كابول بأفغانستان عام ١٩٦٥م .
- وفي عام ١٩٦٩م حصل على درجة الماجستير من جامعة الأزهر .
- يعمل الباحث في البرامج الموجهة بإذاعة جمهورية مصر العربية .

إلى أن الفقير هو من لا يملك خمسين درهماً أو قيمتها من الذهب .

أسباب الفقر وآثاره الاجتماعية

ويتناول الباحث في الباب الأول أسباب الفقر ، وقد حصرها في ثلاثة أسباب وهي :

١ - الأسباب الذاتية .
٢ - الأسباب الاجتماعية .
٣ - الأسباب الطبيعية .

- **أسباب ذاتية :**

ومن الأسباب الذاتية : الكسل والجهل والإسراف وعدم الاعتدال والتبذير .

- **أسباب اجتماعية :**

أما الأسباب الاجتماعية فمنها : **قلة الإنتاج وسوء التوزيع وشيوع الظلم والحروب ، وعدم استغلال الموارد الطبيعية ، وعدم تنظيم وسائل الإحسان .**

- **أسباب طبيعية :**

ويوجز الباحث الأسباب الطبيعية للفقر في : **الزلازل والبراكين والفيضانات والأوبئة وغيرها مما لا يكون للإنسان دخل في حدوثه .**

ولا شك أن الفقر يعكس نتائجه وآثاره على الفرد والمجتمع على السواء .

نتائج الفقر وآثاره . . .

ويذكر الباحث من نتائج الفقر وآثاره : **ضعف الصحة والجهل والذل والحرمان .**

حيث إن الفقر يذل النفوس ويجعل الفرد يخضع لمن دونه ، ويتغاضى عن الإهانات التي تلحقه ، ويستدل الباحث على ذلك بما جاء في الأثر :

« لولا أن الله تعالى أذل ابن آدم بثلاث ما طأطأ رأسه لشيء : الفقر والمرض والموت » ، ويقول ابن المعتمد :

« الفقراء موتى إلا من أغناه الله بعز القناعة » وها هو لقمان يقول لابنه :

« يا بني استغن بالكسب الحلال فإنه ما افتقر أحد إلا أصابته ثلاث خصال : رقة في دينه ، وضعف في عقله ، ووهاء في مروءته ، وأعظم من هذا استخفاف الناس به » .

أما الآثار الاجتماعية للفقر فهي : ضعف الكيان الصحي للأمة ، وضعف الروح الدينية ، والحالة العلمية ، وكذلك الحالة المعنوية للشعوب ؛ وقبول المذاهب الهدامة .

مواقف البشر من مشكلة الفقر

يعرج الباحث بعد ذلك إلى الحديث عن موقف البشر تجاه مشكلة الفقر .

وهي تتمثل في ثلاثة اتجاهات ذكرها الباحث في الباب الثاني :

الاتجاه الأول : تقديس الفقر . حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه : أن الفقر ليس شراً يطلب الخلاص منه ، ولا يمثل مشكلة تتطلب العلاج .

الاتجاه الثاني : هو الاتجاه الجبري ، ويرى أرباب هذا الاتجاه أن الفقر : قضاء من السماء لا ينفع معه الطب والدواء . ويدعون الفقراء إلى أن يرضوا بالقضاء ويصبروا على البلاء .

الاتجاه الثالث : وهو اتجاه دعاة الإحسان الفردي ، وهذه الطائفة ترى : أن الفقر شر وبلاء ، وتعتبره معضلة تستوجب الحل ، وهم لا ينصحون الفقراء فقط بالرضى والقناعة ، ولكنهم يدعون الأغنياء إلى البذل والإحسان والتصدق على الفقراء .

موقف الرأسمالية والاشتراكية

يعتقد أصحاب المذهب الرأسمالي : أن الفقر آفة من الآفات ، وأن سبب المشكلة هم الفقراء أنفسهم فقط ؛ فقضية الفقر لدى أصحاب هذا المذهب هي أساساً قضية قلة الإنتاج .

أما الاشتراكيون فهم على عكس الرأسماليين يرون : أن سبب الفقر هم الأغنياء أنفسهم ؛ باستئثارهم دون الأغلبية الكادحة لخيرات المجتمع ؛ فقضية الفقر في نظرهم هي أساساً قضية سوء التوزيع ، ويرون أن القضاء على الفقر لا يتحقق إلا بالقضاء على الأغنياء ، ومصادرة ثرواتهم ، وحرمانهم من أموالهم ، وإيقاد نيران الصراع بين الطبقات .

رد الإسلام على هذه الاتجاهات

يقول الباحث : **إن الإسلام لا يوافق على الاتجاهات التي ذهبت إليها النظريات والمذاهب الوضعية ؛ فهو يرفض النظر إلى الفقر على أساس أنه ليس شراً ، بل ويدعو إلى الاستعاذة منه ، ويقدم الوسائل لعلاج هذه المشكلة .**

كما أن الإسلام وإن كان يلتقي في دعوته مع الداعين إلى الإحسان الفردي ، إلا أنه لا يقتصر على الحقل التطوعي ، حتى لا يظل الفقراء تحت رحمة الأغنياء .

ويكشف الباحث عن حقيقة هامة ، وهي : أن النظام الشيوعي إذا كان

مُشكلة الفقر

يحارب الغنى ويعمم الفقر ، والنظام الرأسمالي يحبذ الغنى المطغي دون علاج للفقر ؛ نجد الإسلام هو أول دعوة قررت أن الفقر مشكلة اجتماعية خطيرة ، ونظرت إليها من جانب آثارها الاجتماعية ؛ فالإسلام فلسف الفقر فلسفة اجتماعية على لسان الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وذلك في قولين مأثورين وهما :

« ما جاع فقير إلا بما منعه غني » و « ما رأيت نعمة موفورة إلا إلى جانبها حق مضيع » .

فمشكلة الفقر في الإسلام في محصلتها النهائية هي : مشكلة الإنسان نفسه ، وفساد نظامه الاقتصادي ، سواء من حيث ضعف الإنتاج أو سوء التوزيع .

ومن هنا يدعو الإسلام إلى تنمية الإنتاج مع عدالة التوزيع ، وأن أحدهما لا يغني عن الآخر .

الفقر في الديانات الأخرى . . .

يتناول الباب الثالث من الدراسة موقف الديانات السماوية السابقة للإسلام ، وفي هذا الباب يقول الباحث : إن الديانة اليهودية تعترف بأن الفقر ظاهرة طبيعية لا سبيل إلى القضاء عليها ، ولكنها تعالج آثار ذلك وتقدم النصائح والمواعظ دون إلزام عن طريق الثواب والعقاب .

أما النصرانية فهي تعنى بالناحية الروحية ، ولا تتعرض في هذا الشأن لمسائل القانون والسياسة والاجتماع .

ويقارن الباحث بين الحلول القرآنية والكتب السماوية الأخرى ، فيؤكد على أن الديانتين اليهودية والنصرانية **تكتفيان بإسداء النصائح والمواعظ للأغنياء والفقراء** ، وهي صورة تفقد عنصر الإيجاب والإلزام ، حيث فوضت التصديق والإحسان إلى ضمائر الأشخاص ولم تجعل للدولة سلطة عليهم في التحصيل ، وكذلك لم تحدد هذه النصوص المال الذي تجب فيه الصدقة .

أما عناية الإسلام بعلاج الفقر ورعاية الفقراء ، فلم يسبق له مثيل في أي دين سماوي ، ولا أي قانون وضعي ، ولا مذهب بشري ، سواء ما يتصل بناحية التربية والتوجيه ، أو ما يتصل بجانب التشريع والتنظيم ، أو ما يتصل بجانب التطبيق ، وهو ما يوضحه الباحث في تتبعه لمنهج الإسلام في علاج الفقر .

منهج الإسلام في علاج الفقر

يكشف الباحث عن منهج الإسلام في علاج الفقر ، وهو المنهج الذي غاب عن أذهان الباحثين والمهتمين بعلاج هذه المشكلة ، ويأخذ هذا المنهج ثلاثة اتجاهات :

● **أولاً** :

إن الإسلام لم ينظر إلى مشكلة الفقر على أنها مشكلة قائمة بذاتها ، أو منفصلة عن غيرها من أمور الحياة ، وإنما نظر إليها في ضوء اتصالها بما سواها ، ومن ثم كان علاجه لها جزءاً من معالجته الشاملة السليمة لبقية مشاكل الحياة مجتمعة .

● **ثانياً** :

لم يكتف الإسلام بمجرد إسداء النصائح وإعطاء الوصايا الأخلاقية للأغنياء والفقراء مثل ما فعلت الديانات السابقة ، بل إن الإسلام فاجأ العالم للمرة الأولى في الحياة البشرية بإيجاب فريضة الزكاة أو ضريبة الفقراء ، فقرر بالتشريع حق الفقراء في أموال الأغنياء حقاً معلوماً محدداً .

● **ثالثاً** :

حدد الإسلام بالتشريع كذلك وسائل حماية هذا الحق ، على نحو يكفل وصوله إلى أصحابه على أفضل وجه ، وناط تلك الحماية بالدولة التي ترهب المسيئين ، وتأخذ على أيدي الظالمين .

ومن هنا كانت تشريعات الإسلام وتوجيهاته في مكافحة الفقر ومعالجة أسبابه متماسكة كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

من علاج الإسلام للفقر :

- **زيادة الإنتاج وإعادة التوزيع دعوة إسلامية منذ أربعة عشر قرناً .**
- **الإسلام فاجأ العالم للمرة الأولى بإيجاب فريضة الزكاة أو ضريبة الفقراء .**
- **النفقة على الأقارب معالجة اجتماعية للفقراء تفرد بها الإسلام .**

الحل الإسلامي للمشكلة . .

وبعد استعراض الباحث لمشكلة الفقر وطرح أسبابها ، والحلول التي قدمتها الديانات السابقة والنظريات الوضعية ، يطرح في نهاية رسالته الحل الإسلامي لهذه المشكلة ، والتي تعتبر الآن هي الشغل الشاغل للحكومات والأفراد والجماعات ، والتي لم تفلح معها نظريات شرقية ولا غربية .

يقول الباحث : **إننا إذا استقصينا ما نزل من الآيات القرآنية ، وما ورد من أحاديث نبوية في الصدقات والبر ، لحسبنا أن الرسالة الإسلامية لم يبعث الله بها محمداً ﷺ آخر الزمان إلا لينقذ البشرية من براثن الفقر وغوائل الجوع .**

فالإسلام يحارب الفقر حرباً شعواء لا هوادة فيها ، وهو يضع لذلك الأسلحة والوسائل

ويقسم الباحث هذه الوسائل إلى نوعين :

- **أولاً** : وسائل وقائية .
- **ثانياً** : وسائل علاجية .

الوسائل الوقائية ...

أما الوسائل الوقائية فقد حصرها الباحث في خمس وسائل وهي :

١ - **تحريم الربا وفلسفته** : فالربا إلى جانب أنه يهدم مبدأ التعاون في المجتمع فهو يشيع الأمراض الأخلاقية ، ويؤدي إلى تكدس الثروة ، وإلى الفقر الإجباري ، والغنى بدون حق ، وهو يتنافى مع القانون الإسلامي الاقتصادي الذي يقول : لا جزاء بغير جهد ، كذلك يؤدي الربا إلى زيادة تكاليف الإنتاج ، وبالتالي ارتفاع السلع والخدمات ، وينطوي على تعطيل القوى الإنتاجية في المجتمع .

٢ - **تحريم القمار والاحتكار والغش في المعاملات** : وهي الوسائل التي تؤدي إلى تراكم الثروة في أيدي فئة قليلة ، وتؤدي إلى اتساع الفوارق بين الأفراد .

٣ - **تحريم الترف والإسراف والاكتناز** ، والإسلام يريد بذلك أن يرفع من مستوى الطبقات الفقيرة ، ويقيم التوازن المنشود بين الناس .

٤ - **الحجر على السفهاء صيانة لأموال المجتمع** .

٥ - **إعفاء الفقراء من الأعباء المالية** حتى إعفائهم من ركنين من أركان الإسلام ، وهما الزكاة والحج لعدم قدرتهم .

الوسائل العلاجية ...

ويحصرها الباحث في سبع وسائل وهي :

١ - بغض الفقر والتعوذ منه ، وفي الحديث :

« اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك من أن أَظلِمَ أو أُظلَم » .

وفي حديث آخر قرن الفقر في التعوذ بالكفر :

« **اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر . فقال رجل : أيعدلان ؟ قال : نعم** » .

٢ - دعا الإسلام إلى أمضى الأسلحة لعلاج هذه المشكلة .. وهو العمل ، وحث **الرسول ﷺ** على العمل والإنتاج المتواصل في أحرج اللحظات :

« **إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع الا تقوم حتى يغرسها فليغرسها** » .

٣ - معالجة الفقر اجتماعياً بكفالة الموسرين من الأقارب للمعوزين ، وأن النفقة على الأقارب من مميزات الإسلام التي ينفرد بها وحده عن الشرائع القديمة والقوانين الوضعية .

٤ - فرض الزكاة وهي معالجة اجتماعية للفقر ، وهي تحفز المرء إلى العمل والإنتاج والاستثمار ، وتؤدي إلى إعادة توزيع الدخل والثروة ، والزكاة تفضي إلى التقريب بين الطبقات وتشيع الأمن العام في المجتمع .

٥ - الوسيلة الخامسة تتمثل في كفالة الخزانة الإسلامية العامة بمختلف مواردها للفقراء وذوي الحاجات .

٦ - من الواجبات الأخرى التي أقرها الإسلام إلى جانب الزكاة **صدقة الفطر ، والأضحية ، والكفارات ، والفدية** ، وجعل الإسلام كفارة كثير من الذنوب إطعام الفقراء والمساكين ويعد هذا مورداً كبيراً لمشاريع التكافل الاجتماعي .

٧ - ومن وسائل الإسلام لعلاج الفقر .. الصدقات الاختيارية والإحسان الفردي ، فضلاً عن الخدمات الاجتماعية التي أقرها الإسلام ، مثل الوقف وهو نظام اجتماعي عظيم النفع انفرد به التشريع الإسلامي ويعد مفخرة له .

كما شرع الإسلام الوصية كمشروع علاجي لمرض الفقر ، وكذلك القرض والميراث ، وهو يعد من وسائل الإسلام الوقائية للفقر حيث توزع الثروة بين أكبر عدد من الورثة فلا تتكدس في يد واحد دون الآخر .

نتائج البحث ...

ويصل الباحث في النهاية إلى النتيجة المنطقية لبحثه ودراسته ، وهي أن مشكلة الفقر وقد أصبحت قضية الشعوب في أنحاء الأرض ، وأعمل فيها الباحثون والمفكرون عقولهم ، هذه المشكلة لا علاج لها في الواقع ولغيرها من مشكلات الحياة إلا الإسلام ..

فكل ما قدمه المفكرون والمصلحون من حلول لمشكلة الفقر لا يعد أن يكون مسكنات موضعية أو إسعافات وقتية .

ولهذا ينصح الباحث هؤلاء المفكرين ، كما ينصح الحكومات في كل مكان بالرجوع إلى الإسلام لحل مشكلات العالم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فالإسلام هو الشفاء لكل داء ، وهو النور في ظلمات الحيرة .

وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ **... قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .

[صدق الله العظيم]

موقف الآخـرين من الفقر :

- **اليهودية والنصرانية اكتفيا بإسداء النصح والمواعظ للأغنياء والفقـراء .**
- **النظام الشيوعي يحارب الغنى ويعمم الفقر ، والنظـام الرأسمالي يحبـذ الغنى المطغي**

تصريحات وأقوال

● الدكتور يوسف القرضاوي ●

■■ [أوّل ما يشكو منه ذوو البصائر داخل الحركة الإسلامية بمعناها الواسع أنَّ النقد الذاتي فيها ضعيف ؛ إن لم يكن غائباً في بعض الأحيان] ■■

(الدكتور يوسف القرضاوي)

● الدكتور محمود محمد سفر ●

■■ [لقد اكتفى مسلمو اليوم بمدح ماضيهم وهم يرزحون في أوحال التخلف .. واقتنعوا بالحديث عن تراثهم العظيم بعد أن قطعوا صلاتهم به : ممارسة في تعاملهم ، وسلوكاً في أخلاقياتهم ؛ وبدلاً من أن يصنعوا تاريخاً مشرقاً بالتضحية والعطاء والمثابرة والمعاناة ، ركنوا إلى تمجيد تاريخهم السحيق الذي كتبه أسلافهم دون أن يقتدوا به] ■■

(الدكتور محمود محمد سفر)

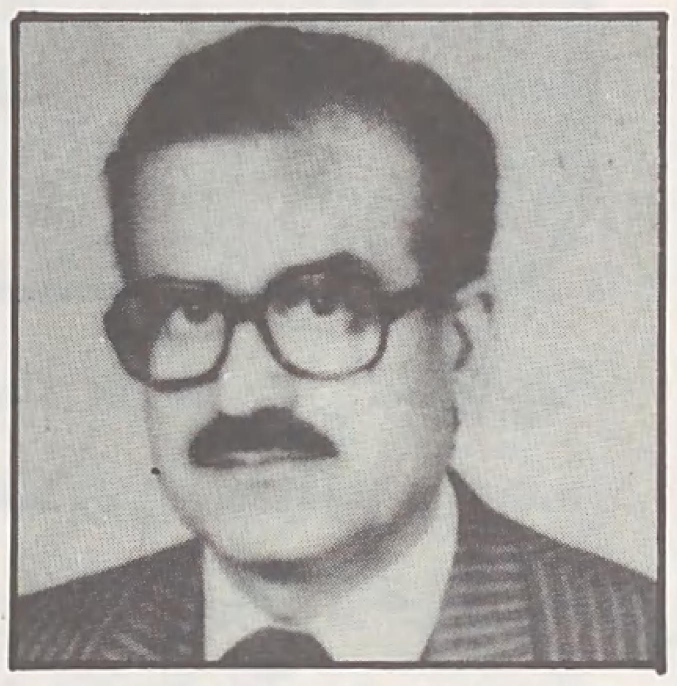

● الدكتور محسن عبد الحميد ●

■■ [اليوم ؛ وبعد التجارب التي مرَّت بها محاولة التمكين للوعي الإسلامي ، لا بد للعقلاء أن يدركوا سنن الله في الوجود ، ويفهموا طبيعة العصر وكيفية إحداث التغيير فيه ، فينصرفوا إلى بناء القاعدة بعلم وتخطيط ، ويبتعدوا عن الخوض في المضاربات السياسية والاصطدامات الفوقية] ■■

(الدكتور محسن عبد الحميد)

● الشيخ أبو الحسن الندوي ●

■■ [لزم الآن فتح باب الاجتهاد ، ولكن بشروطه المبينة في كتب أصول الفقه ، ويستحسن ألَّا يكون فردياً ـ إلَّا إذا اقتضت الضرورة ـ وأن يكون عملاً مجمعياً « أكاديمياً » ، بتبادل الرأي بين أهل الاختصاص والتأمل الطويل في ضوء الكتاب والسنَّة ، واستعراض الثروة الفقهية والأصولية استعراضاً كاملاً ؛ حتى لا يكون في ذلك افتئات أو مؤامرة أو خضوع لقوة سياسية أو حكومة أنانية ...] ■■

(أبو الحسن الندوي)

● محمد أحمد محجوب ●

■■ [رغم تتابع الهزائم والنكبات لم نستطع أن نرى من عدونا إلَّا « قوته » ولم نعرف إلَّا « بطشه » ولم نختبر إلَّا « قسوته وجبروته » ولم نحاول أن نرفع الستار لكي نكشف الأسرار التي تقف وراء نجاح « التجربة الإسرائيلية » طيلة الأربعين سنة الماضية ، لماذا انتصروا وخسرنا ، وتوسعوا وانكمشنا ، وكبروا وصغرنا ؟!] ■■

(محمد أحمد محجوب)

■■ [علينا أن ندفع بالغرب لانتزاع « حقوقه » من تركيا « الدولة العثمانية » بالعنف .. لأننا بهذا نقضي على خطر الإسلام وندفع به لإعلان الحرب على نفسه ونمزقه من الداخل .] ■■

(رجل المخابرات البريطاني « لورانس »)

بريد الأمة

●● بصدور العدد القادم ، تقترب « الأمة » من نهاية عامها الخامس لتبدأ العام السادس من عمرها ـ بإذن الله ـ وهي تقوم بدورها في مجال نشر الدعوة وتأصيل مفاهيم الإعلام الإسلامي ، وفق المنهج الذي حددته منذ صدور عددها الأول ..

ونحن نعتز ـ في هذه المناسبة ـ بأننا لا نزال منذ صدور العدد الأول ـ نتلقى العديد من المقترحات التي يبعث بها الإخوة والأخوات ، من كل مكان ، من أجل تطوير العمل واستمراره بصورة أفضل ، ونحاول تحقيقها ـ في حدود إمكاناتنا ـ تلبية لحاجات القارىء المسلم الثقافية والفكرية والإعلامية في حياته المعاصرة .

وقد يكون من المناسب هنا أن نضيف إلى معلومات الإخوة القراء أننا بصدد نشر استطلاع للرأي ضمن العدد الأول من السنة السادسة ـ إن شاء الله ـ ليستعدّوا لأداء مسؤولية المناصحة التي جعلها الإسلام حقاً للمسلم على المسلم ، وسوف تكون فرصتنا للتعرف على آرائهم من خلال الأسئلة التي تتضمنها استمارة الاستـــطلاع أو أي آراء أخرىٰ يرونها . ●●

رسالة ..

■■ الأخ حسن نديم ـ من النمسا .. بعث برسالة يقول فيها :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ؛

أقدم لكم هذا المقال الذي نشر في مجلة بروفيل PROFIL النمساوية عن موضوع السموم ـ وقد ورد فيه هذه الفقرة التي قمت بترجمتها لعلّكم ترون في نشرها ما يجعل المسلمين خاصة في دول العالم الثالث ـ على حذر ـ حين يتعاملون مع منتجي هذه المواد .. والفقرة تقول :

« ... وعلى سبيل المثال ، قامت المؤسسة السويسرية : (سيبا جيجي) عام ١٩٧٦م في مصر ـ برش أطفال ، وبدون إعلامهم ـ بمادة « جالسرون » التي تستخدم كمبيد حشري ، والتي تسبب مرض السرطان ، حتى تتأكّد من درجة امتصاص الجسد لهذه المادة ، وعن طريق الصدفة المحضة ذاع خبر التجارب ، وأعلنت شركة « سيبا جيجي » باقتضاب أن « ذلك العمل الذي قمنا به لم يكن سليماً »] .. ■■

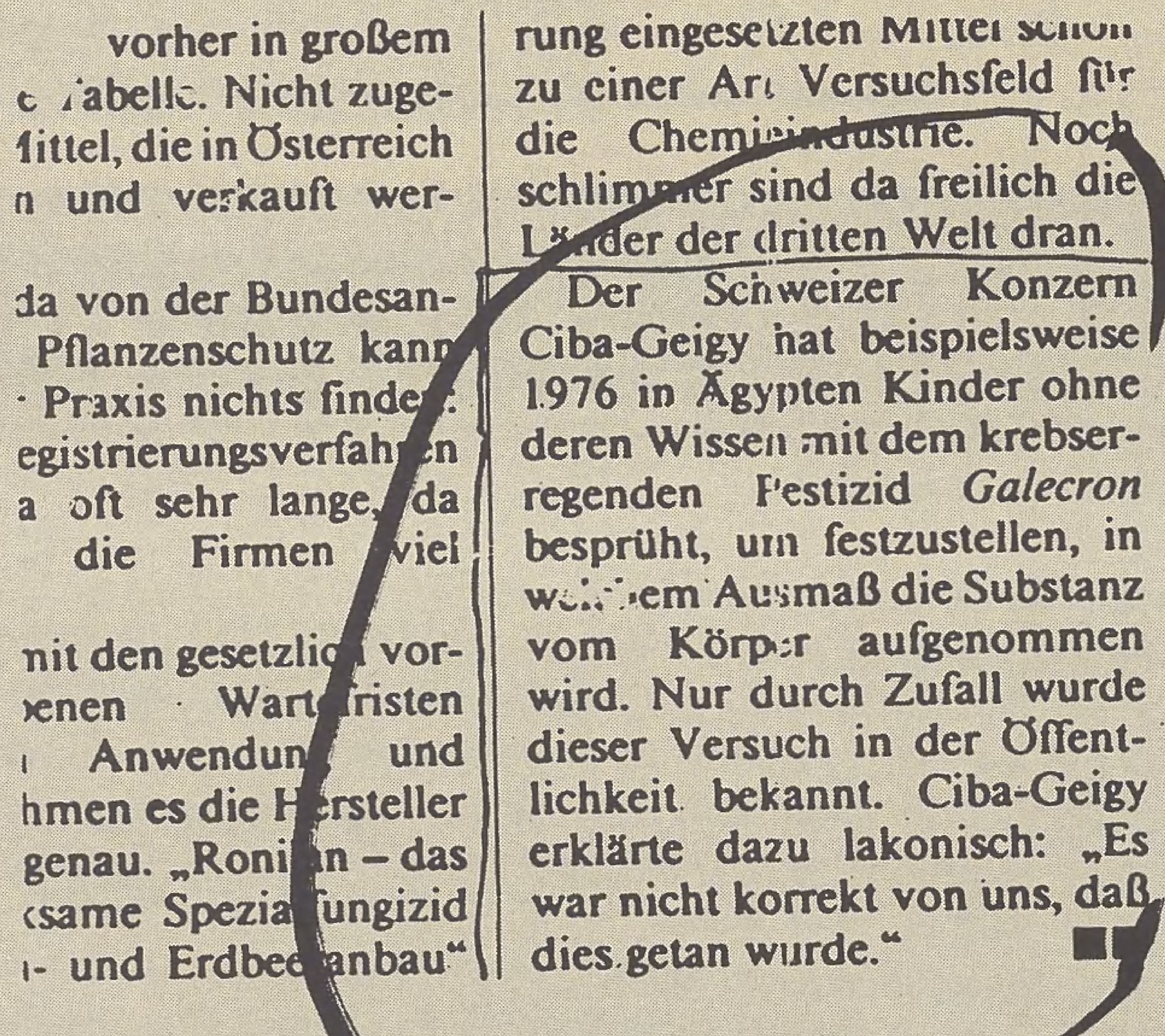
vorher in großem
e Tabelle. Nicht zuge-
Mittel, die in Österreich
n und verkauft wer-

da von der Bundesan-
Pflanzenschutz kann
Praxis nichts finden:
egistrierungsverfahren
a oft sehr lange, da
die Firmen viel

mit den gesetzlich vor-
enen Wartefristen
Anwendung und
hmen es die Hersteller
genau. „Ronilan – das
same Spezialfungizid
- und Erdbeeranbau"

rung eingesetzten Mittel schon zu einer Art Versuchsfeld für die Chemieindustrie. Noch schlimmer sind da freilich die Länder der dritten Welt dran.

Der Schweizer Konzern Ciba-Geigy hat beispielsweise 1976 in Ägypten Kinder ohne deren Wissen mit dem krebserregenden Pestizid *Galecron* besprüht, um festzustellen, in welchem Ausmaß die Substanz vom Körper aufgenommen wird. Nur durch Zufall wurde dieser Versuch in der Öffentlichkeit bekannt. Ciba-Geigy erklärte dazu lakonisch: „Es war nicht korrekt von uns, daß dies getan wurde." ■■

مقترحـــات

● الأخ منير بن منصور ـ من تونس :
يقترح أن يتم تجميع المقالات التي نشرت أو ستنشر حول موضوع « أين الخلل ؟ » في كتيب يوزع مجاناً .. ويضيف قائلاً :

« ... بعد أن أصبح الحوار مع المفكرين باباً قاراً في « الأمة » ننتظر حواراً مع الدكتور عماد الدين خليل حول التاريخ الإسلامي ومناهج البحث ، ومع الدكتور نجيب الكيلاني حول الأدب الإسلامي وآفاق المستقبل .. ومع راشد الغنوشي حول « الصحوة الإسلامية المعاصرة » ... .

● ويقترح الأخ عواد عقلة الدعجة ـ من الأردن :
أن يزيد الاهتمام بالكتابة حول القضية الأفغانية وعن المجاهدين المسلمين في أفغانستان وعن أحوالهم ، وكذلك زيادة المساحة المخصصة لأخبار المسلمين في أفريقيا والدول الاشتراكية والأوروبية ..

● ويقول الأخ أبو ياسر محمد بن علي ـ من بيروت :
حبذا لو تخصص « الأمة » صفحات معدودات من كل عدد شهري للحديث عن واحد من كبار الأعلام المعاصرين من علماء الإسلام في الفقه والحديث والتفسير واللغة ، فهم الحفظة الأمناء على علوم الأمة وتراثها العظيم .. ونود أن نتعرف عليهم .

● ويقول الأخ نجيب العس ـ من تونس :
أودّ أن أعبر عن ملحوظة تدخل في باب المناصحة ، لقد شعرت عبر متابعتي لعملكم لما يقارب السنتين أنكم تهتمون بقضية أفغانستان وإريتريا أكثر من اهتمامكم بقضية فلسطين .. ومن ذلك مثلاً أنكم أفردتم ملفاً لأفغانستان بالعدد الرابع والخمسين وآخر لإريتريا بالعدد السابع والأربعين .. ولا أنكر أنكم طرقتم موضوع فلسطين في أكثر من عدد ، لكن ذلك لم يكن طرقاً عاماً بل كان إشارة لركن من أركان القضية .. وأرجو أن يصدر عدد من « الأمة » يتضمن ملف القضية الفلسطينية ..

تصويب التصـــويب

●● جاءنا من الأخ صالح عبد الله العبيري (بريدة ـ السعودية) رد على تصويب الأخ الدكتور عمر فروخ سماه « تصويب التصويب » .

وكانت « الأمة » قد نشرت للأستاذ العبيري في عددها الثالث والخمسين (جمادي الأولى ١٤٠٥هـ) مقالاً بعنوان « تجديد القديم ، وتقويم الجديد في الشعر المعاصر » .

وقد استأنس الكاتب في مقاله بعبارة نسبها للدكتور عمر فروخ في كتابه « هذا الشعر الحديث » وفي عدد سابق للأمة [٥٥ رجب ١٤٠٥هـ] ونشرنا تصويبا للدكتور عمر فروخ يعترض فيه على نسبة هذه العبارة له ، ويعتبر أن الكاتب يروي عنه ما ليس في كتابه .

ويبدو أن الأستاذ العبيري لم ينقل العبارة نصا عن كتاب الدكتور عمر فروخ ، وإنما نقلها بالمعنى .

يقول الأستاذ العبيري في خطابه [... خَطَطْتُ هذه الأسطر بعد اطلاعي على « تصويب » من الدكتور عمر فروخ ذكر فيه « روى عني ما ليس في كتابي : هذا الشعر الحديث » ... ولهذا أكتب إيضاحا على التصويب : نقلت لي مقالي الذي نشر على صفحات الأمة هذه الجملة من كتاب الدكتور عمر فروخ هذا الشعر الحديث « إن شعراً مثل هذا قديم ، وإن بعض خطب الجاهلية على مقاييسهم شعر حر » .

ولم أجن على دكتورنا الكبير ، وليس له ما يبرر قوله : « روى عني ما ليس في كتابي : هذا الشعر الحديث » ولكني ما رويت إلا ما ورد في كتاب الدكتور ، حيث أثبتّ ما معنى هذا في أربعة مواضع . ففي ص ١٢٠ قال : « فالذين ابتدعوا الشعر الحر ـ التفلّت من الأوزان المألوفة في الأكثر ، ومن القافية في الأقل ـ بهذا المعنى ـ هم العرب . » وفي ص ١٢٢ قال : « والشعر الحر في الأدب العربي كثير : الخطب المنبرية والمقامات والأمثال .. » وفي ص ١٢٤ قال : ... وقد كانت معروفة منذ زمن بعيد جدا .. (منذ الجاهلية الأولى) وفي ص ١٢٥ قال ما معنى هذا وإثباتا لما سبق]اهـ .

وقد أرفق الأستاذ العبيري بخطابه صوراً عن الصفحات المذكورة من الكتاب بقلمه تحت العبارات المشار إليها .

ولعل هذا التوضيح ينفي أن يكون هناك خلاف في القضية بين الكاتبين الفاضلين ، علماً بأنه لا حرج على الكاتب أن ينقل أو يقتبس فكرة بعبارته ويشير إلى مصدرها ، ما دامت لا تؤدي إلى غير المعنى الذي قصد إليه صاحبها . ●●

أصـــداء

● كتب الأخ سعيد شبار ـ من المغرب ـ حول كتاب الأمة « العاشر » التراث والمعاصرة « للدكتور أكرم ضياء العمري يقول :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

من أبرز الأحداث الفكرية القائمة حالياً تلك المحاولات للتوفيق بين تراثنا وماضينا المتمثل في عصورنا الإسلامية الزاهرة . وبين حاضرنا وما يمثله من قوى ليبرالية ـ شرقية أو غربية ـ تقوده وتأخذ بناصيته . وهذا ما اصطلح على تسميته بين المفكرين بمحاولات التوفيق بين الأصالة والمعاصرة ، أو المعطيات الحضارية و « الثيولوجية » كما يطلق عليها « أركون » . وهي موضوعات تخلو منها كتبنا الإسلامية . ونكاد لا نجد من بين الذين تناولوها بالدراسة والتحليل إلَّا اليساريين ممن غلبت عليهم نزعات التفسير المادي للتاريخ بالإضافة إلى الذين يتهافتون على الغرب ويدخلون كل جحر وراءه .

أما في المكتبة الإسلامية فلا نجد إلَّا عدداً من الكتب يعد على الأصابع . ولا يتناول الموضوع إلَّا عرضاً . ولعلّ أهم محاولة جادة حديثة هي « كتاب الأمة « العاشر » التراث والمعاصرة » للدكتور أكرم ضياء العمري . هذا الكتاب القيم الذي سلط الضوء على هذا الجانب فبدد كثيراً من ظلماته . وكم أتمنى أن يعيد المؤلف كتابة هذا الكتاب بشيء من التفصيل . وكذا الكتاب الذي صدر حديثاً « أزمة المثقفين » للدكتور محسن عبد الحميد .]

● وحول موضوع « أين الخلل ؟ » الذي ينشر تحت عنوان « قضية للمناقشة » ويساهم المفكرون والكتاب والعلماء المسلمون في تحليل وبحث جوانبه المختلفة ـ كتب الأخ سيد أحمد محمود بغدادي ـ من إسنا ـ جمهورية مصر العربية . معلقاً على ما كتبه فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

أود أن أعبر عن تقديري لكل ما ينشر على صفحات « الأمة » . ولعلّ من الموضوعات الهامة الجديرة بالمتابعة . هي تلك التي تنشر ضمن « قضية للمناقشة » بعنوان « أين الخلل ؟ » ..

وإنني أحيي فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي على مساهماته في المناقشة بتوضيح حقيقة الواقع الإسلامي الذي نعيشه وكيف أن طاقاتنا الفكرية والروحية والعددية معطلة ..

وهذا الواقع الإسلامي ـ كما يحدده المقال

واحة الإخاء

○ من لبنان - بعث الأخ سمير عزّام - برسالة إلى « واحة الإخاء » يقول فيها :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ..

هذه هي الصورة الحقيقية التي يجب أن تبقى ماثلة أمام أعين المسلمين ، سواء منهم من حاز شرف الجهاد أو من اقعدته أمور المسلمين عن ذلك .

وإنَّ الأمل كبير في شباب أمتنا أن يعوا معنى الجهاد في سبيل الله ، وأن يفهموا معنى عودة الإسلام لواقع حياة المسلمين وحمل دعوة الإسلام إلى العالم ، وليس فقط طرد المحتل ومحاربة الغزاة .. أن يفهموا أن الجهاد معناه عزّة الإسلام ومجد المسلمين ، وإباء الضيم ورفض التبعية ..

إنَّ الجهاد الإسلامي سواء في أفغانستان أو في لبنان أو في أي بقعة من بقاع الأرض لا بد أن يتوجه إلى الطواغيت كافة - الذين أوردوا الأمة موارد الهلاك - لا فرق بين الغزاة اليهود والشيوعيين وغيرهم ممن استدعى الغزاة وأعانهم وتواطأ معهم ...] .

○ ويقول الأخ العبدودي الزبير - في رسالته :

[... لقد عرف الأعداء أن القوة التي أخرجتهم من ديار المسلمين تكمن في عقيدتهم - الإسلام - لذلك عملوا على إبعاد المسلمين عن دينهم ليسهل القضاء عليهم ، وينتهي مصدر خوفهم .. وبدأ التخطيط والتآمر لتخدير الأمة الإسلامية وتشكيك أبنائها في دينهم ، فما ينفض الأعداء أيديهم من مؤامرة حتى يبدأوا ما هو أشد منها فتكاً وتخريباً ...

لقد أعزّنا الله بالإسلام ، فلماذا نبتغي العزّة في غيره ؟!] .

○ وبعث الأخ مصطفى سيد حسانين - من القليوبية - جمهورية مصر العربية برسالة ، يقول فيها :

[... إنّ من يتتبع أحداث التاريخ منذ انهيار دولة الخلافة العثمانية مروراً بسقوط الأندلس ، وما نتج عن ذلك ، يرى أنّ ما يعيشه المسلمون الآن هو امتداد طبيعي لهذه الفترة المظلمة ، حيث التفكك والانهيار الذي لم تشهده الأمة من قبل .. والوقوف العاجز أمام الضربات المتتالية من كل اتجاه وفي كل مكان .. بينما نجد اليهودي والنصراني والشيوعي وصاحب كل ملّة يقفون صفاً واحداً لمحاربة المسلمين ، ولا يميزون أي شعب من شعوب هذه الأمة يضربون .. هذا بينما نرى المسلم نفسه يحارب المسلم حتى بلغت المأساة ذروتها - وأصبحنا نتباكى على القدس كما سبق أن تباكى شعراؤنا على الأندلس !!] .

ردود خاصة

■ الأخ محمود زكي أحمد - المنيا - جمهورية مصر العربية ..

●● الكتابات التي يسهم بها الإخوة يشترط ألّا يكون قد سبق نشرها ، أما ما ينشر ضمن باب « بطاقة من قارىء » فإن طبيعة المادة محددة ضمن شعار الباب - الذي ينشر في أعلى الصفحة - ونرحب بمساهماتكم .

■ الأخت زينة الحمدي - تونس ..

●● الهيئة التي تتلقى التبرعات لإغاثة المسلمين المتضررين هي : « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » وعنوانها : الكويت - الصفاة - ص ب ٣٤٣٤ .

■ الأخ طلعت محمد - كربه - طهران - إيران ..

●● الأسئلة الواردة في رسالتكم أسئلة علمية بحتة ، ومجال تناولها هو المجلات والنشرات العلمية المتخصصة .

■ الأخ فكري عبدالمالك تلبين - مكناس - المغرب ..

●● عنوان الدكتور فاروق مساهل :

Dr. F. M. MESSAHEL
35 WOODLEIGH Ave.
BIRMINGHAM B17 ONW
ENGLAND

واقع مؤلم ومرير ، وقد يكون من المفيد متابعة الكتابة وتحليل الأوضاع بصورة مفصلة لمعرفة الأسباب التي أوصلتنا إلى هذا الواقع وكيف يمكن تجاوزها ، ومعرفة وسائل وأساليب ترشيد الصحوة الإسلامية ..] .

● ويقول الأخ جمال حسن التابعي - من بور سعيد - مصر :

[... كنت أسعد بمسابقة « الأمة » الشيقة والهادفة منذ بدايتها ، ولكنني لاحظت أن الأسئلة أصبحت مصبوبة في قالب معين لا تحيد عنه ، مما يعطل عملية البحث والرجوع إلى المراجع أو التفكير في حل مسألة ذهنية .. كما لاحظت أن المسابقة تورد سؤالاً في الشعر ، والشعر لون أدبي ممتاز ، لكن ما يرد منه غير معروف أو مشهور في أغلب الأحيان ، ومن المفارقات أن السؤال الأول الخاص بمعرفة معاني الكلمات يرد فيه ثلاثة معان لاختيار المعنى الصحيح من بينها . بينما سؤال الشعر أولى بوضع أسماء ثلاثة من الشعراء لاختيار قائل الأبيات ..] .

● ومن عليكرة بالهند - كتب الأخ محسن أحمد يوسف أحمد .. يقول :

[... إنني أتابع سلسلة « كتاب الأمة » منذ صدور العدد الأول ، وهي - والحمد لله - تتميز بالموضوعات الهامة والأسلوب الشيق ، وتقسيم الفقرات بطريقة سلسة وسهلة مما يهيىء للقارىء المتعة والتركيز في القراءة ، وتوضيح الفقرات المهمة عن طريق زيادة اللون الأسود على ألفاظها ..

كل هذه اللطائف جعلتني أكتب إليكم هذه الورقة المتواضعة لأعبر عن تقديري لحرصكم على عرض الفكرة الإسلامية الحرة بطريقة موضوعية ، عبر اختياركم لكتّاب معاصرين ذوي كفاءة عالية ...] .

● وأرسل الأخ بهجت محمود طنطاوي - من المنصورة - مصر - يعلق على إحدى القصائد التي سبق نشرها بالعدد السابع والأربعين يقول :

[... القصيدة للشاعر عبد القادر أحمد ، وهي بعنوان : « جاهليون إلى الأوثان في هذا العصر » ، وهي منظومة نظماً حراً أو من لون « الشعر الحر » كما يسمونه ، وأنا في الحقيقة لا أنقص من قدر الأخ الشاعر ، ولكني قرأت للأستاذ « محمد الغزالي » في « كتاب الأمة » (مشكلات في طريق العمل الإسلامي) أن المستشرقين أتوا بالشعر الحر لطعن اللغة العربية ، وأيّدهم من أيّد ، وقد عارض « العقاد » ذلك الشعر وكذلك الشاعر هاشم الرفاعي ، وقال في شأنه :

ربّ إني على القديم مقيم
واعد الخلاص منه خيانة

باقلام القراء

الصحــــوة ومخططات التنميــة

●● لا احد يشك في اننا كمسلمين نمر بازمات كبيرة من كل نوع ، في عالم الأفكار وعالم الأشياء .. وطبيعي ان يتصدي احدنا لهذا الوضع (المتازم) الذي نعيشه ليجتهد - ما امكنه ذلك - في تشخيص وضعنا هذا ، ومن ثم تقديم حلول لعلاجه وقد كان ذلك .. فقد تصدى روادنا في الثقافة والفكر لوضعنا المذكور منذ أول لقاء بيننا وبين (الغرب) الذي لولا هجومه علينا ، لما عرفنا ابداً اننا نعيش فعلا في أزمات !!

ولسوء حظنا كمسلمين تولى - في تاريخنا الحديث - عملية التغيير الفعلي لأفكارنا وسلوكياتنا ، علماء ومفكرون شربوا حتى الثمالة من منابع الفكر الغربي دون انتقاء أو اختيار .. ولقد تم تغريبنا بصفة كاملة على ايدي هؤلاء ، يساعدهم في ذلك - أحيانا - حكام لا يعنيهم من أمر الامة شيء إلا قدرتها على تثبيتهم في كراسي السلطة والحكم !!..

والآن بعد أن قطعنا أشواطا بعيدة في احضان التجربة التغريبية على الرغم منا .. فإننا لما نخرج بعد من التجربة بالرغم من مرور عقود كثيرة من السنين على بدايتها .. إن الاستنتاج البديهي الذي يطرح نفسه في هذا المضمار هو ان التجربة فشلت غير ان اصحابها واتباعها لا يقرون بذلك !.. فيقولون :« إن التجربة التي خضناها والتي تضمنت تغييرنا ككل استناداً إلى المنهج العصري - منهج الواقع والعصر - لم تفشل لأن المنهج الذي استندت إليه كان ناقصاً أو قاصراً .. وإنما لأن خطط التنمية التي أشرف عليها حكام مستبدون وأشخاص جَهَلة نصابون ، هي التي فشلت ، فكان من نتائجها ما نراه من ضياع مادي ومعنوي في حياتنا ..» والتنمية التي يقصدون تكون في عالم الأشياء فقط ما دام هذا العالم - كما يعتقدون - هو المؤثر المطلق في عالم الأفكار ..

والواقع ان كلامهم هذا الذي اذاعوه في كل

مسؤولية علماء المسلمين اليوم

●● من صور التناقضات التي تعيشها المجتمعات المسلمة اليوم غياب علماء المسلمين عن المشاركة في القيادة والتوجيه ، فعلماء المسلمين منفصلون عن الواقع الاجتماعي حيث تخلّى الكثير منهم عن واجبهم المقدّس في توعية الجماهير وتثقيفهم في أمور دينهم ومعالجة مشكلاتهم ، ولذلك فلا عجب أن نرى الشباب في عالمنا الإسلامي وهو يعاني الحيرة القاتلة وقلّة الوعي وربّما الانحراف الفكري والسلوكي . وعلماء المسلمين منفصلون عن الواقع السياسي أيضاً حيث لا تحس لهم أثراً في توجيه الحياة السياسية ومراقبة الحكام والمسؤولين في ضوء شريعة الإسلام .

ويمكننا أن نصنف مواقف العلماء من أولي أمر المسلمين وانحرافاتهم عن معالم الدين وهجرهم لأصول الحكم الإسلامي وهم كما يلي :

(١) فئة الساكتين عن الحق الذين يخشون على أنفسهم وأهليهم ومصالحهم من الأذى فيتنازلون عن مسؤوليتهم التوجيهية ويتخلوْن عن دورهم في الجهر بكلمة الحق والصدع بمعارضة الإنحراف .

(٢) وفئة المحايدين الذين يضيعون أوقاتهم وجهودهم في التركيز على المسائل العامة والتفصيلات الفقهية وأمور الشعائر التعبدية ولكنهم صم بكم حين يتعلق الأمر بأحوال الحكم الإسلامي وإقامة الشريعة ومحاسبة الانحراف والفساد .

(٣) وهي فئة المنافقين - وهم أشد الفئات انحرافاً - الذين ترتبط مصالحهم الدنيوية بمراكز السلطة فهم أبواق منافقة مصفقة تبارك كل القرارات وتدعمها وتجهز لها الفتاوي المكتوبة لتبرير أعمالها بالحق أو بالباطل ، وهم لا يفتوون يدينون للناس الأوضاع المنحرفة .

إن هؤلاء العلماء الساكتين منهم والمنافقين هم المسؤولون عن الأوضاع المنحرفة لأمتنا الإسلامية . فإلى متى يخدع المسلمين بهذه الفئة من العلماء الذين يرويدون إقناع الناس بمكانتهم ومهابتهم بما يضفونه على أسمائهم من ألقاب السماحة والفضيلة ؟ ما أرخص أولئك العلماء أو الأدعياء ، وما أبعدهم عن العلماء الحقيقيين الذين كانوا مشاعل هدى ومنارات إرشاد ، وكانوا دائما غصّة في حلوق المستبدين المتجبرين وحجر عثرة في طريق الأنظمة المنحرفة ليستحقوا عن جدارة وصف الرسول ﷺ لهم بأنهم « ورثة الأنبياء »

إن الوضع الصحيح لعلماء المسلمين اليوم هو أن يستقلوا بأنفسهم عن الرسميات الحكومية وأن يتخلصوا من الارتباط المادي بالحكام وأن يصدعوا بكلمة الحق وأن لا يخشوا في الله لومة لائم ، حتى يكونوا أحراراً ويمتلكوا الشجاعة على الصمود ، وأن يرتبطوا بالجماهير المسلمة ارتباطا حقيقيا حتى يكونوا على وعي بأحاسيسهم وقضاياهم وأن يفهموا رسالتهم على أنها قيادة لا قعود .. وجهاد لا تخاذل . ●●

يوسف العكرمي - [الجمهورية التونسية]

مكان ، ليس إلا محاولة مستميتة يحاولون بها صرف الأمة عن دينها الذي ثابتْ إليه مؤخراً .. وشيء طبيعي ان كلامهم هذا مليء بالمغالطات مادام يقال ضمن محاولتهم المستميتة لرد امر لابد من وقوعه .. وإنني اكتفي بطرح سؤال محدد على امثال هؤلاء :

إذا كنا قد عدنا لديننا لأن خطط التنمية التي لم يكن لنا الحق في وضعها او على الأقل مراقبتها ، قد فشلت في رفعنا إلى مستوى البلاد المتقدمة فكراً وسلوكاً ، فلماذا يدخل في ديننا من ينتسبون لتلك البلاد المتقدمة نفسها ، والتي نعتبرها الانموذج في حضارة العصر الراهنة ؟!..»

إن الإسلام يطرح نفسه بديلاً ليس فقط لنهج الحياة السائد في مجتمعات الجوع والتخلف بل ايضا لنهج الحياة السائد في مجتمعات الوفرة والتقدم لأن هذه في منظار الإسلام ليست متقدمة او متحضرة بتاتا ما دامت مادية ظالمة بهذا الشكل الذي نراها عليه ..

إن مشكلة مفكرينا المستغربين انهم ينظرون إلى المجتمعات الغربية على انها المثال الذي يجب ان نتطلع إليه ، وما دامت تلك المجتمعات لا تختلف عنا إلا في تقدمها المادي فيجب تحقيق هذا التقدم الذي - على زعمهم - سيخلصنا من ذلك الجدل العقيم الذي يدور بيننا حول اختيار الاسلوب الحضاري الخاص لحياتنا ..(ونحن طبعا لا نمنع - بل على العكس - نطلب التقدم المادي ..) .

وهم لذلك يعتبرون عودتنا إلى الإسلام التي تجسدت في شكل (صحوة إسلامية) ردة فعل لما نعانيه في واقعنا من تخلف مادي ، وبعبارة اخرى ، يتهموننا بالهروب من الواقع الممر إلى احضان الدين الذي - كما يزعمون - لم يكن على مر العصور إلا مهرباً عاطفياً وجدانياً لبني الإنسان المسحوقين !!..

بل إن منهم من اعتبر (الصحوة) حركة سياسية في ثوب ديني ، فهل سمعتم ياتري عن حركة سياسية في بلد ما ينضم إليها افراد من كل الفئات والطبقات ومن كل بلدان العالم ؟!

إن حركة او ثورة البروليتاريا العالمية التي يدعو إليها الشيوعيون في إطار ما يسمى بالصراع الطبقي ، لا تضم في صفوفها إلا طبقة او فئة واحدة من البشر يريدون الاستحواذ على السلطة والثروة من ايدي الآخرين ... بينما (الصحوة) كما هو معروف ، تضم في صفوفها افراداً من كل الشعوب والاجناس والامم والطبقات ... فهل هي حركة سياسية ؟ وهل هي رد فعل عاطفي لواقع التخلف الذي يخيم على قسم من العالم ، بينما ينتمي إليها افراد من الواقع المتقدم لنفسه ؟!....

عبد المالك الإدريسي - [المغرب]

[الأسس الفنية للقصة القصيرة]

●● من ألوان الأدب المؤثر ، التي تستولي على الأفئدة وتأسر الألباب وتحوز الإعجاب ، لون من ألوان البيان هو المسمى بالقصة الفنية أو القصة الأدبية .

ولقد زعم كثير من المستشرقين عدم وجود اللون الأدبي في الأدب العربي القديم ، وبأن الأدب العربي لم يعرف القصة إلا في هذا العصر الحديث .

وبحسبهم وقد حكموا على أدبنا بمنظار الحقد ما نجمله الآن غير معتمدين على التكرار أو التفصيل الممل ، أو الاقتضاب والإيجاز المخل ... لننظر أولاً إلى الأسس العامة للقصة الفنية : إنها تعتمد على الشخص ، والزمان ، والمكان ، والعقدة ، والحل ، والبناء البياني « اللفظي » ، والمعنى « المعنوي » ثم لنتساءل ثانيا : هل توجد القصة المشتملة على كل هذا في الأدب العربي ؟

ونقول ابتداءً : لقد وجدت القصة بهذا المعنى في الأدب العربي منذ العصر الجاهلي وإن لم تسم قصة . ولنأخذ مثلاً من الأدب الشعري وما قاله الحطيئة المخضرم :

وَطَاوي ثلاثٍ عاصِبِ البَطْنِ مُرْمِلٍ ... ببيداءَ لمْ يَعْرِفْ بها ساكنٌ رَسْما
أخي جَفْوةٍ فيه من الأُنسِ وَحْشَةٌ ... يَرى البؤسَ فيها من شراسَتِهِ نُعْمى
وَأَفْرَدَ في شِعْبٍ عجوزا إزاءَها ... ثلاثةُ أشباحٍ تَخالُهُمُ بُهْما
حفاةٌ عراةٌ ما اغْتَذَوا خُبْزَ مَلَّةٍ ... ولا عَرَفوا للبُرِّ مُذْ خُلِقُوا طَعْما
رأى شبحاً وَسْطَ الظَّلامِ فَراعَهُ ... فلما رأى ضَيْفاً تَشَمَّرَ واهْتَمَّا
فقالَ : هيا رَبَّاهُ .. ضَيْفٌ ولا قِرى ... بِحَقِّكَ لا تَحْرِمْهُ تا اللَّيْلَةَ اللَّحْما
فقالَ ابْنُهُ لما رآه بِحَيْرَةٍ : ... أيا أبَتا اذْبَحْني وَيَسِّرْ لهُ طُعْما
ولا تَعْتَذِرْ بالعُدْمِ علَّ الذي طرا ... يَظُنُّ لنا مالاً فيوسِعَنا ذَمّا
فَرَوّى قليلاً ثُمَّ أحجَمَ بُرهَةً ... وَإنْ هُوَ لَمْ يَذْبَحْ فَتاه فَقَدْ هَمّا
فبينا هُما عَنَّتْ على البُعْدِ عانَةٌ ... قَدِ انْتَظَمَتْ مِنْ خَلْفِ مِسْحَلِها نَظْما
عِطاشاً تُريدُ الماءَ فانْسابَ نَحْوَها ... على أنه مِنْها إلى دَمِها أظْما
فأمْهَلَها حَتّى تَرَوَّتْ عِطاشُها ... فأرْسَلَ فيها مِنْ كِنانَتِهِ سَهْما
فَخَرَّتْ نَحوصٌ ذاتُ جَحْشٍ سَمينَةٌ ... قَدِ اكْتَنَزَتْ لَحْماً وقَدْ طُبِّقَتْ شَحْما
فيا بِشْرَهُ إذْ جَرَّها نَحْوَ قَوْمِهِ ... ويا بِشْرَهُمْ لمّا رَأوا كَلْمَها يَدْمى
وَباتَ أبوهُمْ مِنْ بشاشَتِهِ أباً ... لِضَيْفِهِمُ ، والأُمُ مِنْ بِشْرِها أُمّا

وعلى طريقة النقد الموضوعي نتساءل ونقول : ألم يوجد في مثل هذا اللون الشخصي ؟ ويرد المنصف بلى ! ألم يوجد كذا ؟ فيقول بلى . وهكذا بقية تلك الأسس التي تقوم عليها القصة .

بل إن القرآن الكريم والبيان النبوي قد اشتملا على القصة الفنية المعجزة السامية . ●●

أحمد رزق مصطفى السواحلي

الاجتماع السادس لمجلس أمناء منظمة الدعـــوة

■■ في ظروف يعاني فيها الإنسان الأفريقي بشكل عام والمسلم بشكل خاص ويلات الجوع والفقر والمرض ، وفي وقت تزداد فيه الحاجة ، اكثر من أي وقت مضى لمواجهة المدّ التنصيري الذي يستغل حاجات الناس إلى الدواء والغذاء ، وفي محاولة لتذليل الصعاب أمام تبليغ ونشر دعوة الله ، عقدت « منظمة الدعوة الإسلامية » في ٨ شوال ١٤٠٥هـ [٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٨٥م] الاجتماع السادس لمجلس امناء المنظمة .. وكان من بين الحضور سمو الشيخ حميد بن راشد النعيمي عضو المجلس الأعلى لدولة الإمارات العربية المتحدة حاكم عجمان ، والشيخ عبد الرحمن بن عبد الله المحمود وكيل رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر .

وناقش الاجتماع على مدى يومين كاملين ، تقرير المدير العام والميزانية العامة وتقرير بيت الخبرة حول الهيكل الإداري المقترح لإدارة المنظمة وتعديلات مقترحة على الدستور ..

ووافق الاجتماع في ختام جلساته على رفع عضوية المجلس من ثلاثين إلى خمسين عضواً وعدد المراقبين إلى عشرين .. كما تم الاتفاق على عقد الاجتماعات القادمة خارج السودان في البلاد الأعضاء في المجلس .

كما تم تكليف وفد للطواف بالمنطقة العربية لجمع مساعدات لسد العجز في ميزانية ١٤٠٦هـ والذي يقدر بحوالي ثلاثة ملايين جنيه سوداني من اصل الميزانية المقترحة وهو سبعة ملايين جنيه سوداني .

وفي إطار الاجتماع ، جرى افتتاح عدد من المشاريع التي نفذتها المنظمة ووضع حجر الأساس لأخرى .. وقد وضع سمو الشيخ حميد بن راشد النعيمي حجر الأساس لمدرسة سيف الغرير الابتدائية بمنطقة الحاج يوسف بالخرطوم بحري ، ومسجد كلية الطب بجامعة الخرطوم .

كما افتتح سموّه « مركز التركي للإنتاج الإذاعي والتلفازي » والذي تحمل الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية نفقات المرحلة الأولى منه ، والتي بلغت تكاليفها مائتين وخمسين الف دولار ..

ويهدف المركز لإنتاج واستخدام المواد الإعلامية والوسائل المتقدمة في نشر الدعوة ، ورصد أنشطة المنظمات التنصيرية في افريقيا ، وتبصير الأقليات المسلمة بكيفية مواجهتها والعمل على الحد من نشاطها .. وذلك إلى جانب تدريب الإعلاميين المسلمين والدعاة على مختلف مهارات وتقنيات الإعلام المعاصر .

وكان الفريق أول عبد الرحمن سوار الذهب رئيس المجلس العسكري الانتقالي العالي قد خاطب الجلسة الافتتاحية بكلمة اشاد فيها بالجهود التي تقوم بها المنظمة في السودان في جميع المجالات الاجتماعية والدينية وفي مجالات الإغاثة والصحة والتعليم .. ودعا المنظمة للتغلغل اكثر ، حيث يعيش الأهلون في افريقيا ، لنشر الوية العلم والنور ..

وتجدر الإشارة إلى ان منظمة الدعوة الإسلامية أنشئت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) ، وهي منظمة متخصصة في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين والجماعات المسلمة الناطقة بغير العربية التي يهددها الغزو الإلحادي الصليبي .. وتقوم بالإضافة إلى ذلك ، بأعمال الإغاثة وتقديم الخدمات الضرورية في مجالات التنمية الاجتماعية والاقتصادية والرعاية الصحية والتعليمية وتدريب الدعاة الأفارقة عن طريق إنشاء المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والصحية والتعليمية .. ومجال عملها القارة الأفريقية ، وتتخذ من الخرطوم مقراً لها .. ■■

مـــرة أخرى :
الفاتيكان يبرىء اليهود من دم المســـيح

■■ أعلن الفاتيكان براءة جديدة لليهود من دم المسيح في وثيقة تضمنت اعترافاً ضمنياً « بحق » اليهود في فلسطين المحتلة

جاء ذلك في وثيقة رسمية صدرت في ٢٤ يونيو [حزيران] ١٩٨٥م عن لجنة الفاتيكان للعلاقات الدينية مع اليهودية ، وتضمن النص الحرفي للوثيقة كما نشرته صحيفة « اوبسير فاتوري رومانو » لسان حال الفاتيكان في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ يونيو [حزيران] ١٩٨٥م تعليمات مشددة لرجال الدين الكاثوليك والكنائس والمؤرخين والمدرسين وقطاعات الكنيسة الكاثوليكية كافة بشان التعامل مع اليهود ، وتلاوة الصلوات النصرانية من الطقس الكاثوليكي بشكل يضمن عدم التعرض لهم وذلك في محاولة لقطع

إطلاق ســـراح
قاتل « مالكولم إكس »

■■ اطلقت السلطات الأمريكية في اواخر حزيران [يونيو] الماضي ، محمد عبد العزيز احد الأشخاص الثلاثة الذين أدينوا في حادث اغتيال الزعيم الأمريكي المسلم « مالكولم إكس » في شباط [فبراير] ١٩٦٥م

جذور مظاهر معاداة السامية بين النصارى !!

ويجيء إصدار الوثيقة بناء على تعاليم المجمع الفاتيكاني الثاني وبعض خطابات البابا يوحنا بولس الثاني بشأن العلاقة مع اليهود على أساس الرسائل التي بعثت بها الجالية اليهودية في روما إلى الفاتيكان في الآونة الأخيرة والتي طالبت بالتصدي لمظاهر معاداة السامية في الديانة النصرانية الكاثوليكية !!

وتدور بنود الوثيقة حول عدة موضوعات أهمها : التعليم الديني واليهودية ، العلاقة بين العهد القديم والجديد ، الجذور اليهودية في النصرانية ، اليهود في العهد الجديد ، اللاهوت (مسار ومحتوى الصلوات النصرانية) ، اليهودية والنصرانية .

وتوصي الوثيقة بضرورة عدم اعتبار اليهود شعباً منبوذاً أو معادياً للمسيح وذلك بتبيان العلاقة بين يهود فلسطين القدماء ـ كما جاء في الوثيقة ـ والمسيح عليه السلام ، ودور اليهود الفرنسيين ويهود القدس في عهد المسيح .

وادّعت الوثيقة أن المسيح عليه السلام كان يهودياً وسيظل هكذا إلى الأبد .. وفي الوقت نفسه دعت إلى عدم الخلط بين الديانتين النصرانية واليهودية بإيراد مئات النصوص من الأناجيل المختلفة .

وتدّعي كذلك أن أرض فلسطين هي أرض الأجداد لليهود ، ممّا يعني اعترافاً ضمنياً بالكيان الصهيوني .. بل إن اللجنة الفاتيكانية أكّدت أنها ترفض أيّ تفسير سياسي بدولة إسرائيل وقالت : « إنَّ تاريخ إسرائيل لم ينته في العام الميلادي الـ(٧٠) أي يوم تدمير القدس على يد الرومان بل استمر تباعاً في « الدياسبورا » والتي سمحت لإسرائيل بحمل شهادتها للعالم والتي كانت دائماً بطولية ، أي : إخلاصها للرب الواحد وحافظت في ثنايا قلبها على الأمل وذكرى أرض الأجداد » .

وواصلت الوثيقة تقول : « أمّا ما يتعلق بدولة إسرائيل ـ الحالية ـ وخياراتها السياسية فعلينا أن ننظر لها ليس من الزاوية الدينية بل على أساس المبادىء المشتركة للقوانين والحقوق الدولية » .

وأردفت الوثيقة قائلة : « إن تجذر إسرائيل في أرض شهدت عدة شعوب اندثرت دون أن تترك أثراً لها هو حقيقة تاريخية وعلامة يجب تفسيرها أنها من

إرادة الله ، لذا لا بد من ترك المفهوم التقليدي للشعب المعاقب كما في نظر النصرانية لأنه يبقى الشعب المختار (أي اليهود) » .. ■■

واطلاق سراح قاتل « مالكولم اكس » يفتح من جديد سيرة رجل قلّ أن تطرح من خلال الصحافة العربية الإسلامية بالرغم من انه كان يعمل بجدية إلى جانب التضامن العربي والإسلامي ونصرة قضاياه وهو ما يُعتقد انه من الأسباب الرئيسة لاغتياله .. فبالرغم من أن هوية من يقفون خلف الحادث لا تزال إلى الآن غير معروفة ، إلَّا أنه مما لا شك فيه أن اليهود كانوا يخشون من أن تؤدي حركة « مالكولم إكس » إلى ظهور « لوبي » أمريكي إسلامي يضغط من أجل الحق العربي الإسلامي ..

بدأ « مالكولم إكس » حياته مشرداً : قُتل أبوه على أيدي البيض وأصيبت أمه بالجنون ، وغادر المدرسة إلى غير رجعة حين بلغ العاشرة من عمره . وتلقفته شبكات المخدرات والدعارة وبرز كلص محترف في عمليات السطو .. واستمر في هذه الحياة إلى أن أُلقي عليه القبض في إحدى الجرائم وحكم عليه بالسجن عشر سنوات .. وفي السجن كان على موعد مع حياة جديدة ، حين نصحه أحد أصدقائه بأن يستفيد من مكتبة السجن .

وكان أول ما امتدت إليه يد الرجل قاموساً للغة حفظه كله عن ظهر قلب .. ثم اتجه لدراسة كتب التاريخ والاجتماع التي يَعتقد أن الاطلاع عليها يساعد السود في قضاياهم .. فقرأ « تاريخ الحضارة » لـ « ويل ديورانت » و « التاريخ الأسود » لـ « كارتر ودسن » وغيرها ..

ـ وبينما هو منكب على قراءاته تلك إذا بأشقائه الذين اقتنعوا بما كان يبشر به « اليجا محمد » يكتبون له من خارج السجن ليدرس الإسلام . فدرس الإسلام واعتنقه . ولكنه ـ كما يقول الباحث محمد وقيع الله احمد بجامعة ام درمان الإسلامية بالسودان ـ اعتنق إسلاماً مشوهاً مختلطاً بنزعات العنصرية والعرق .

وبعد أن أُطلق سراحه سنة ١٩٥٢م ، اتصل بـ « اليجا محمد » وأصبح من الدعاة المرموقين لحركة المسلمين السود . واستطاع أن يجذب إلى الحركة ما يزيد على اربعين ألفاً من الأعضاء .. واهتم بشكل خاص بمجتمعات الدعارة والسرقة ومرتادي السجون والمغنين وانقذ أعداداً كبيرة منهم وجذبهم إلى الإسلام .

انعكست حياة البؤس والتشرد القاسية التي عاشها « مالكولم إكس » في أيَّامه الأولى على أفكاره وتصوراته .. فقد كان يعتقد بأن البيض هم شر محض ، وأنهم مصدر كل ما تعرض له السود من الظلم والقهر .. ولم يكن يقبل نقاشاً فيما أخذه عن « اليجا محمد » من أن الرجل الأسود هو الذي خُلق في البدء ، وأن بعض السود قد ارتكب سيئات فاحشة مُسخوا بسببها إلى بيض . وأن سيادة الرجل الأبيض قد انتهت وأن المستقبل قد أصبح لمصلحة السود . بل لم يكن ير الإسلام إلَّا في أمريكا وحدها .

لكن أداءه فريضة الحج سنة ١٣٨٤هـ كان نقطة تحوّل كبرى في حياته وفي أفكاره وتصوراته ، عبَّر عنه في رسالة وجهها إلى أصدقائه ونشرتها الصحف ، اعترف فيها بأنَّ رحلة الحج ، وما شهدتُه فيها وما خبرت .. قد اجبرني على أن أعيد ترتيب كثير من نماذج فكري السابقة وأن أقذف ببعض نتائجها » .

وقد ساعده على عملية إعادة ترتيب فكره ما كان يتميز به من عقل متفتح وقدرة على مواجهة الحقائق وتقبل الوقائع والمعارف والتجارب ، ولعلَّ أبرز تحوّل في فكره أنه لم يعد يتهم البيض كلهم بالشر بل آمن بأن ميثاقاً لحفظ الحرية والعدالة والمساواة يمكن أن يضم السود إلى جانب البيض . كما تراجع عمّا كان يدعو له من فكرة الانفصال عن المجتمع الأمريكي وما كان يطالب به في مرحلة لاحقة لذلك من أن تكون للسود ولاية خاصة بهم من الولايات الأمريكية . ولكن ربما يكون أهم تحول في حياة الرجل خروجه عن حركة « اليجا محمد » وكفره بكثير من أفكاره المنحرفة .

وقبل أن يستشهد عن عمر يبلغ التاسعة والثلاثين كتب « مالكولم إكس » رحمه الله مذكراته التي طُبعت في أمريكا وحدها حوالي أربعين مرة وقررت كمادة دراسية في أقسام العلوم السياسية وأقسام دراسات الأقلية السوداء بالجامعات . وفي فقرة من تلك المذكرات لخَّص مراحل حياته المختلفة :

[... أحسب أن ما من أمريكي أسود قد غاص عميقاً في الوحل كما فعلت . وما من أسود كان أشد جهالة مني .. ولا تألَّم أكثر مني ... ولكن النور الوضَّاء الصافي لا يتلألأ إلَّا بعد ليل عميق شديد الحلوك ... والفرح الأكبر لا يتفجر في جوانب النفس إلَّا بعد أعظم المصائب . ويجب على الإنسان أن يكون قد عرف العبودية والسجن لينعم تماماً بالحرية] .. ■■

في عالم الاقتصاد

آثار « الفائدة » على الدول النامية

■■ ارتفعت مدفوعات الفائدة « الربا » على الديون الخارجية للدول النامية من (٢٢) بليون دولار عام ١٩٧٨م إلى (٧١) بليون دولار في العام الماضي وذلك بزيادة تعادل ١٣٪ من إيرادات التصدير بهذه الدول .

وترى مجلة « إيكونومست » البريطانية أن هذه الزيادة حدثت بسبب مضاعفة الدين خلال تلك الفترة .. وتضيف المجلة ان الارتفاع الواضح في معدلات الفائدة العالمية زاد - أيضاً - من مصائب هذه الدول .. ■■

المال العربي ينعش الاقتصاد التركي

■■ دخلت تركيا عام ١٩٨٥م واقتصادها يعد من أسرع الاقتصاديات نمواً في أوروبا ، ففي الوقت الذي بقي فيه متوسط النمو في إجمالي الناتج القومي للدول العشر في المجموعة الاقتصادية الأوروبية ما بين (٥,) و (٢٪) ، ارتفع معدل نمو الاقتصاد التركي في فترة الأربعة عشر شهراً الأخيرة ، بنسبة تقدر بـ ٧ر٥٪ .

وتعزو بعض الدوائر الحكومية في أنقرة ، هذا التحسن الكبير في اقتصاديات تركيا إلى الزيادة الكبيرة في المعاملات التجارية وحجم الاستثمارات مع الدول العربية المجاورة لتركيا ومعظم دول العالم الإسلامي ، ويشير الخبراء الاقتصاديون إلى أن الإعانات المباشرة والاستثمارات من الدول العربية قد زادت بما يتجاوز ١٤٪ وذلك منذ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٣م ، حيث انهالت بلايين الدولارات على شكل استثمارات في مجالات الإلكترونيات الدقيقة وبناء الطائرات وصناعة السيارات . وتجري تركيا محاولات للحصول على قروض عربية لإنشاء أول محطة تدار بالطاقة النووية تقام على الجانب الآسيوي من ساحل بحر مرمرة .

ومن جهة أخرى تقوم شركات للهندسة المدنية وأخرى للإنشاءات في تركيا بتنفيذ عدة مشروعات ضخمة في مجال الأعمال تمتد عبر عدد من أراضي البلاد الإسلامية .

ويأمل بعض المهتمين بالشؤون التركية في البلاد العربية ألاّ ينحصر مفعول المال العربي في إنعاش الاقتصاد التركي وإنما يتجاوز ذلك لإعادة الوجه الإسلامي لتركيا بعد عشرات من السنين قضتها في ظل العلمانية والقوانين « الأتاتوركية » . ■■

(٢٤) مليون أفريقي مهددون بالموت جوعاً

■■ حذَّر إدوارد صوما » المدير العام لمنظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة من تناقص المساعدات التي تقدمها الدول المانحة لنحو (٢١) دولة أفريقية يتعرض سكانها للموت جوعاً بسبب الجفاف وقلة الغذاء . وقال : إنَّ هناك نحو (٢٤) مليون شخص مهددون بالموت جوعاً وإن الموقف في غاية الخطورة في (٦) دول هي : إثيوبيا وموزمبيق والنيجر والسودان وتشاد ، ومعرض للخطر بصفة خاصة في شمالي أفريقيا والمغرب ..

وأعلن « صوما » في جلسة افتتاح مجلس المنظمة في روما (١٧ يونيو [حزيران] ١٩٨٥م) أن الحد الأدنى اللازم من المساعدات الغذائية الضرورية لتغطية الاحتياجات العاجلة للدول الأفريقية يقدر بنحو (٧) ملايين طن من المواد الغذائية في حين كان ما تعهدت الدول المانحة بتقديمه حتى الآن اقتصر على خمسة ملايين وسبعمائة ألف مليون طن فقط ..

وأضاف إن أكثر من نصف هذه المساعدات لم يصل بعد إلى الدول الأفريقية ، إضافة إلى أنَّ جانباً كبيراً منها لا يزال مكدساً في جوالات في الموانىء لصعوبة نقلها إلى مواقع المتضررين من المجاعة بسبب عدم توفر وسائل المواصلات الكافية .. ■■

■ هنري كيسنجر ■

لبنان : حكم الكانتونات والخطأ الإسرائيلي

■■ اعترف « روني ميلو » نائب وزير الخارجية الإسرائيلي بأنَّ « إسرائيل » ترغب في تقسيم لبنان إلى مناطق تتمتع في كل منها طائفة من الطوائف الأربع الرئيسة بالاستقلال الذاتي .

واشار في محاضرة عامة نظمها معهد سنغافورة للشؤون الدولية ليلة ١١ يونيو [حزيران] ١٩٨٥م إلى أنَّ « حكومة بيروت » ينبغي ان تكون مركزية محايدة وان تختص بالقضايا الفيدرالية بما في ذلك القضايا الأمنية والإشراف على اربع كانتونات تتمتع بالحكم الذاتي للدروز والشيعة والسنَّة والنصارى .

ومن جهة أخرى قال « هنري كيسنجر » في

المسجد الأقصى على أوراق اللعب

■■ شهدت بعض مناطق الهند خاصة « سيرناجار » عاصمة « كشمير » ، في الأسبوع الأخير من حزيران [يونيو] الماضي تظاهرات شعبية غاضبة بسبب « أوراق لعب » تحمل صورة المسجد الأقصى طبعتها الحكومة الإسرائيلية وقامت بتوزيعها على نطاق واسع في الهند ، الأمر الذي اعتبره المسلمون استهزاءً بمشاعرهم وتكريساً للإهانة في وجدانهم .

ووقعت عدة اشتباكات عنيفة بين المسلمين الغاضبين ورجال الشرطة .. وفي معهد ومدرسة ثانوية أضرب الطلاب كما نظموا مسيرة تنديد بالحكومة الإسرائيلية ..

وتأتي هذه الأحداث بينما لم ينقض شهر بعد على « أسبوع المسجد الأقصى » وهو الأسبوع الذي اتخذ المجلس الأعلى العالمي للمساجد في دورته السنوية التاسعة المنعقدة في غرة ربيع الأول سنة ١٤٠٤هـ بمكة المكرمة ، توصية بإقامته سنوياً في الأسبوع الأخير من شهر رمضان المبارك لمناصرة الشعب المسلم في الأرض المحتلة ودوام تذكير المسلمين بواجبهم إزاء الأرض المقدسة . ■■

ترحيل أيتام الأفغان إلى موسكو

■■ اتهم « يورجين موليمان » وزير الدولة الألماني للشؤون الخارجية ، الاتحاد السوفييتي بنقل أكثر من عشرة آلاف طفل أفغاني إلى المدارس السوفييتية .

وقال : إن أعمار الأطفال تتراوح ما بين سبعة وعشرة أعوام وإن معظمهم من أيتام الحرب الدائرة في أفغانستان .

وأضاف « موليمان » الذي كان يتحدث أمام اجتماع للجنة خاصة للبوندستاج « البرلمان الألماني (٢٨ يونيو [حزيران] ١٩٨٥م) أن الغرض من هذه العملية هو إعداد الأطفال ليكونوا كوادر حزبية في المستقبل البعيد ليعملوا على حماية المصالح السوفييتية في أفغانستان بعد إتمام دراستهم والعودة إلى بلادهم مرة أخرى . ■■

الأمريكيون يجهلون الإسلام

■■ أبلغ « هيرمان إيلتس » السفير الأمريكي السابق لدى مصر ، لجنة فرعية تابعة لمجلس النواب الأمريكي أن الجهل بالإسلام بين كبار المسؤولين الأمريكيين أمر خطير ..

وقال : « لم أجد حتى الآن رئيساً أمريكياً أو وزير خارجية أو مستشاراً للأمن القومي لديه أية دراية واضحة بالإسلام أو ما يعنيه » .

وقال في وقت لم تكن فيه أزمة رهائن الطائرة الأمريكية التابعة لشركة « تي . دبليو . إيه » قد حلّت : إنه خلال عمله في وزارة الخارجية الأمريكية تعلَّم أنَّ « من الصعب للغاية حمل الشخصيات على المستويات العالمية في الحكومة التركيز على الإسلام كقوة دينية واجتماعية وسياسية » . ■■

معرض حديث له عن الغزو الإسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢م : إنَّ إسرائيل ارتكبت خطأً كبيراً عندما حاولت توحيد لبنان تحت سلطة نصرانية ..

وقال « كيسنجر » في كلمة ألقاها أمام ألفي يهودي تقريباً احتشدوا في قاعة تابعة لكنيس يهودي في « مانهاتن » ، ونشرت « القبس » الكويتية في عددها بتاريخ ٨ يونيو [حزيران] ١٩٨٥م مقتطفات منها ، إنه لا يعتقد أن موضوع السيادة اليهودية على القدس يجب أن يخضع للمفاوضات .. وقال : إن العودة إلى حدود سنة ١٩٦٧م سيعرض إسرائيل للخطر وسيضع إسرائيل في موضع مشابه لـ « تشيكوسلوفاكيا » بعد اتفاق « ميونخ » ١٩٣٨م ..

وأعرب عن تأييده لمشروع « إيغال الون » القديم الذي يمنح حق تقرير المصير لغالبية العرب في الضفة الغربية وغزة مع احتفاظ إسرائيل بالأراضي التي تحتاج إليها لأغراض أمنية .. ■■

أخبار قصيرة

●● أكّد « آرثر هولكمب » مدير برنامج الأمم المتحدة للإنماء بالخرطوم ، أن المجاعة في جنوبي السودان نابعة من عدم الأمن وكنتيجة لنشاطات ما يسمى بجيش تحرير السودان الذي يتزعمه « جون قرنق » ، والعصابات المسلحة التي تسرق الإمدادات الغذائية وتحول دون وصول الشاحنات إلى القرى لمد السكان باحتياجاتهم من الغذاء .

●● أعلن « يورجن فارنكة » وزير التعاون الاقتصادي بألمانيا الغربية أن بلاده وإسرائيل ستزيدان مساعدات التنمية المشتركة والتي تُستغل ضمنها التقنية الإسرائيلية مثل تقنية زراعة النباتات ذات القدرة العالية على الاحتمال في الأراضي المتاخمة للصحراء .. ولم يحدد الوزير الذي اختتم في الأسبوع الأول لحزيران (يونيو) الماضي زيارة لفلسطين المحتلة ، الدول التي ستُقدم لها المساعدات ولكنه قال : إن « إسرائيل كذلك ترتبط بصلات وثيقة مع عدد من دول العالم الثالث التي لا ترتبط معها بأية علاقات دبلوماسية » .

●● نجحت شركة غاز البحرين الوطنية (بناغاز) في تطبيق تجربتها الخاصة باستخدام الغاز المسال الذي تنتجه الشركة كوقود للسيارات بدلاً من البنزين .. وتعتبر البحرين بذلك أول دولة خليجية تستخدم الغاز المسال كوقود للسيارات بصفة رسمية .. يمتاز الغاز بخلوه من مادة الرصاص التي تضاف إلى البنزين عادة مما يعني أن استخدام الغاز لا يؤثر على تلوث البيئة ..

●● في فرنسا وحدها ، بلغ عدد الطوائف التي تدّعي أنها تمثل أديان جديدة يلجأ إليها الشباب الغربي بحثاً عن قيم روحانية تعيد الاطمئنان إلى نفوسهم ، (٩١٦) طائفة .. معظم هذه الطوائف تشرف عليها عصابات مافيا من نوع خاص تعمل على توظيفها لأغراض الانحلال الخلقي !

قراءة ثقافية

إنهم لا يطرقون الأبواب

■■ « إلى مجاهدي الأفغان الذين يصوغون الفجر من خلال ظلام كثيف » .. أهدى الأديب محمود مفلح مجموعته القصصية الجديدة « إنهم لا يطرقون الأبواب » مستعيراً عنوان قصته الأولى كعنوان للمجموعة كلها .. ومع أن الأديب محمود مفلح قد ركَّز جهوده الإبداعية في الفترة الأخيرة على القصيدة حتى عرف شاعراً أكثر منه قاصاً ، فإنه قد كتب القصة من قبل ، وتعد هذه هي المجموعة الثانية له بعد مجموعته (المرفأ) التي صدرت عام (١٩٧٧م) في دمشق .

وبين الشعر والقصة تتوزع جهود أدباء إسلاميين كثيرين مما يطرح علينا سؤالاً هاماً : هل الأولى في مجال التأثير والإفادة من الأعمال الأدبية التي تدخل في نطاق الأدب الإسلامي هو تركيز الابتكار في شكل معين من أشكال الأدب أم من المفيد أن يبتكر في أي شيء يختاره ، جامعاً بين شكلين أو أكثر ما دام الأديب المسلم قادراً على ذلك ؟

وليست الإجابة على هذا السؤال ميسرة لفرد بعينه ، فلا بد أن يشترك فيها القارىء والشاعر والقاص ، والناقد أيضاً .. وهم أطراف القضية معاً ..

فإذا حاولنا قراءة القضية بصورة أوّلية رجعلنا إلى توزع الأديب بين شكلين محددين : القصيدة والقصة القصيرة - اللذين أبدع فيهما صاحب هذه المجموعة القصصية « محمود مفلح » - فالقصيدة بما تملكه من أولية أو أسبقية في اللغة تستطيع أن تلقى قارئها دائماً : كفكر في إطار شعري بأدوات فنية من إيقاع وموسيقى داخلية وخارجية ، يجتمع هذا كله ليصوغ تأثيره على القارىء ، ولم يستطع أحد أن يفقد الشعر دوره في حياة الأمة رغم ما أرادوا له من ضياع تحت ستار التجديد مما جعل نقاداً كانوا يوماً من الدعاة لكلمات برسم الشعر بلا أي أداة فنية يعترفون مؤخراً بسقوط الحركة !

والقصة - خاصة القصة القصيرة - استطاعت أن تنتشر بما اقترن معها من وسائل النشر الحديثة كالصحف والمجلات ، فقد اقترن ظهورها في القرنين الأخيرين بظهور الصحافة والكلمة المطبوعة ، مما حدا بكثير من الصحفيين أن يكتبوا القصة القصيرة ..

والقصة القصيرة أصلاً عبارة عن موقف من الحياة يتناوله القاص بكلماته التي تؤدي في كل جزئياتها إلى تأويل نفسي محدد يستطيع الكاتب أن يبلوره في نهاية القصة بما يسمونه لحظة التنوير .. ومع اختلاف وسائل الكتاب ونقد النقاد فإنَّ هذه هي الصورة الأساسية للقصة القصيرة ..

ويميل كثير من الأدباء والنقاد إلى أهمية إبداع الإسلاميين في مجال القصة القصيرة ويستندون في ذلك إلى مناسبتها للسرعة التي يتسم بها العصر الحاضر ، كما يستندون إلى أهمية بل ودقة الفكرة التي توحي بها القصة القصيرة .

والواقع أن الأديب محمود مفلح بمجموعته القصصية الجديدة قد أثبت جدارته في مجال القصة القصيرة ، ومجال القصيدة الشعرية .. فله من الدواوين ثلاثة : مذكرات شهيد فلسطيني - شموخ المآذن - الراية .. ولكن الإبداع في المجال القصصي يبدو هو الأقوى لديه ، ومن ناحية أخرى تبدو القصة القصيرة بما هو متبع في محيط نشرها أكثر انتشاراً وأقوى تأثيراً في الصحف والمجلات التي عادة ما تُنشر فيها قبل جمعها في مجموعة قصصية .

ورغم أن الشاعر عادة ما يلجأ للصورة الشعرية حتى تصبح شاغله - كما اعترف بذلك الأديب والشاعر محمود مفلح - فإنه لم يستطع الاستفادة كلياً في أسلوبه القصصي من غرامه بالصورة كما يبدو في أشعاره ..

وتبقى ملاحظة شكلية هي إغفال الأديب لتاريخ كتابته لقصصه التسع التي تكونت منها مجموعته الجديدة ، أو حتى تاريخ نشرها من قبل .. ولولا ذاكرة القارىء لخُيِّل إليه أنها تنشر لأول مرة .. وهو ما لم يحدث .. فقد نشرت في مجلات وصحف إسلامية .. هذا وتعد مجموعة « إنهم لا يطرقون الأبواب » بما أثارته من قضايا في أولويات الإبداع ، أو بما احتوته من فن وفكر إضافة جديدة في محيط الأدب الإسلامي ينبغي أن يتناولها النقاد والدارسون بمزيد من الدراسة وإلقاء الضوء . ■■

(السنَّة) صحيفة إسلامية جديدة

■■ صدر بالمغرب العدد الأول من صحيفة (السنَّة) التي اتخذت السنة عنواناً لها ، لأن السنَّة (رمز الإسلام الخالص من تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) كما قالت في افتتاحيتها . وتهدف إلى « نشر التوعية الإسلامية الصحيحة ، والتعريف بالإسلام خالصاً من شوائب البدع والتحريف والتأويل الباطل ، وإبراز دور الإسلام في حياة المسلمين وتوجيه سلوكهم » وقد احتوت الصحيفة - التي تصدر شهرية أول أمرها - على مقالات متنوعة ، منها السنَّة ومكانتها في الإسلام ، الأنبياء ، حاجة الناس إليهم ، جولة الجمعة : من أسباب غربة الإسلام ، من حِكَم الإسلام ، الاتجاه الإسلامي في الأدب ، قول بليغ ...

وتأمل وهي تنضم إلى زميلاتها من الصحف والمجلات الإسلامية التي تصدر في المغرب والعالم الإسلامي أن « تسير معها في قافلة مباركة ميمونة طريقها الخير ، وغايتها الخير للمسلمين وللناس كافة » . ■■

متابعات ثقافية

■ نوقشت بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف بالقاهرة رسالة الدكتوراه التي أعدها سامي عبد العزيز الكومي ، وكان موضوعها الصحافة الإسلامية في مصر في القرن التاسع عشر وذلك في قسم الصحافة والإعلام بالكلية .

■ افتتح مؤخراً في « داكار » ـ عاصمة السنغال ـ مركز الملك فيصل الثقافي والاجتماعي ، ويهدف المركز الذي شاركت في إنشائه مجموعة من الدول ومنها المملكة العربية السعودية إلى خدمة الإسلام ثقافة وحضارة في السنغال .

■ عن دار البشير بعمان صدر كتاب « الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث » للشاعر الإسلامي مأمون فريز جرَّار .

■ تم الاتفاق بين كلية الألسن بجامعة عين شمس وجامعات النرويج على تدريس اللغة العربية بالجامعات النرويجية .. مع تبادل الزيارات بين أعضاء هيئة التدريس والطلاب وتبادل المراجع والبحوث .

■ تصدر قريباً بالهند مجلة إسلامية علمية باللغة الإنجليزية ويصدرها المجمع الإسلامي العلمي بدار العلوم ندوة العلماء بـ(لكهنو) ، وسوف تكون المجلة فصلية في بدايتها أملاً في أن تتحول إلى مجلة شهرية فيما بعد ، وتتوجه المجلة بمقالاتها العلمية وموضوعاتها الإسلامية إلى المسلمين وغير المسلمين الذي يرغبون في دراسة الإسلام .

■ افتتح بالرباط البنك الإسلامي للمعلومات وذلك في المقر الرئيس لمنظمة التربية والعلوم والثقافة الإسلامية ، وسيكون البنك مفتوحاً أمام جميع الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي (٤٥ دولة) ، ويتم الوصول إلى المعلومات عبر القمر الصناعي (عربسات) وسيكون البنك متصلاً بشبكة المجموعة الأوروبية .

التعبير بالصورة

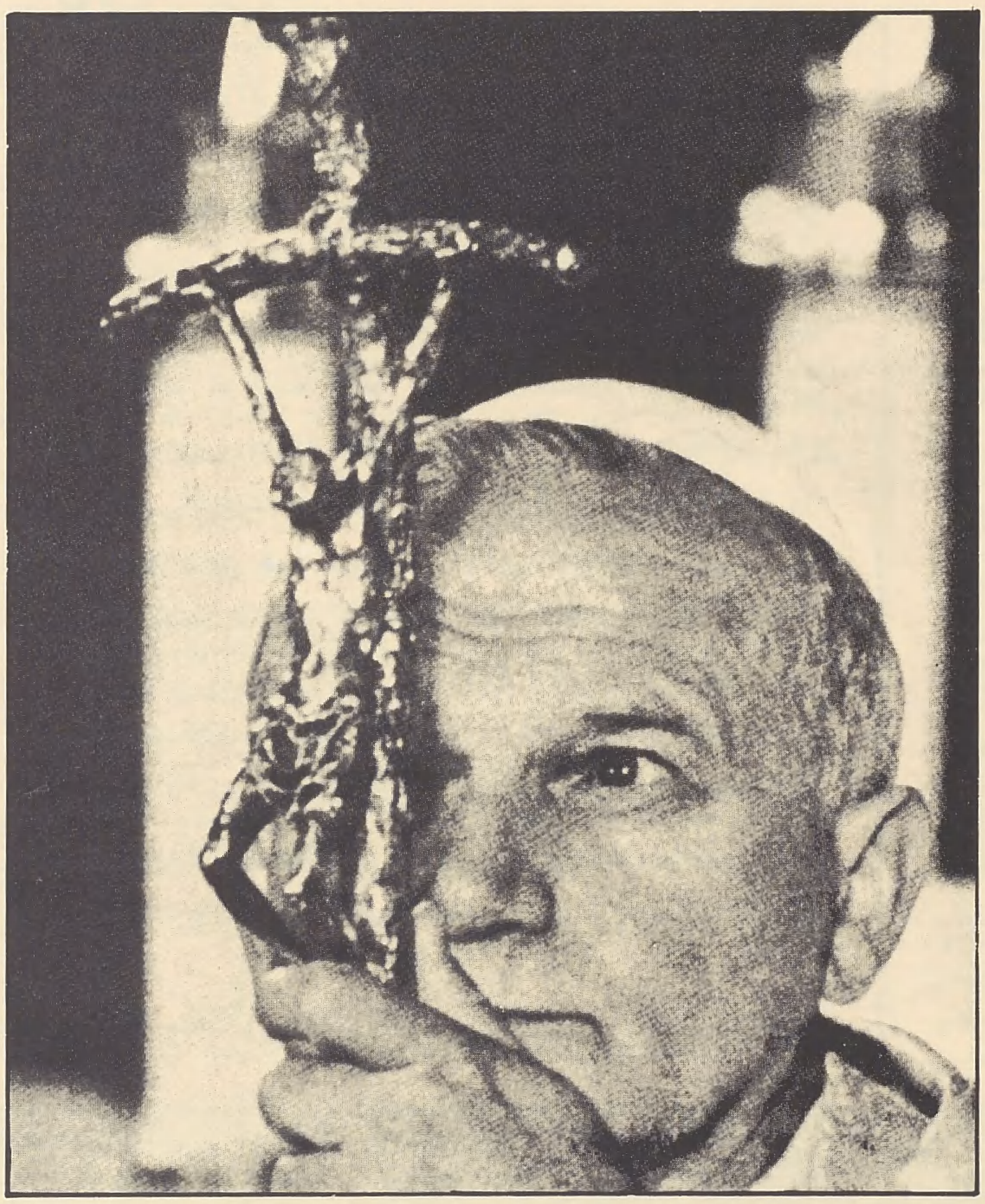

تبرئة يهود ، في الأجيال كلها ، من دم المسيح عليه الصلاة والسلام

[بابا روما يحكم على عقيدة النصارى بالخطأ بعد عشرين قرناً]

العدد الرابع من مجلة « المشكاة »

■■ صدر مؤخراً العدد الرابع من مجلة « المشكاة » التي تصدر في المغرب ، وهي مجلة ثقافية شهرية تصدر فصلية مؤقتاً ، وقد تنوعت موضوعاتها بين المقالة النقدية والقصيدة الشعرية والقصة القصيرة .. في مقدمة المجلة طُرحت قضية هامة عن الأدب الإسلامي وهي التفريق بين إسلامية الأدب وإسلامية الأديب ، واستمر الشاعر حسن الأمراني رئيس التحرير في زاوية « نحو ثقافة بانية » فكتب مقالاً بعنوان معالم الطريق ، وكتب حكمت صالح « نحو مسرح إسلامي معاصر » . وحرر الشاعر محمد المنتصر الريسوني رسالة سيد قطب إلى عمَّار بن ياسر وهي من ديوان مخطوط له ، وعرضت المجلة لرسالة عبد الرحمن حوطش الجامعية عن شعر الثورة في الأدب العربي المعاصر .. وفي وقفة تنظيرية للإسلامية في الأدب حاول عبد الله العلوي التنبيه على بعض ملامح الإسلامية في مسرحية (نقيب كوبينيك) للكاتب الألماني « كارل تسوكماير » . وأشارت المجلة من حين لآخر على صفحاتها للإصدارات الجديدة في مجال الأدب والثقافة الإسلامية . وفي نهايتها عرَّفت بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن ، كما أفردت باباً لبريد المجلة .. ■■

الدستور

الاقتتال الداخلي وأثره على نفسية الناشئة

■■ إن ظاهرة الاقتتال الداخلي أو العنف العربي الموجه إلى العرب، تعتبر تطوراً سلبياً خطيراً على الساحة العربية. وهي تستوجب اتخاذ خطوات حاسمة على أعلى المستويات لدراستها كظاهرة، ومن ثم اتخاذ موقف بشأنها. فضحايا العنف والاقتتال الداخلي العربي ليسوا فقط هم الصرعى الذين يسقطون بهذا الرصاص في المخيمات الفلسطينية وفي سائر أرجاء العالم؛ إنَّ أول ضحايا هذا العنف هو صورة هذه الأمة ومستقبلها.

وعندما نتكلم عن صورة الأمة الواحدة فنحن لا نتكلم عن شيء مبهم الأبعاد. ونحن لا نعني بالضرورة صورة هذه الأمة بمعنى منظرها أمام الآخرين. نحن نعني في الواقع نظرة هذه الأمة إلى نفسها ونظرة أبنائها لها ولأنفسهم. فالطاقات الاقتصادية التي تهدر يمكن بشيء من التخطيط والتنسيق أن تعوض. لكن الطاقات الشابة التي تسقط، والخسائر المفجعة ستبقى في الذاكرة والخيال أبد الدهر.

والأدهى والأمَرُّ أن الخسارة التي تهدد كيان هذه الأمة بأسرها هو ذلك الشرخ الرهيب الذي يحدث في النفسية العربية كلما ارتفعت حدة الاقتتال الداخلي واشتدت ألسنة العنف.

إنَّ الأجيال العربية الشابة التي ترث وضعاً مأساوياً - تطورت فيه وسائل الاقتتال الداخلي - أجيال مفجوعة مهددة في أمنها ومستقبلها. فلم تعد الشُّقة التي تفصل بين الأجيال في العالم العربي مبعثها اختلاف الزمن وتطور المناظير القيمية والأخلاقية فقط، ولكن مبعث هذه الشقة يعود إلى أن أجيال الرعيل الأول تتكلم كلاماً مبهماً غير مفهوم بالنسبة للأجيال الصاعدة. فأجيال الرعيل الأول تحدثت عن الوحدة، وأجيال الرعيل الثاني لا ترى إلَّا الحدود والقيود. وأجيال الرعيل الأول تحدثت عن أن «الدم لا يصبح ماء»، بينما ترى أجيال الرعيل الثاني أن الدم العربي هو أرخص سلعة في العالم العربي. وتغنت الأجيال الأولى بوحدة الهدف والمصير وحتمية الالتقاء العربي، ولا تجد الأجيال الثانية سوى الفرقة والتشتت والصراع.

إنَّ الرصاص والحرائق التي يعيشها بعضنا، لا تقل عن الكبت والإحباط الذي يكابده بعضنا الآخر. إنَّ الدمار النفسي الذي ينشأ فيه أطفال العرب وهم يرون عرباً يسقطون برصاص عرب يهدد - في الواقع - مصير هذه الأمة ومستقبلها. ■■

العــــدد [٦٣٨٧]

Middle East Times :

السوق الإسلامية المشتركة

بحاجــــة إلى إرادة سياسية

■■ تبنت القمة الإسلامية الثالثة - التي عقدت في الطائف عام ١٩٨١م - خطة عمل لتعزيز التعاون الاقتصادي بين أعضائها. وعقب انتهاء المؤتمر بشهور أصبحت الاتفاقية العامة للتعاون التجاري والتقني والاقتصادي بين الدول الأعضاء نافذة المفعول.

دعت الخطة التي تبنتها القمة الثالثة إلى زيادة حجم الإنتاج الغذائي في الدول الإسلامية، والعمل على التكامل التدريجي بينها، وتوسيع وتنويع مبادلاتها التجارية الخارجية، وتطوير المشاريع الاقتصادية المشتركة والتعاون في حقول النقل الجوي والبحري والاتصالات والخدمات البريدية.

كثيرة هي الاقتراحات الخاصة بإقامة سوق إسلامية مشتركة. لقد دعت أكثر من دولة إسلامية إليها، واعتبرت بعض الدول تقاربها مع بعضها نواة لإقامة تلك السوق. حتى تركيا التي - ارتبطت طويلاً بالغرب - تدعو اليوم إلى إقامة سوق إسلامية مشتركة. وقد دعا رئيس وزرائها إلى إقامة شبكة اتصالات فعّالة بين الدول الإسلامية، كضرورة مسبقة لإقامة السوق المنشودة. وقد أعربت أكثر من دولة إسلامية عن استعدادها للاشتراك في سوق إسلامية مشتركة تتيح لها التبادل التجاري المباشر فيما بينها، وإقامة مشاريع مشتركة وتبادل الخبرات الفنية والأيدي العاملة، والأبحاث، وتمويل المشاريع.

قبل سنوات قليلة كانت احتمالات نجاح السوق المنشودة قليلة بسبب ضعف المنشآت الأساسية والاتصالات. ولكن التصنيع السريع في العقد الماضي قد أدّى إلى تحديث تلك المنشآت في الدول الإسلامية، وهناك إجماع على أن تلك المنشآت كافية لبدء السوق المشتركة على نطاق محدود أولاً، تتحول فيه خلال عشر سنوات إلى نظام اقتصادي متكامل.

المشكلة إذاً أصبحت في توفر الإرادة السياسية والمعنوية لتنفيذ الفكرة.

إن العقل والمنطق يحبذان الفكرة التي ستؤدي إلى اكتفاء ذاتي في الطعام والسلع المصنعة واليد العاملة، مما سيوفر على الدول الإسلامية كثيراً من التكاليف، إن التعاون الثنائي بين عدد من الدول الإسلامية يجب أن يتم تأطيره ليصبح تعاوناً في نطاق أوسع بين الدول الإسلامية كلها.

لقد أصبحت العلاقات الاقتصادية والثقافية هي أساس التحالفات في العالم. إنها أساس قيام السوق الأوروبية المشتركة، والكوميكون.

إذا كانت الرغبة متوفرة، وإذا كان المنطق والعقل يدعمان الفكرة، فإن الإرادة السياسية هي التي يحتاجها تنفيذ الفكرة. ■■

[العــــدد ٣٤]

الوطن

ملاحظات حول مشروع

النظام الإعلامي العربي الجديد

■■ تقوم لجنة كبيرة تضم نحو خمسين خبيراً ومتخصصاً في مجال الإعلام من انحاء الوطن العربي بإعداد مشروع نظام إعلامي عربي جديد ، بإشراف وتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ولا يوجد ادنى شك في الاهمية البالغة لمشروع إعلامي كهذا من الناحية المبدئية والنظرية ، خصوصاً واننا نلحظ نقصاً فادحاً في الكتابات والمؤلفات والمطبوعات العربية المتخصصة في مجال الإعلام العربي والدولي ، وعلى الأخص فيما يتعلق بالإعلام التنموي .

ثم إن هذه الأهمية تنبع من الطموح المشروع للبلدان النامية من اجل إقرار نظام إعلامي جديد ، تنتفي فيه او تتقلص السيطرة الإعلامية للدول الرأسمالية المصنعة ، سواء من خلال سيطرة وكالات الإعلام الدولية أو ما تبثه الاقمار الصناعية من مواد إعلامية ذات طبيعة خطرة في الكثير من جوانبها لبلدان العالم الثالث ولا سيما في جانبها الإعلامي .

غير انه يبقى من مسؤولية العاملين لإخراج مشروع النظام الإعلامي العربي الجديد إلى حيز الوجود ، أن يضعوا نصب اعينهم في المقام الأول الواقع الإعلامي العربي الراهن ، وهو واقع اقل ما يقال فيه إنه مرير وغير قويم ، حيث إن العملية الإعلامية تحولت في معظم الحالات ، إلى مجرد كيل من المدائح « للإنجازات » وتبرير السياسة الخارجية والداخلية وخوض المعارك الإعلامية والرد على الحملات الإعلامية ...

لذلك إذا جاء النظام الإعلامي العربي الجديد وليداً شرعياً للواقع الإعلامي العربي أو صورة منسوخة عنه بهذه الدرجة أو تلك ، فلا خير في نظام كهذا لانه سيكرس الواقع ويضفي عليه صفة شرعية تحت شعار انه يجب عدم القفز عن الواقع ، وضرورة التعاطي معه كما هو . وإذا كان من غير الجائز في مشاريع كهذه القفز عالياً جداً عن الواقع العربي الراهن ، فإنه لا يجوز في الوقت نفسه تقنين او استنساخ هذا الواقع كما هو .

انطلاقاً من كل ما تقدم نقول : إن مشروع النظام الإعلامي العربي الجديد حري به أن يتضمن لا مجرد حديث إنشائي وخطابي حول الأسس والأهداف والفروضات النظرية حول وسائل التطبيق فيظل شكلاً بلا مضمون وحبراً على ورق كغيره من استراتيجيات الدفاع والأمن والتنمية ... التي وضعتها فرقٌ عمل خبيرة ومتخصصة بتكليف من الجامعة العربية وأهدرت في سبيلها اموال وجهود كبيرة ، بل إنه من الأهمية بمكان أن يتضمن النظام الإعلامي المقترح تشريعات قانونية واضحة ومحددة في مجال الإعلام العربي ، من شانها ان تعطي لهذا النظام قيمته العملية ومصداقيته في أعين الجماهير . ويمكننا إبراز اربعة تشريعات اساسية نتمنى أن يتضمنها النظام :

اولاً : تشريع ينص على حق الإنسان العربي في الإعلام وعلى الضمانات العملية الكفيلة بوضع هذا الحق موضع التنفيذ . ونعني بذلك :

* حق المواطن العربي في المشاركة في صياغة الاستراتيجيات والسياسات الإعلامية .
* حق المواطن العربي في تقويم السياسات والخطط الإعلامية برفضها أو بتعديلها او بقبولها .
* حق المواطن في التعبير عن آرائهم في الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من خلال وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية .

ثانيـاً : تشريع ينص على حق المواطن في الوصول إلى المعلومات والحصول عليها ، ويتضمن ذلك :

* حقه في الحصول على إجابات شافية ومقنعة من قبل المسؤولين الرسميين عن اي قضايا او شواغل وطنية أياً كانت طبيعتها .
* حقه في الحصول على الوثائق والبيانات والإحصاءات والخرائط والصور والأشرطة السمعية والبصرية التي ليس لها مساس بالامن الوطني أو القومي ، وذلك للانتفاع من تلك المعلومات لغايات إعلامية أو صحفية أو علمية .
* تحديد مدى حق السلطات المختصة في حجب المعلومات بحجة السرية أو السرية القصوى ، او اي تعبيرات مماثلة ، وذلك للحيلولة دون إساءة استخدام مفهوم الامن او التعسف في استخدام حق حجب المعلومات لهذه الحجة .

ثالثـاً : إصدار تشريعات تحدّ من القيود والمكبلات القانونية والعقوبات الجزائية المفروضة على وسائل ودور المطبوعات والنشر ، وتحرير هذه المؤسسات من الهيمنة او الوصاية الإعلامية الرسمية .

رابعـاً : تشريعات تحظر كافة أشكال الحصار الإعلامي أو التعتيم في الأقطار العربية وما ينجم عن ذلك من ضعف مصداقية اجهزة الإعلام الرسمية في اعين الراي العام والاتجاه إلى وسائل إعلام اجنبية او معادية . ■■ [العدد ٣٥٤٥]

منار الإسلام :

وكالة الأنباء الإسلامية ضرورة

■■ تلعب وكالات الانباء دوراً هاماً وخطيراً في حياة الامم والشعوب . وفي تشكيل وتوجيه الرأي العام المحلي والعالمي . فعندما يقال إن الصحافة والإذاعة والتلفاز هي التي تتولى مهمة توصيل الاخبار والمعلومات والاراء والاتجاهات والافكار إلى القارىء والمستمع والمشاهد . فإن وراء تلك الوسائل شبكات ضخمة من وكالات الانباء العالمية والإقليمية والمحلية . التي تعمل ليل نهار لإطلاع الناس في أي مكان في العالم بأسرع وقت وأيسر كلفة واقل جهد على كل صغيرة وكبيرة تحدث في الكرة الأرضية .

ومع تزايد اهمية وكالات الانباء وتاثيرها في العلاقات الدولية فقد بادرت الدول الكبرى والتي تمتلك اقوى وأكبر وكالات الانباء في العالم إلى استخدام هذه الوكالات في الترويج لمصالحها وبسط نفوذها . ورغم الشعارات البراقة التي ترفعها هذه الوكالات في تحريها الدقة والموضوعية في جمع المواد الصحفية والأمانة في نقلها إلى وسائل الإعلام دون تحريف أو تزييف . فإن هناك إجماعا من الساسة والإعلاميين والمفكرين من شتى انحاء العالم . على أن الوكالات الكبرى . التي اثبتت الإحصاءات انها تسيطر على ٧٥٪ من التغطية الإعلامية في العالم . تعتبر أبواقا دعائية للدول التي تنتمي إليها . لذلك فإنها تؤكد في المقام الأول على أخبار ومصالح بلادها . وكثيرا ما تتجاهل أو تشوه الأحداث التي تتعارض مع تلك المصالح . حتى أصبحت تلك الوكالات سلاحاً خطيراً تستخدمه الدول الكبرى في غزوها الثقافي والإعلامي للدول الإسلامية . وفي توجيه الإنسان المسلم توجيها غير إسلامي .

ورغم قيام وكالات أنباء محلية في الدول الإسلامية إلا أنها . بحكم تواضع إمكاناتها . ليس لها النفوذ المطلوب على الساحة الإعلامية الدولية . الأمر الذي يجعل وجود وكالة أنباء إسلامية كبرى في مستوى الوكالات العالمية المعروفة أمرا ضروريا لتصحيح الافكار وتوضيح المواقف وتنقية المعلومات من الشوائب ومن التشويه المتعمد الذي تتعرض له قضايا أمتنا بفعل السياسات الإعلامية المعادية التي تنهجها الوكالات الكبرى .

إن وكالة الأنباء الإسلامية المقترحة تعتبر ضرورة ملحة للتعبير عن وجهة النظر الإسلامية وعرض قضايا المسلمين في كل مكان من العالم على الرأي العام العالمي بصورة صادقة وأمينة . وإنصافا للمسلمين الذين يتعرضون لحملات شرسة من أجهزة الإعلام الغربية والشرقية . وأيضا للعمل على تفهم أعمق بين افراد الشعب المسلم لقضاياهم المختلفة عن طريق الخبر الصادق والكلمة الهادفة والراي البناء والتوجيه السليم .

ولا شك أن العالم الإسلامي بيئة صالحة لإقامة وكالة أنباء دولية ناجحة . فإمكاناته المادية كثيرة وطاقاته البشرية وفيرة ورقعته شاسعة ووسائل إعلامه كثيرة ومتنوعة وأحداثه جمة وقضاياه متعددة . لذلك فإن فرصة نجاح وكالة الانباء الإسلامية المرجوّة أكبر بكثير من فرص نجاح أية وكالة أخرى . حيث إنها ستعمل بعيداً عن كل ضغط سياسي أو نفوذ حكومي لتحقيق هدفين هدف حضاري يبرز الوجه الحضاري للأمة الإسلامية . وهدف إعلامي حيث تنقل الخبر الصادق وترد النبأ الكاذب وتصحح المعلومة المشوهة وتوجه عندما يكون التوجيه واجبا .

ومن شأن هذه الوكالة أن تكسب الثقة لما تتمتع به من دقة وموضوعية وأمانة في جمع ونقل الأخبار والمعلومات .

وقد يقول قائل : هناك وكالة أنباء إسلامية . تلك التي أصدر قرار بإنشائها المؤتمر الثاني لوزراء خارجية الدول الإسلامية . الذي انعقد في كراتشي عام ١٩٧٠م . وبدأت أعمالها بمدينة جدة عام ١٩٧٩م . وكان ينتظر منها أن تملأ الفراغ الموجود . ولكنها للأسف لم تقم بذلك رغم اشتراك أربعين دولة إسلامية في عضويتها . لذلك يتطلع المسلمون إلى وكالة أنباء قوية واسعة الانتشار قادرة على تقديم خدمات إعلامية تتوفر لها كل عناصر الإقناع والقبول . ومن شأنها أن تعبر بصدق عن آمال العالم الإسلامي ومشكلاته وأمانيه وتطلعاته ومنجزاته ونواحي تقدمه ومكامن عزته . سواء أكان ذلك عن طريق دعم وكالة الأنباء الإسلامية القائمة حالياً . أو إنشاء وكالة أخرى . ■■

[العدد الرابع عام ١٩٨٥م]

مسابقة الأمـة

الجوائز

• الفـائز الأول
خمسمائة ريَال قطَري

• الفـائز الثاني
ثلاثمائـة ريَال قطـري

• الفـائز الثالث
مـائتـا ريَـال قطَـري

• الفائز الرابع حتى العاشر
اشتراك مجاني بالمجلة لمـدة سـنة

■ ترسل الإجابات إلى ■
مجلـة الأمَّـة
ص . ب ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

ويكتب على الغلاف :
مسـابقـة الأمـة
ورقـم العـدد

حـل مسـابقة العـدد ٥٧

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآيـة :

○ النَّسِيءُ : تاخير الشهر الحرام .

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة : ٣٧)

○ المَثُلات : العقوبـات .

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الرعد : ٦)

○ واصبـاً : دائمـاً .

﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ (النحل : ٥٢)

○ السَّموم : ريح حارة تهب بالنهار .

﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ (الحجر : ٢٧)

○ العهـن : الصوف المصبوغ .

﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ (القارعة : ٥)

٢ ـ الشرط الذي اشترطته فاطمة بنت الخطاب على اخيها عمر رضي الله عنه لقراءة القرآن قبل دخوله الإسلام هو التطهر من النجاسة ، والصحابي الذي كان معها ومع زوجها لقراءة القرآن هو (خباب بن الأرتّ) رضى الله عنه .

٣ ـ الصحابي هو : النعمان بن مقرن رضي الله عنه .

٤ ـ القائل هو : عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) .

٥ ـ [المؤلف] هو : مالك بن انس رحمه الله .
[والكتاب] هو : الموطا .

٦ ـ يختزن الجمل الماء في ثلاثة اجزاء من جسمه هي : « الخف ـ ووسائد الجسم ـ والسنام » .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٥٧

الفـائز الأول :
● احمد علي احمد شوشة (مصـر)

الفـائز الثاني :
● عمـر قاسميـة (الجـزائر)

الفـائز الثالث :
● الأزمـي حميـد (المغرب)

الفـائز الرابع :
● زهية محمود القطامي (الأردن)

الفـائز الخامس :
● أمين درهم قاسم علي (اليمن)

الفـائز السادس :
● سيد احمد شيخ ربا علي (الصومال)

الفـائز السابع :
● الصنهاجي عبد السلام (بلجيكا)

الفـائز الثامن :
● محمـد بن الشيخ (موريتانيا)

الفـائز التاسع :
● عبد المتعال عبد الرحمن الخضر (السودان)

الفـائز العاشر :
● فاتن جميل مراد (سوريـة)

مسابقة العدد ٥٩ السنة الخامسة

١ ـ قامـوس المسـابقة :

كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة امام كل كلمة ؟ .. اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآية التي وردت فيها :

- الأبتر : الاقصـر — الذي لا عقب له — الأصغـر
- حَـرْد : غضب وحقد — نيَّة حسنة — توعـد
- ثانِيَ عِطْفِهِ : مرتكباً إثمه — عادلاً جانبه — مظهراً غير ما يبطن
- اثخنتموهم : اكثرتم فيهم القتل — فررتم منهم — واليتمـوهم
- ثُبـاتٍ : افـراداً — جماعات متفرقة — وقوفـاً

٢ ـ في غزوة أُحد ، استشهد مصعب بن عمير ، رضي الله عنه صاحب لواء رسول الله ﷺ ، وكان من انعم فتيان قريش قبل الإسلام ، فكفّن في بردة : إن غُطي رأسه بدت رجلاه ، وإن غُطيت رجلاه بدا رأسه ، فقال النبي ﷺ : « غطوا بها رأسه ، واجعلوا على رجليه الإذخر ... » وكان رسول الله ﷺ يجمع بين الرجلين من شهداء احد في ثوب واحد .. ولكنه وضع شرطاً لمن يقدم من هذين الرجلين على الآخر في اللحد .. ما هو هذا الشرط ؟

٣ ـ مـن هـــو ؟ :

- احد الأربعة الذين جمعوا القرآن الكريم على عهد الرسول ﷺ .
- اقرّه الرسول ﷺ إماماً في مسجد قباء ، وكذلك اقرّه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .
- خرج إلى بدر وأحد ، ولم يفته مشهد من المشاهد مع رسول الله ﷺ ، كما كان في حرب المرتدين زمن ابي بكر رضي الله عنه .
- دخل على ملك الحيرة النعمان بن المنذر ، رسولاً من قبل المسلمين ، وحين أمره الحجاب بالسجود للملك قال : (إنَّ الله أمرنا ألاَّ يسجد بعضنا لبعض ...) .
- عاش فترة من عذاب النفس اللوامة عقب فراره من « يوم الجسر » مع من فرُّوا حتى كان يوم « القادسية » فخطب في المسلمين : وقال : « ... إنَّا ملاقو العدو غداً ، وإنَّا مستشهدون ، فلا يغسلن عنَّا دم ، ولا نكفن إلاَّ في ثوب كان علينا » ثم كان استشهاده رضي الله عنه .

٤ ـ مـن القائـل ؟ :

لا بد من صنع الرجا ل ، ومثلِهِ صنع السِّلاح
وصناعة الأبطال علـ.......م ، قد دراه أولو الصَّلاح
لا يصنع الأبطال إلاَّ في مساجدنا الفساح
من خان حي على الصَّلا ة يخون (حي على الفلاح)

٥ ـ مؤلـف وكتـاب :

[المؤلـــف] :

- ولد ببلدة « آمد » عام (٢٢٤هـ) بإقليم طبرستان .
- عني به ابوه عناية كبيرة ، فنشأ حافظاً للقرآن وهو ابن سبع سنين .
- ارتحل في طلب العلم إلى الري ، ثم إلى بغداد ، والبصرة ، والكوفة .
- غادر العراق إلى بيروت والفسطاط ، حيث اتصل بالأديب أبي الحسن السراج المصري .
- صنف تآليف كثيرة ، منها : « تاريخ الرسل والملوك » ، تهذيب الآثار » ، و « آداب النفوس » ، و « القراءات » .. وغيرها .

[الكتـــاب] :

- له منهج خاص في التفسير هو التفسير بالمأثور من تفاسير الصحابة والتابعين .. مستنكراً الراي المستقل .
- يتحاشى المناقشات عديمة الجدوى والفائدة ، كما انه احتوى على عدد كبير من الإسرائيليات .
- قال عنه السيوطي : (اجلّ التفاسير واعظمها ..) .
- قال ابن تيمية عنه : « إنه اصلح التفاسير التي في ايدي الناس » .
- ويرى ابو حامد الإسفراييني انه لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير ... لم يكن ذلك كثيراً .

٦ ـ الطيور الجارحة هي الطيور ذوات المخالب التي تساعد على الإمساك والقتل ، وذوات المناقير المعقوفة لتساعدها على تمزيق اللحم .. وتتكون هذه الطيور من أسرتين : اسرة الصقور وأسرة البوم .. وتنشط فصيلة الصقور نهاراً ـ غالباً ـ بينما تنشط فصيلة البوم ليلاً .. فلماذا ؟

اقرأ في الأعداد القادمة

- □ أثر الزكاة في الحد من الضغوط التضخمية
  الأستاذ مجدي عبد الفتاح سليمان
- □ أين الخلل ؟ نظرات في معطيات الحركة الإسلامية
  السيدة ماجدة محمد شحاته
- □ الفتاة المسلمة ومعاناة الالتزام في مجتمع التغريب
  الأستاذ عبد القادر عبار
- □ مقومات العمل التغييري
  الأستاذ محمد الصالح عزيز
- □ التعليم في موريتانيا من المحضرة إلى الجامعة أكثر من حوار
- □ مسيرة الأدب الإسلامي والندوات الأدبية حوله
  الأستاذ محمد حسن بريغش
- □ أخطار التقليد التربوي للغرب على البلاد الإسلامية
  الأستاذ محمد هاشم ريان
- □ عندما يحرق ما كان يعبد بالأمس
  الأستاذ محمد بدر الدين بن حسن

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

خواطر وأفكار

في سبيل تجاوز

موقف الانبهار

□□ لقد كان انبهار صاحبي بالآلة الدقيقة لضبط القبلة ـ التي أهديتها إيّاه عند رجوعي من العاصمة ـ لا يوصف ! حتى إني لم أستطع تحديد مبعثه بالضبط : ألاعتباره ذلك كسباً وفتحاً في مجالات الدعوة التي تفتقر إلى مثل هذه الأدوات التقنية التي تسهّل وتساعد على الأداء الصحيح والعلمي لكثير من المناسك !؟.. أم هو ذلك الموقف الانبهاري العادي لإنسان العالم المتخلف أمام إبداعات العقل الغربي وتقنياته !؟

ولم يمهلني طويلاً حتى بادرني قائلاً وهو يقلب الآلة ظهراً لبطن ، يتأملها ويفحصها وأكاد أقول يقبّلها : إنجاز رائع حقاً ! آلـة في منتهى دقة التصميم . ثم همس كأنَّه يحدث نفسه : باستطاعة الواحد منّا الآن أن يتوغّل في مدن الضباب ويسافر بعيداً في مجاهل الصحراء ولن يعييه أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام كلما كبّر لصلاته ، حيثما كان .. ما دام يحمل معه هذه الآلة .

وكأنَّه لاحظ عدم اكتراثي واهتمامي بما يقول ، ولم يكشف في ملامحي أثراً لمثل ذلك الانبهار الذي انتابه ، فقد قال : مالي أراك غير مكترث ؟ لكأن هذا الإنجاز عاديّ لديك !! قلت : لا يا صاحبي . نِعْم الإنجاز هو ... ولكن !.. وأردفت كلامي بابتسامة ميكانيكية ؛ قال على أثرها : ولكن ماذا ؟! أوليس هذا كسباً للإسلام ! أوليس هذا بعض أدوات النصر للدعوة في عصر العلم والتقنية !! أوليس يعين على أداء الكثير من مناسكنا الدينية !!

قلـت : نعم . نعم ! هو ما تقول ، فهنيئاً لك هذا الإنجاز وهنيئاً لك هذا الكسب ! ولكن الشيء الذي يؤرقني يا صديقي هو أن هذا الإنجاز رغم صغره ـ وأدوات كثيرة أخرى تهمنا في أمورنا الدنيوية والدينية ـ لا يزال يقدم علينا من وراء البحر . أولم تقرأ تلك العبارة أو بالأصح ذلك التوقيع الحضاري : MADE IN JAPAN !؟ إنه يا أخي ، في الحقيقة ، توقيع يُدِيننا نحن المسلمين !!

وهنا ارتبك صاحبي وغابت عن وجهه سحابة ذلك الانبهار ، وهمس : لم أفهم قصدك بالضبط .. لو توضّح ، رجاء !

واغتنمت فرصة سؤاله لأشرح له ما جهل من أمر مثل هذا الإنجاز : قلـت : ... أعني أن يظل العقل الآخر ـ ولنقل هنا العقل الغربي عموماً والياباني خصوصاً ـ هو الذي يبتكر لنا وسائلنا ويصمم لنا أدواتنا التي نحتاجها في شؤون ديننا ودنيانا .. بينما يظلّ العقل المسلم ـ ولنقُل هنا عقلي وعقلك ـ معطلاً بطريقة أو بأخرى ، وبعيداً عن دائرة الضوء والحركة ، فتلك هي الهزيمة وتلك هي المأساة !! إننا ـ أنا وأنت وهي والآخرون ـ معنيون قبل غيرنا ـ لو كنّا نفقه ـ بالمبادأة بابتكار وتصميم أدواتنا التي تخصنا وتعنينا .

قاطعني معترضـاً : ولكن كيف السبيل إلى تحقيق ما تقول ونحن على ما تعلم من السقوط والتخلف ! ثم ما ضرّ أن تكون مثل هذه الأدوات والوسائل من مبتكراتنا أو من تصميم الآخرين ! إنها ليست أفكاراً يستطيعون بها توجيهنا واختراقنا واحتواءنا ، إنها مجرد أدوات صامتة محايدة لا تضر إلّا بقدر ما نسيء نحن استعمالها ...

وأراد أن يسترسل أكثر في تبريراته واستشهاداته ، إلّا أني قاطعته لأضع بين يديه نقاطاً على حروف كثيراً ما أُسيئت قراءتُها فقلت : أنا معـك في ما تقول عن حياد الآلـة . إلّا أني لا أقف معك عند هذا الحد . بل أتعدى ذلك لأتحسس البُعْد الذي تمثله هذه الآلة : فالعقل الغربيْ لن يكِلّ عن ابتكار وتصميم الجليل والحقير من أدواتنا ووسائلنا التي نحتاجها ، ما دُمْنا نسدد ثمنها مادياً ومعنوياً وحضارياً .. وبقدر ما يزداد شرهنا وتتسع أفواهنا بقدر ما تتنوع بضاعته وتتوفر ، حتى يأتي اليوم الذي تصدأ فيه حواسنا وتتعطل فيه عقولنا لطول ما ألفت السكون والعَطَل ... ونتحول في النهاية إلى أفواهٍ ميكانيكية لا وظيفة لها غير القضم والابتلاع ..

قال وقد بدأ عليه بعض الاهتمام بما أقول : وهل بحثت عن السببَ الذي يكمن وراء عَطَلِنا العقلي ويحول دون مساهمتنا في حركة الإبداع الحضاري ؟

أقـول لك بصراحة وبأسف في الوقت نفسه : إن السبب بإيجاز : هو غياب التفاعل والتعامل المنتج مع أبجديات إسلامنا . نعم ! فنحن ـ حتى الساعة ـ لم نحذق الصيغة الصحيحة الفاعلة في تعاملنا مع هذا الدين وما يحمل من تعاليم فذّة وإشارات راشدة ودافعة ... وإلّا لما انتظرنا حتى ينشغل العقل الياباني بتصميم مثل هذه الآلة !

صحيح أن واقعنا العربي والإسلامي المتخلف يحدّ من التطلع إلى آفاق الابتكار والإبداع ، وأن مناخنا السياسي والاجتماعي والثقافي ـ السائد ـ والمتسم في عمومه بالاضطراب والتوتر ، لا يشجع على الابتكار والتنافس والبحث .. ولكن ليس هذا العقبة كلها !.. فلو أننا تفاعلنا بعمق وبصيرة ووعي منتج مع ركن الصلاة مثلاً ، واتخذنا منه عامل دفع إلى البحث والابتكار .. لكنّا من المبرزين في تصميم آلات قياس الزمن وضبط الاتجاه وتعصير أدوات الطهارة ...

وبالمناسبة هل بلغك أن ميضآت بعض المساجد في أوروبا لها « حنفيات » تفتح وتغلق أوتوماتيكياً ، وقد صممت خصيصاً للوضوء ، وهي تهدف إلى قطع الطريق أمام أية محاولة للإسراف في الماء ، إذ لا تُخْرِجُ منه إلّا بمقدار ما يكفي لوضوء لا سَرَفَ فيه ... وعندي أن هذا التصميم الهادف يمثل البُعد التقني ـ أو بالأصح التفسير التقني ـ لحديث بلغنا عن رسول الله ﷺ ؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ بسَعْد وهو يتوضأ فقال له : « ما هذا الإسراف يا سعد ؟! » فقال سعد : أوفي الوضوء إسراف ؟ قال : « نعم ولو كنت على نهر جارٍ » .

فكأني بالقوم قرأوا هذا الحديث قراءة واعية منتجة هَدَتْهم إلى تصميم ما يعين المسلم ـ المعاصر ـ على العمل بوصية رسول الله ﷺ ... بينما اكتفينا نحن بالقراءة الوعظية للحديث دون تمثل وتدبر بُعده التقني .

فمتى نتجاوز مواقف الانبهـار إلى المبادأة والفعاليـة !!؟ □□

بقلم : عبد القـادر عبـار

صدر :

كتاب الأمة
Al Ummah

١٠

التراث و المعاصرة

الدكتور أكرم ضياء العمري

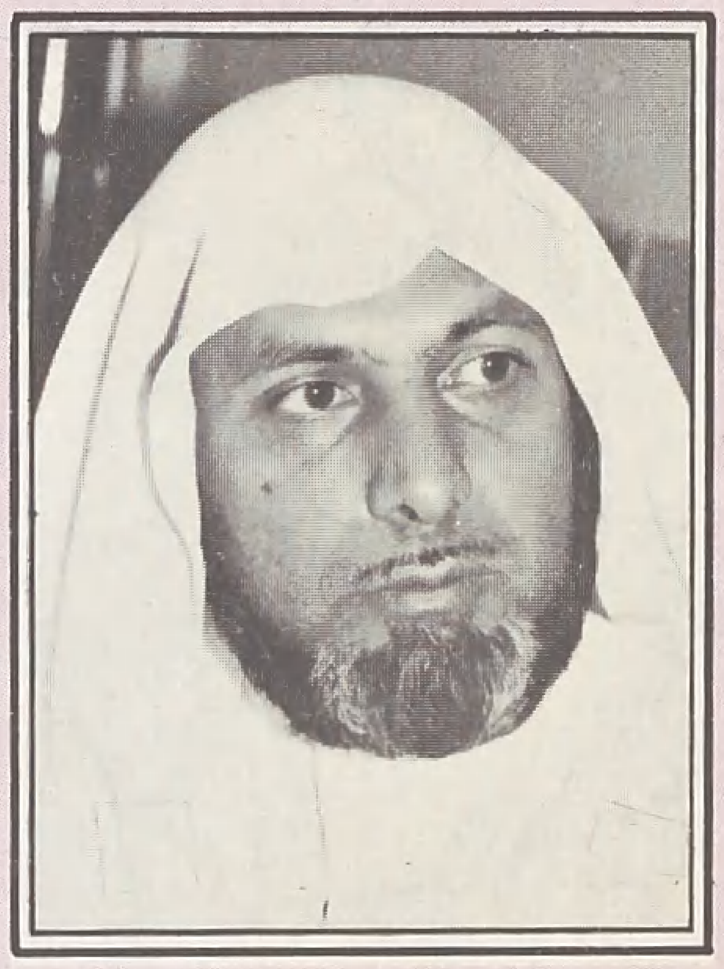

■ يمكن للجامعات الإسلامية ان تؤدي دوراً كبيراً في تحديد ملامح المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، والحفاظ على تميزها ووحدتها وتجانسها الروحي والفكري والعلمي ، وتكاملها الجغرافي والاقتصادي ، ويمكن ان تبرز على الصعيد العالمي كتلة قوية متضامنة لتؤثر في واقع العالم المعاصر ■

■ إن الثقافة الإسلامية تمر بازمة قوية تتمثل في غياب حركة النقد الواعية التي تحكم على الأعمال الفكرية والأدبية ، مما ادى إلى فوضى فكرية تتمثل في ضياع مقاييس التقويم ، وكثرة التكرار في الأشكال والمضامين ، وغلبة السطو الأدبي من «الجدد» على «القدامى» ومن «المبتدئين» على «الراسخين» ■

■ إن تراكم المعرفة يحتاج إلى تخطيط بحيث يبني اللاحق على السابق ، ويضيف المتاخر على المتقدم ، وبذلك تتراكم المعرفة ويحصل التقدم العلمي . ومن اجل ذلك لابد من وضع استراتيجية للبحث في العلوم الإسلامية من اجل نموها ولحاقها بالفكر المعاصر من حيث تناول مشاكل الحياة المعاصرة بشمول وعمق وإبداع وابتكار ، ويحتاج ذلك إلى رسم المسارات ، وتحديد الأهداف ، وتجنيد الوسائل ■

■ قضية التراث نفسها لم تنج من آثار الغزو الفكري فقد طرحت احياناً بمنظار غربي بحيث احتل الفلكلور الشعبي مساحة واسعة مما حوّله إلى نمط من المتعة والثقافة التي اضافها الغربيون انفسهم إلى انواع الترف الفكري الذي يعيشونه بعد ان حققوا احلامهم بالثروة والسيطرة على عالم اليوم ■

يطلب من وكلاء توزيع الأمة Al Ummah في العالم

■ إذا كان خطاب التكليف واحداً فلماذا يتركز الطرح حول مشكلات المرأة المسلمة في إطار التعليم دون الرجل ؟ أليس مجتمع الاختلاط يعني الرجل المسلم بالقدر نفسه الذي يعني المرأة وتترتب عليه المخاطر نفسها إن لم يكن أكثر ؟

إن الانسحاب من المجتمع والعدول عن الدراسة وعدم خوض ميدان التعليم الجامعي بسلاح الإيمان وعزيمة التقوى سوف يخلي الساحة مرة أخرى من المسلمات الملتزمات المجاهدات ويؤدي إلى تسليم المجتمع ومؤسساته التعليمية والتربوية والثقافية إلى الأيدي العابثة التي تسعى جاهدة إلى محاصرة المسلم .

ولعل نماذج المسلمات الملتزمات اليوم في المؤسسات التعليمية المختلفة ، وما تحصل في حقل التربية الميدانية دليل جديد على أن اشعار التحدي يقوي العزيمة ويصلب الارادة ويشحذ الفاعلية في معركة المواجهة ■

مجلة الأمة — Al Ummah

العدد ٥٩ السنة الخامسة ذو القعدة ١٤٠٥ هـ